مجلة جامعة الطائف

للآداب والتربية

مجلة علمية محكمة

المجلد الأول - العدد الثالث

جمادى الآخرة ١٤٣١ هـ - يونيو ٢٠١٠ م

رقم الإيداع : ١٤٣٠/٤٧٤٣
ردمد : ١٦٥٨-٤٧٦٧

الآراء الواردة في المجلة لا تمثل بالضرورة وجهة نظر الجامعة
ولا أسرة تحرير المجلة، بل تمثل وجهة نظر الباحثين.

الطباعة:
مطابع السروات بجدة

التصميم
الأعمال الثقافية
jedoffice@gmail.com

مجلة جامعة الطائف

المجلد الأول - العدد الثالث ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

أ. د. عالي سرحان القرشي

أمين التحرير

أ. د. سعود عبد الله الروقي

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. مصطفى يس السعدني أ. د. حسن البنا محمود

د. جابر محمد عبد الله

الإعداد الفني

عادل سعود الروقي سلمان علي السليماني

محتويات العدد

● **الإدارة والاقتصاد**

- الجدوى الاقتصادية لربط العملة السعودية بالدولار الأمريكي وبدائل تعديل نظام سعر صرف الريال السعودي في ضوء المستجدات الاقتصادية ..... **د . خليل عليان عبد الرحيم** ..... **د . فريد بن هاشم فلمبان** ١١

- مدى تطبيق المحاسبة عن المسؤولية الاجتماعية بالشركات الصناعية الأردنية وأثرها في جعل القوائم المالية أكثر عدلاً والمجتمع أكثر قبولاً لها ..... **د . محمود حسني العتيبي** ٥٥

● **التربية**

- قياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف ..... **د . عبد العزيز العنقري** ..... **د . وجيه عبد الستار نافع** ٩١

● **علوم الشريعة**

- بيع كلب الصيد والحراسة بين الحظر والإباحة ..... **د.عبد الله عبيد عامر النفاعي** ١٣٥

● **اللغة العربية وآدابها**

- التناص في اللغة العربية – قواعده ومظاهره وأسراره ..... **د.محمد بن حمّاد بن ساعد القرشي** ١٧٧
- التناص – دراسة في ديوان (سقط سهواً) لإبراهيم الوافي ..... **د . أحمد علي ناصر الشرفي** ٢٣٣
- بناء الشخصية في مجموعة عبد العزيز مشري: أحوال الديار ..... **د . كوثر محمد أحمد القاضي** ٢٦١

● **الرسائل العلمية**

- أثر المعاني في التركيب والتوجيه النحوي: قراءة في كتب النحو ..... **د . حسين بن سفر المالكي** ٢٨٩

● **القسم الإنجليزي**

استرجاع مفهوم الكفاءة التفاعلية البيوثقافية وإعادة تخصيصها كفاية ثقافية لإعداد معلمي اللغة الانجليزية في المجتمعات المحافظة ..... **د.عبدالرحمن عوض الأسمري** ١١

١

الإدارة والاقتصاد

جامعة الطائف

الجـدوى الاقتصادية لربط العملة السعودية بالدولار الأمريكي وبدائل تعديل نظام سعر صرف الريال السعودي في ضوء المستجدات الاقتصادية

د. فريد بن هاشم فلمبان

أستاذ مشارك – كلية العلوم الإدارية والمالية – جامعة الطائف

د. خليل عليان عبد الرحيم

أستاذ مساعد – كلية العلوم الإدارية والمالية – جامعة الطائف

مجلة جامعة الطائف – الآداب والتربية (الإدارة والاقتصاد)
المجلد الأول – العدد الثالث – جمادى الآخرة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م

الملخص

تهدف الدراسة إلى التعرف على أنظمة ومخاطر سعر الصرف والسمات الاقتصادية والسياسة النقدية للمملكة وإبراز الأهمية النسبية للدولار ومزايا وسلبيات ربط الريال مع الدولار والبدائل المتاحة لنظام سعر صرف الريال. منهجية الدراسة وصفية تحليلية للبيانات التي تم جمعها من مصادر ثانوية وأولية. خلص البحث إلى أنه لا يوجد نظام سعر صرف مناسب لكل البلدان وإنما تختار كل بلد نظام سعر الصرف المناسب لهيكل وخصائص اقتصادها لتحقيق استقرار قيمة العملة والقدرة على امتصاص الهزات المالية وتحقيق استقلالية السياسة النقدية. وقد بين البحث أن سياسة ربط الريال مع الدولار خدمت المملكة لعقدين من الزمن ولكنها لم تعد مناسبة لتغير المعطيات الاقتصادية عن تلك السائدة في الفترات السابقة مما أفقد بديل ربط الريال مع الدولار مبرراته الاقتصادية. هناك أربعة أسباب تدعو المملكة إلى تطبيق سياسة صرف أكثر مرونة وهي(١) تحقيق استقلالية السياسة النقدية(٢) الحد من الخسائر الناجمة عن تدهور قيمة الدولار وأثرها على إيرادات المملكة النفطية وعائدات الاستثمار المقومة بالدولار. (٣) الحد من التضخم حيث يساهم ربط الريال بالدولار بنسبة ٣١٪ من التضخم البالغ ٩,٦٪(٤) وقف تدهور القوة الشرائية للريال بنسبة تزيد عن ٢٠٪ نتيجة لهبوط الدولار بنسبة تجاوزت ٤٠٪.أوصت الدراسة بتبني بديل ربط الريال مع سلة عملات تتكون من اليورو بنسبة ٣٥٪ والدولار بنسبة ٣٠٪ والين بنسبة ١٥٪ والإسترليني بنسبة١٠٪ وحقوق السحب الخاصة بنسبة١٠٪ وتعكس هذه النسب قيم تجارة المملكة مع مناطق هذه العملات وجاء هذا البديل في المرتبة الأولى من حيث الجدوى الاقتصادية، يليه بديل رفع قيمة الريال ثم بديل الربط مع حقوق السحب الخاصة ثم بديل التعويم المدار للريال ثم بديل تعويم سعر صرف الريال.

كلمات مفتاحيه: أنظمة سعر الصرف - جدوى ربط الريال بالدولار- بدائل نظام سعر صرف الريال.

المبحث الأول

المقدمة :

لقد فرضت مسألة إدارة سعر الصرف نفسها بحدة منذ عام١٩٧١م مع بروز ظاهرة التخلي عن قاعدة الذهب على المستوى الدولي وانتشار ظاهرة التعويم الحر أو المدار للعملات وظاهرة ربط العملة المحلية بسلة عملات أو بعملة رئيسية أو بحقوق السحب الخاصة.

مشكلة الدراسة تتمثل في معاناة الاقتصاد السعودي من مشاكل انخفاض سعر صرف الريال مقابل العملات الأجنبية الرئيسة وانخفاض قوته الشرائية نتيجة لربطه بالدولار الذي هبطت قيمته في أسواق الصرف الأجنبية بالإضافة إلى تخفيض الفائدة على الدولار بشكل متتابع وعدم توافق ذلك مع الفائدة على الريال مما أدى إلى ارتفاع التضخم وحدوث مضاربات على سعر صرف الريال والتأثير سلبا على إيرادات الدولة واستثماراتها المقومة بالدولار مما يستدعي التفتيش عن بدائل لنظام سعر الصرف الحالي للريال.

تساؤلات البحث التي تحاول الدراسة الإجابة عليها تتمثل في الأسئلة التالية(١)كيف تطورت السياسة النقدية في المملكة تجاه نظام سعر الصرف الأجنبي للريال؟ (٢) هل ما زال الدولار يتربع على عرش العملات الرئيسة الدولية بدون منافس؟(٣) هل مبررات ومزايا نظام ربط الريال بالدولار ما زالت قائمة لغاية الآن؟(٤) ما هي التحديات والمخاطر التي تواجه المملكة نتيجة تبنيها لسياسة ربط الريال بالدولار؟ (٥) في حالة كون التحديات تفوق المزايا الناجمة عن ربط الريال مع الدولار فما هو البديل المناسب لنظام سعر الصرف الأجنبي للريال في ضوء المستجدات الاقتصادية؟ (٦) هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين آراء الأكاديميين ورجال الأعمال حول أسئلة البحث.

تهدف الدراسة إلى شرح مفاهيم وأنظمة ومخاطر سعر الصرف الأجنبي للعملة والتعرف على التطور التاريخي لنظام النقد السعودي وعلى آراء المختصين حول أهمية الدولار في الحياة الاقتصادية والفرص والتحديات التي تعود على الاقتصاد السعودي من ربط الريال بالدولار والبدائل المتاحة لاختيار البديل المناسب لسعر صرف الريال الذي يتفق مع خصائص الاقتصاد السعودي والمستجدات الاقتصادية.

أهمية الدراسة تتمثل في كونها تسلط الضوء على المفاهيم الأساسية لأنظمة ومخاطر أسعار الصرف الأجنبية كما تنبع من ندرة الأبحاث في موضوع سعر صرف الريال وفي التوصيات التي سترفع إلى الجهات المعنية عن مدى جدوى ربط الريال بالدولار والبدائل المتاحة لتعديل نظام سعر الصرف الحالي للريال.

منهجية الدراسة تقوم على الأسلوب الوصفي التحليلي للبيانات الثانوية التي تم جمعها من مصادر متعددة من ضمنها أعمال الباحثين من كتب وأبحاث، كما تعتمد الأسلوب الاستقرائي

للبيانات الأولية من واقع الاستبيان. ونظرا لعدم توفر إحصائيات دقيقة عن مجتمع الدراسة المكون من خبراء في سعر صرف الأجنبي للعملة الوطنية من الأكاديميين ورجال الأعمال في خمسة مدن رئيسية في المملكة فقد تم اختيار عينة قصديه حصصية غير احتمالية حجمها ١٥٠خبير في مدن الطائف وجدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض حيث تم توزيع الأستبانة بالتساوي في كل من المدن الخمسة. وقد تضمنت استبانه الدراسة خمسة مجموعات من الأسئلة تتعلق أسئلة المجموعة الأولى بخصائص أفراد العينة، أما المجموعة الثانية فتشمل ستة أسئلة تتعلق بأهمية الدولار مقابل العملات الرئيسية، والمجموعة الثالثة تشمل عشرة أسئلة تتعلق بمبررات ومزايا ربط الريال بالدولار، والمجموعة الرابعة تشمل سبعة أسئلة تتعلق بتحديات ومخاطر ربط الريال بالدولار،أما المجموعة الخامسة فتشمل ستة أسئلة تتعلق ببدائل أنظمة سعر الصرف الأجنبي للريال. وقد تم التأكد من صدق الأستبانة الظاهري والبنائي من خلال عرضها على عدد من المحكمين المتخصصين في سعر الصرف الأجنبي للعملة وبعدها تم تجربة الأستبانة بتطبيقها على عينة عشوائية(Pilot Study) وتم التأكد من ثبات أداة الدراسة باستخدام معادلة كرونباخ ألفا حيث بلغت قيمة معامل ثبات المقياس الكلي لجميع فقرات الأداة ٨٠٪ وهي نسبة جيدة لمثل هذا النوع من الدراسة. ونظرا لكون الدراسة من البحوث النوعية فقد تم اختيار أسلوب التحليل الوصفي للبيانات التي تم جمعها من أفراد العينة باستخدام الجداول التكرارية والتمثيل البياني واستخدام المتوسط الحسابي كمقياس للنزعة المركزية واستخدام الانحراف المعياري كمقياس للتشتت واستخدام معامل التغير كمقياس لمخاطر تذبذب سعر صرف الريال مقابل العملات الأخرى، واختبار ت للتعرف على الدلالة الإحصائية للفروق بين إجابات مجموعتي الأكاديميين ورجال الأعمال في العينة. وبعد جمع الأستبانات تم مراجعتها حيث تبين أن هناك ١٠٠ استبانه صالحة لغايات التحليل وهي تشكل ٦٧٪ من الأستبانات الموزعة وقد تم تفريغها وتحليلها باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS.

هيكل الدراسة يشمل المحاور التالية:(١) المقدمة. (٢) الإطار النظري لأنظمة أسعار الصرف.(٣) السمات الاقتصادية وتطور نظام سعر صرف الريال في المملكة العربية السعودية. (٤) تحليل نتائج الدراسة الميدانية حول خصائص أفراد عينة الدراسة والأهمية النسبية للدولار مقابل العملات الرئيسية ومبررات ومزايا ربط الريال السعودي بالدولار وتحديات ومخاطر ربط العملة السعودية بالدولار وتقييم بدائل نظم سعر صرف الريال (٥) النتائج والتوصيات.

المبحث الثاني

الإطار النظري لأنظمة أسعار الصرف الأجنبية والدراسات السابقة

يشمل الإطار النظري مراجعة أدبيات الدراسة لتسليط الضوء على مفاهيم وأنظمة وأهمية ومخاطر أسعار الصرف وآثارها الاقتصادية واستعراض نتائج عدد من الدراسات حول أسعار الصرف الأجنبية. يمكن تعريف سعر الصرف الأجنبي بأنه سعر وحدة من العملة الوطنية مقابل وحدة عملة أخرى. سوق الصرف الأجنبي هي سوق يتم فيها تداول النقود والتحويلات الأجنبية وينقسم سوق الصرف الأجنبي إلى سوق الصرف الحاضرة (Spot Exchange Market) وسوق الصرف الآجلة (Forward Exchange Market) (غنيم: 2005م،16) وتتمثل أنظمة أسعار الصرف بنظام سعر الصرف الثابت ونظام سعر الصرف المعوم ونظام سعر الصرف المدار(Samuelson & Nordhaus:2001'792). ومن مشاكل سعر الصرف حدوث هبوط لقيمة العملة (Depreciation) وأحيانا يرتفع سعر الصرف (Appreciation) وقد يتم اللجوء لتخفيض العملة (Devaluation) أو تقدير العملة بأكثر من قيمتها (Overvaluation) أو تقدير العملة بأقل من قيمتها (Undervaluation) مما يؤثر على تنافسية الصادرات وحدوث ضغوط تضخمية. المضاربة على أسعار الصرف (Speculation) هي عمليات يقوم بها المضارب على أسعار العملات من خلال بيع وشراء العملات لتحقيق الربح. المراجحة (Arbitrage) هي عملية شراء عملة في سوق معينة بحيث يعاد بيعها بشكل فوري في سوق أخرى لتحقيق أرباح من فروق سعر العملة بين بلدين والمراجحة ذات أهمية في القضاء على فروق السعر وتحقيق كفاءة أعلى لأداء السوق (Samuelson&Nordhaus:2006،781). يحدث تعادل القوة الشرائية للعملات(PurchasingPowerParity،PPP) عندما يميل سعر الصرف في إحدى الدول إلى تحقيق التساوي بين تكلفة شراء السلع المتبادلة داخل الدولة وبين تكلفة شرائها في الخارج، والدولة التي تعاني من معدلات تضخم مرتفعة أكثر عرضة لانخفاض قيمة عملتها. وتعادل سعر الصرف الأجنبي (Exchange Parity) هو معيار يجعل السعر المعلن للعملة يحافظ على ثبات قيمته الحقيقية خلال فترة زمنية محددة ويقوم على مبدأ أن عملتين لهما قوى شرائية متعادلة وفقا لقيم السلع المتبادلة (معروف: 2006، 353)

سعر الصرف الاسمي (Nominal Exchange Rate) هو سعر صرف العملة مقابل العملات الأخرى ولا يأخذ في الحسبان الفروق في أسعار السلع والخدمات بين بلدان العالم. أما سعر الصرف الحقيقي(Real Exchange Rate)فهو السعر المرتبط بمقدار السلع والخدمات

التي يمكن أن تبادل بها وحدة النقود ويعبر عن القوة الشرائية للعملة المحلية وهو ينعكس على تنافسية الاقتصاد الوطني ويؤثر على أسعار السلع القابلة للتجارة.

وتتأثر القيمة الحقيقية للنقود بالعوامل التالية: ١- التغير في قيمة الصادرات. ٢- التغير في معدل التضخم. ٣- التغير في معدل الفائدة. ٤- تدفق حركة رؤوس الأموال الأجنبية (http://twsyat.net/forum/showthread)ويمكن قياس سعر الصرف الحقيقي باستخدام سعر الصرف الاسمي معدل بالرقم القياسي لأسعار البلد المعني والبلد المقارن من خلال الصيغة التالية (Edward:1988):

$$(\frac{P_1}{P_2} \text{ SR} = \text{SN})$$

SR = سعر الصرف الحقيقي

SN = سعر الصرف الاسمي

P_1 =مستوى أسعار البلد المعني

P_2= مستوى الأسعار للبلد المقارن

سعر الصرف الفوري (Spot Exchange Rate) هو السعر الذي يتفق عليه في صفقة البيع والشراء للعملة بحيث يكون الدفع والتسليم فورا وبدون تأجيل. أما سعر الصرف الأجل (Forward Exchange Rate) فهو السعر الذي يتفق عليه في صفقة البيع والشراء للعملة بحيث يكون الدفع والتسليم في وقت لاحق بعد ٣٠ لغاية ٩٠ يوم. ويمكن حساب سعر الصرف الأجل طبقا للمعادلة التالية (http//www.zawya.com) :

$$SF = [\frac{r_2 - r_1}{1 + r_1}] + SN_2$$

حيث أن SF = سعر الصرف الأجل

SN_2 = سعر الصرف الفوري

R_1 = سعر الفائدة في البلد المعني (السعودية)

R_2 = سعر الفائدة في البلد المقارن (الولايات المتحدة)

أهمية سعر الصرف تتمثل في تأثيراته على التضخم والسيولة والاستثمارات الأجنبية وميزان المدفوعات والقوة الشرائية والدخول الاسمية للأفراد، ويعتبر سعر الصرف بمثابة عامل توازن لإزالة الاختلال في ميزان المدفوعات. وتنبع أهمية سعر الصرف في كونه أداة لربط الاقتصاد الوطني بالاقتصاد العالمي من خلال المعطيات التاليةSamuelson): (Nordhaus:2006:443&)(١) الأثر على ميزان المدفوعات حيث أن ارتفاع سعر صرف

العملة الوطنية يؤثر سلبا على الصادرات. (٢) الأثر على معدل التضخم من خلال ارتفاع أسعار المستوردات (٣) التأثير على المواطنين المسافرين لبلدان أجنبية لأغراض السفر أو السياحة. (٤) التأثير على جذب الاستثمارات الأجنبية وعلى قيمة الاستثمارات الوطنية في الخارج.

أنظمة أسعار الصرف تقسم إلى ثلاث أنواع رئيسية وهي نظام سعر الصرف الثابت الذي تتبعه ٣٦٪ من الدول ونظام سعر الصرف المعوم الذي تتبعه ٣٠٪ من الدول ونظام سعر الصرف المعوم المدار الذي تتبعه ٢٥٪ من الدول بالإضافة إلى نظام مجالس العملة الذي تتبعه٩٪ من الدول كما هو مبين تاليا (Karam: 2001،9)

أولا: نظام سعر الصرف الثابت(Fixed exchange Rate system)

يتمثل نظام سعر الصرف الثابت في ثلاث قواعد نقدية هي قاعدة الذهب وقاعدة نظام الصرف بالذهب ونظام ربط العملة الوطنية بعملة دولية أو بسلة عملات أو بحقوق السحب الخاصة ويمكن تفصيل القواعد الثلاثة كالتالي:

أ) قاعدة الذهب (Gold Standard)

سادت قاعدة الذهب خلال الفترة (١٧١٧- ١٩٣٣م) حيث تتحدد قيمة العملة بمقدار من الذهب ويقوم البنك المركزي بشراء وبيع الذهب بناء على السعر المحدد له مع العملة المحلية. وتعتبر المسكوكات الذهبية جزء من عرض النقد. وكانت الدولة تقوم بتحديد عملتها وفقا لكمية محدودة من الذهب ومن ثم إرساء أسعار صرف ثابتة بين عملات الدول. مثال على ذلك اختارت الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا عملة الإسترليني لتوازي ٠،٢٥وقيه ذهب بينما اختارت أمريكا في عهد الرئيس ماكنلي وزن الدولار ليوازي ٢٠/١من وقية الذهب فيصبح سعر تبادل الجنيه الإسترليني مقابل الدولار هو £١= $5 (Samuelson & Nordhaus:2006 :795)

ب) نظام تبادل الصرف بالذهب (Exchange Gold Standard)

نظام سعر الصرف بالذهب هو نظام دولي عرف بنظام بريتون وودز ويعتمد على قيام الدول بربط عملتها إلى عملة دولية كالدولار ترتبط بسعر صرف ثابت مع الذهب ويتم ربط أسعار العملات الأخرى بالدولار ويكون الدولار قابل للتحويل للذهب بين البنوك المركزية. وقد ساد هذا النظام في الفترة ١٩٤٤-١٩٧١م (Wonnacott:1979،352) ويتمتع نظام بريتون وودز بخاصية المرونة وضبط أسعار الصرف تحت أشراف صندوق النقد الدولي عند حدوث اختلال في موازين المدفوعات ولكن هذا النظام انهار في عام ١٩٧١ نتيجة زيادة مخزون أرصدة الدولار السائلة بصوره مبالغ فيها وواجهت الحكومة الأمريكية صعوبة في المحافظة على أسعار التعادل الرسمية مما دفع الرئيس الأمريكي نيكسون إلى فك الارتباط بين الدولار والذهب.ومن مشاكل

هذا النظام حدوث عجز في ميزان المدفوعات حين يتضاءل مخزون الذهب ويحدث الكساد وقد ظهرت مشكلة الدولرة ولم تتمكن الولايات المتحدة من الوفاء بالتزاماتها في تحويل الدولارات إلى ذهب. تذبذب أسعار الصرف في ظل هذا النظام مؤقت وتتكون السيولة في ظل هذا النظام من الذهب واحتياطات العملات الصعبة وحقوق السحب الخاصة .

ج) نظام ربط العملة (Pegged Exchange System)

هو نظام سعر صرف دولي يقوم على ربط عملة بلد بعملة أجنبية دولية كالدولار أو بسلة عملات أو بحقوق السحب الخاصة ولا تتدخل السلطات النقدية في تحديد سعر الصرف بعد تثبيته ويلاحظ أن الربط بعملة رئيسية ثابت بالنسبة لعملة الربط فقط ولكنها تعتبر معومة بالنسبة لبقية العملات (صندوق النقد العربي:٢٠٠٦، ٢٣٧).

ثانيا: نظام التعويم الحر لسعر الصرف((Floating Exchange Rate System

بعد التخلي عن سعر الصرف الثابت للعملة أصبح هناك توجه لمعظم حكومات الدول المتقدمة إلى تعويم عملاتها بحيث تتحرك أسعار صرف عملاتها دون قيود بل تعمل في ظل تأثير كل من العرض والطلب وبالتالي لا تقوم بإعلان سعر الصرف لعملاتها ولا تتخذ أي إجراءات لتدعيم مثل هذا السعر ويترك لسعر الصرف حرية التغير بشكل مستمر عبر الزمن بما يتفق وقوى السوق ويقتصر تدخل السلطات في هذه الحالة على التأثير على سرعة التغير في سعر الصرف فقط وليس الحد من ذلك التغير(صندوق النقد العربي:2006، 237). وقد أتبعت معظم الدول الصناعية نظام تعويم العملة منذ عام ١٩٧١ومن محاسنه أنه يتفادى مشاكل نظام سعر الصرف الثابت ويمكن استخدامه لمكافحة البطالة والتضخم، ولكن يؤخذ عليه بأن التذبذب المتكرر في أسعار العملة يؤذي التجارة الخارجية وتحدث المضاربة على أسعار الصرف (سلفاتور& ديوليو:٢٠٠١)

ثالثا: نظام التعويم المدار(Managed Floating of Foreign Exchange)

نظام سعر الصرف المدار أو الموجه يقع في نقطة وسط بين سعر الصرف الثابت الصارم وبين سعر الصرف العائم حيث يتم تحديد أسعار الصرف الأساسية من خلال قوى السوق وان كانت الحكومات تقوم ببيع العملات أو شرائها أو تغيير عرضها النقدي للتأثير على أسعار الصرف بصورة مباشرة أو تقوم بالتدخل في سعر صرف العملة من خلال أدوات السياسة النقدية (Samuelson&Nordhaus: 2001: 640-642) وفي ظل نظام سعر الصرف المدار يتدخل البنك المركزي بانتظام لتعديل سعر العملة وفق مجموعة من المؤشرات مثل الفجوة بين العرض في أسواق الصرف الفورية والموازية (صندوق النقد العربي: ٢٠٠٧، ٢٣٧). وقد طور البروفسور فرانكل أستاذ الاقتصاد في جامعة هارفارد

نظام سعر صرف جديد سمي الربط بالرقم القياسي لأسعار الصادرات أي يمكن ربط الريال بسعر صادرات النفط في المملكة (Frankel،2005).

مخاطر العملة تنقسم إلى مخاطر تتعلق بقابلية العملة الوطنية للتحويل إلى عملات أجنبية (Currency Convertibility) ومخاطر ناجمة عن تذبذب أسعار صرف العملة (Currency Fluctuation). مخاطر قابلية العملة الوطنية للتحول إلى عملات أجنبية ناجم عن احتمال قيام الحكومة بوضع قيود على تحويل العملة الوطنية إلى عملات أجنبية ووضع متطلبات خاصة لتحويل العملة المحلية إلى عملات أجنبية لأسباب تتعلق بالحد من الاستيراد أو تقليل العجز في ميزان المدفوعات. أما مخاطر تذبذب سعر صرف العملة مقابل بقية العملات الرئيسية فتتمثل في رفع أو تخفيض قيمة العملة في ظل نظام سعر الصرف المعوم أو حدوث إعادة تقييم للعملة أو تخفيض لقيمة العملة في ظل نظام سعر الصرف الثابت. ومن المعروف أن مخاطر العملة تؤثر على قيمة الديون الأجنبية وتمويل مشاريع البنية التحتية وعلى الدخول الحقيقية للمواطنين وعلى قيمة الصادرات والواردات. ويتطلب الأمر تغطية مخاطر العملة عن طريق التحوط (Hedging) وهو أحد أدوات إدارة المخاطر المستخدمة من قبل الشركات العالمية ضد تقلبات أسعار الصرف للعملات الأجنبية. وقد عرف ساموبلسون & نوردهاوس التحوط بأنه تقليص مخاطر الاحتفاظ بعملات أجنبية وذلك بالقيام ببيع كميات العملات التي يتم شرائها بسعر متفق عليه مسبقا والتسليم في وقت لاحق للحماية من تقلب أسعار العملات (Samuelson& Nordhause،2001، 210). ويمكن التحوط لمخاطر تقلبات أسعار العملات باستخدام أحد الأدوات التالية:(غنيم،2005م،604-600)(١) شراء عقد في سوق العقود الآجلة للعملات (Forward Market Contract) وهو السعر الذي يتفق عليه في صفقة البيع والشراء للعملة بحيث يكون الدفع والتسليم في وقت لاحق. (٢) استخدام سوق المشتقات المالية (Derivatives) وخاصة سوق الخيارات (Options) (الميداني2006، 288)

ومن استعراض أدبيات البحث تم التعرف على الدراسات السابقة التالية:

أولا: بينت دراسة قام بها إدوارد كرم بتكليف من صندوق النقد العربي عن "سياسات أسعار الصرف في البلدان العربية " (Karam،2001،5-20) أن تغيرات سعر الصرف للعملة تسبب إعادة توزيع الموارد بين القطاعات الاقتصادية وأن اختيار نظام سعر الصرف يعتمد على عدد من العوامل منها حجم الاقتصاد ومدى توفر الاحتياطيات من العملات الأجنبية ومستوى التضخم ومدى توازن أو اختلال توازن ميزان المدفوعات ومرونة الأجور وسهولة التنقل في سوق العمل ونسبة الانفتاح الاقتصادي ومدى جمود أو فعالية السياسات المالية ومدى استقلال السياسة

النقدية ومدى توفر السيولة النقدية في الاقتصاد ودرجة الدولرة في الاقتصاد الوطني وحرية انتقال رأس المال ومحاولات الإصلاح الاقتصادي ومدى تعرض الاقتصاد للهزات الخارجية .

ثانيا: أظهرت دراسة قام بها عاصم حسين في ورقة بحثية لصندوق النقد الدولي حول "العوامل المحددة لربط العملة الوطنية بعملة رئيسية" النتائج التالية (Hussain،2006:612): (١) كلما زاد التكامل الاقتصادي بين الدولة والشريك الأكبر في تجارتها الخارجية فمن صالحها ربط عملتها بعملة ذلك البلد.(٢) كلما زاد اندماج البلد في الأسواق الدولية فأن نظام ربط العملة بعملة رئيسية يلحق بها الضرر.(٣) كلما قل تنوع منتجات وصادرات دولة ما فأن عليها تجنب ربط عملتها بعملة رئيسية.(٤) كلما كان هناك حرية لانتقال رأس المال في بلد معين كلما أثر ربط العملة بعملة رئيسية سلبا على الاستيراد والاحتياطيات النقدية فيها. (٥) كلما كانت البلد معرضة للهزات النقدية فإن ربط عملتها بعملة رئيسية يعتبر مفيدا لها.(٦) كلما كانت السياسة النقدية لبلد ما ضعيفة وغير فاعلة فأن الربط بعملة رئيسية يعتبر مناسبا لها.(٧) الخوف من عدم اليقين لسياسة سعر الصرف المعوم يجعل الدولة أكثر تمسكا بنظام الربط مع عملة رئيسية.

ثالثا: بينت دراسة أعدها رياض داهل عام ٢٠٠٠م حول»مؤشرات التنبؤ بحدوث أزمة نقدية لأسعار الصرف»:

النتائج التالية (Dahel،2000): (١) هناك عدم تناسب بين المعطيات الاقتصادية لعدد من البلدان العربية وتوجهاتها لربط عملاتها بالدولار مما عرضها لأزمات نقدية .(٢) من ملامح الأزمة النقدية الانخفاض الحاد في القيمة الاسمية للعملة التي تؤدي إلى آثار اقتصادية سلبية على الإنتاج ومعدل البطالة وعمل المصارف كما حدث في أزمة شرق آسيا.(٣) هناك سبعة عوامل يمكن اعتبارها كمؤشرات لحدوث أزمة نقدية وهي: (أ)انخفاض سعر صرف العملة المحلية مقابل العملات الأجنبية.(ب)ارتفاع معدل التضخم.(ت)التغيرات الحادة في أسعار الصرف.(ث) انخفاض نسبة النمو للاقتصاد الوطني.(ج)التوسع في الأنفاق النقدي.(ح) انخفاض معدل تغطية الاحتياطات من العملات الصعبة للواردات (خ) ارتفاع نسبة المديونية إلى الناتج القومي الإجمالي.

رابعا: أظهرت دراسة أعدها وشاح رزاق حول"دول مجلس التعاون الخليجي بين سندان أسعار النفط ومطرقة الدولار" النتائج التالية (Razzak،2008،13-14):(١)نظام سعر الصرف الثابت يعتبر قيد على اقتصاديات دول الخليج.(٢) من الصعب تحقيق استقرار سعر صرف العملة واستقلال السياسة النقدية وحرية أسواق المال معا في آن واحد بل أن تحقيق أحد

هذه الأهداف قد يكون على حساب الأهداف الأخرى مما يستدعي إجراء نوع من التضحية في الأختيارفيما بينها.(٣) إذا أرادت إحدى دول الخليج تحقيق استقرار الأسعار ومكافحة التضخم فعليها أن تعوم سعر صرف عملتها ولا تقوم بتثبيته بالربط مع عملة رئيسية. (٤) إذا أرادت دول الخليج العربي الاستمرار في تثبيت أسعار صرف عملاتها مقابل الدولار فعليها تحمل تبعات انخفاض القوة الشرائية لعملاتها.

خامسا: خلصت دراسة أعدها خالد البسام حول المصادر الداخلية والخارجية للتضخم في المملكة أن سعر صرف الريال السعودي كان من ضمن العوامل الخارجية الرئيسية المفسرة للتضخم في المملكة وكان معامل التغير لسعر الصرف ٠،٦٨أي أن انخفاض سعر صرف الريال بنسبة١٪ تؤدي إلى ارتفاع التضخم بنسبة ٠،٦٨٪. وكانت نتيجة الاختبار الإحصائي ذو معنوية هامة بنسبة ٥٪ وهذه النتيجة تدل على أن تغيرات سعر الصرف تؤثر بشكل هام على نسبة التضخم (Al-Bassam:1999.24).

المبحث الثالث

السمات الاقتصادية وتطور نظام سعر صرف الريال في المملكة العربية السعودية

الاقتصاد السعودي يقوم على اقتصاد السوق ويتمتع بدرجة انفتاح عالية ويعتمد على إنتاج البترول الذي يساهم بنسبة ٤٧٪ من الناتج القومي ويشكل ٨٠ ٪ من إيرادات الدولة و٩٠٪ من إجمالي الصادرات. بلغ الناتج القومي السعودي ٢٨٢مليار دولار عام ٢٠٠٦م ونصيب الفرد من الدخل القومي ١٣٨٠٠دولار وكنسبة من الناتج القومي الإجمالي تشكل الزراعة ما نسبته ٣،٣٪ والصناعة تشكل ٥٧٪ أما قطاع الخدمات فيشكل ٣٩،٧ ٪، أما مكونات الناتج الإجمالي من حيث الأنفاق فيشمل٥٠،٧٪ استهلاك نهائي، ١٧، ٩٪ أنفاق استثماري،وصافي الصادرات ٣١،٤٪ (مؤسسة النقد السعودي:٢٠٠٧، ١٢٤). يبلغ حجم العمالة في المملكة ٧،١٢٥مليون موزعين بنسبة ١٢٪ في الزراعة و٢٥٪ في الصناعة و٦٣٪ في الخدمات وتبلغ نسبة البطالة ٩٪ للذكور و٢٥٪ للإناث، أما الديون الخارجية فبلغت٣٩،٤٧مليار دولار وبنسبة ٢٨٪ من الناتج القومي وتبلغ نسبة الاستثمارات من الناتج القومي الإجمالي ١٦،٢٪ وبلغت إيرادات الموازنة ١٨٩مليار دولار أما المصروفات فبلغت ١٠٧مليار دولار بفائض قدره ٨٢ مليار دولار وبلغت قيمة الصادرات ٢٠٤ مليار دولار والواردات ٦٤ مليار دولار (World Fact Book:2006). وقد بلغ عرض النقود الواسع (ن٣) في المملكة ٨١٥ مليار ريال في يناير ٢٠٠٨ (٢١٧مليار دولار) وبلغت السيولة النقدية ٨٠٠مليار ريال وقد بلغ سعر الفائدة (الريبو) على الإقراض بالريال ٥،٥٪ أما سعر الفائدة (الريبو العكسي)على ودائع الريال فانخفضت إلى ٢٪ وقد بلغت احتياطيات المملكة من

العملات الصعبة والذهب وحقوق السحب الخاصة ٢٦،٩مليار دولار (مؤسسة النقد السعودي:٢٠٠٧). وقد بين تحليل الصادرات أن منطقة الدولار استقطبت ١٥،٥٪ ومنطقة اليورو ١٤،٢٪ ومنطقة الين الياباني ١٥،٦٪ ومنطقة الإسترليني١،١٪ كما في الجدول ١:

الجدول (١) مصادر وجهات الصادرات السعودية (٢٠٠٠م-٢٠٠٥م) القيمة بالمليون ريال

البلد	٢٠٠١	٪	٢٠٠٢	٪	٢٠٠٣	٪	٢٠٠٤	٪	٢٠٠٥	٪
اليابان	٣٩٠٩٩	١٥,٣	٣٨٩٧٤	١٤,٣	٤٩٣٢٥	١٤,١	٦٧٠٠٦	١٤,٢	١٠٥٥٨٠	١٥,٦
الهند	١٢٣٣٦	٤,٨	١٤٧٤٢	٥,٤	٢٠٨٠٤	٥,٩٥	٢٧٦٢٥	٥,٨٥	٤٠٢٣٧	٨,٥٢
الصين	٨١٥٩	٣,٢	١٠٨٢٠	٤,٠	١٥٣٦٧	٤,٣٩	٢٢٧٨٧	٤,٨٢	٤٠٥١٩	٨,٥٨
كوريا الجنوبية	٢٤٦٢١	٩,٧	٢٥٨١٣	٩,٥	٣١٨١٦	٩,١	٤٠٣٨٢	٨,٥٥	٥٧٣٦٨	٨,٤٧
استراليا	٢٢١٨	٠,٩	٢٠٦٢	٠,٨	١٣١٧	٠,٣٨	٩٤٦	٠,٢	١٣٩٤	٠,٢١
الولايات المتحدة	٤٦٤٨٢	٠,٢	٥٣٥١١	١٩,٧	٥٦٣٨٥	١٦,١	٨١٣٦٠	١٧,٢	١٠٤٧٤٦	١٥,٥
البرازيل	١٧١٤	٠,٧	١٩٢٤	٠,٨	١٦٨٢	٠,٤٨	٣١٣٥	٠,٦٦	٤٠٨٦	٠,٦
انجلترا	٣٣٦٩	١,٣	٢٧٤٠	١,٠	٣٤٤٣	٠,٩٨	٦٣٥٣	١,٣٤	٦٨٥٥	١,٠١
الاتحاد الأوروبي	٣٧٥٦٨	١٤,٧	٣٨٢٦٨	١٤,١	٤٩١٧٧	١٤,١	٧١٠٩١	١٥	٩٦٠١١	١٤,٢
دول خليجية	١٤٧٦١	٥,٨	١٦٧٣٤	٦,٢	٢٣٣١٠	٦,٦٧	٣٠٧٦٤	٦,٥١	٤٥٢١٥	٦,٦٨
دول عربية أخرى	٨٢٣٩	٣,٢	٨٩٣٦	٣,٣	١٤٨٧٤	٤,٢٥	٢٤٣١٩	٥,١٥	٣٥٤٢٩	٥,٢٣
دول أخرى	٥٤٣٣١	٢١,٣	٥٥٢١٥	٢٠,٣	٨٠١٦١	٢٢,٩	٩٤٧١٩	٢٠	١٣٧٦٩٩	٢٠,٣
المجموع الكلي	٢٥٤٨٩٨	١٠٠	٢٧١٧٤١	١٠٠	٣٤٩٦٦٤	١٠٠	٤٧٢٤٩١	١٠٠	٦٧٧١٤٤	١٠٠

المصدر: مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات (٢٠٠٧) التقرير السنوي. وزارة التخطيط. الرياض

أما واردات المملكة حسب المنشأ في عام ٢٠٠٦م فتوزعت إلى واردات من الولايات المتحدة بنسبة ١٤،٧٪ ومن منطقة اليورو ٢٠،٧٪ ومن اليابان ٨٪ ومن المملكة المتحدة ٧،٤٪ ومن الصين٨،٧٪ وبالتالي٨٥٪ من الواردات هي من مناطق عملات ارتفعت قيمتها مقابل الريال السعودي كما في الجدول (٢).

الجدول (٢) واردات المملكة حسب المنشأ خلال الفترة (٢٠٠٤-٢٠٠٦م)
(ملايين الريالات السعودية)

البلد	٢٠٠٤م		٢٠٠٥		٢٠٠٦	
	القيمة	النسبة٪	القيمة	النسبة٪	القيمة	النسبة٪
منطقة الدولار						
الولايات المتحدة	٢٥٦٣٥	١٥،٣	٣٢٩٥٣	١٤،٨	٣٦٦٣١	١٤،٧
منطقة اليورو						
المانيا	١٣٥٤٤	٨،١	١٨٢٣٨	٨،٢	٢٠٤٣٠	٨،٢
ايطاليا	٥٧١٧	٣،٤	٨٤٦٨	٣،٨	٩٧٥١	٣،٩
فرنسا	٥٨٦٧	٣،٤	٧٦٨٧	٣،٨	٩٧٢٠	٣،٩
فنلندا	١١١٨	،٧	٣٨٧٠	١،٧	٤٣٢٢	١،٧
السويد	٢٧٩٢	١،٧	٣٦٢١	١،٦	٣٨٧١	١،٦
هولندا	٣٠٢٤	١,٨	٣٧٠٣	١,٧	٣٥٨٤	١،٤
المجموع لمنطقة اليورو	٣٢٠٦٢	١٩،١	٤٥٥٨٧	٢٠،٨	٥١٦٧٨	٢٠،٧
منطقة الإسترليني						
المملكة المتحدة(UK)	٩٥٢٩	٥،٧	١٠٤٤٣	٤،٧	٩٩٣٨	٧،٤
منطقة الفرنك السويسري						
سويسرا	٣١٧٠	١،٩	٤٨٠٧	٢،٢	٤٠٧٤	١،٦
منطقة الين الياباني						
اليابان	١٦٣٧٣	٩،٨	٢٠٠٩٣	٩	١٩٩٤٩	٨
كوريا الجنوبية	٦٣٨١	٣،٨	٨١٣٨	٣،٦	٩٥٤٤	٣،٨
الهند	٥٣١٤	٣،٢	٦٨٨٤	٣،١	٩٢٩١	٣،٧
استراليا	٤٨٠٢	٢،٩	٦٢٧٠	٢،٨	٦٥٦١	٢،٦
تايلاند	٢٠٢٧	١،٢	٣٨١٧	١،٧	٤٨٤٩	٢
البرازيل	٢٩٣١	١،٧	٤٩٢٢	٢،٢	٤٥٨٢	١،٨
الصين الشعبية	١١١٣٠	٪٦،٦	١٦٥٢١	٧،٤	٢١٧١٦	٨،٧
دول مجلس التعاون الخليجي	١٧٩٣٤	١٠،٧	٢٥٦٥٩	١١،٥	٣٠٦١٨	١٢،٣
الدول العربية الأخرى	٥٩٣٨	٣،٥	٨٢٨٦	٣،٧	٨٠٥٨	٣،٢
بقية دول العالم	٢٤٥٢٢	١٤،٦	٢٨٦٠٨	١٢،٨	٣٠٩١٦	١٢،٤
إجمالي الواردات	١٦٧٧٩٣	٪١٠٠	٢٢٢٩٨٥	٪١٠٠	٢٤٨٤٠٥	٪١٠٠

المصدر: مؤسسة النقد العربي السعودي (٢٠٠٧) التقرير السنوي رقم ٤٣، الرياض ص١٣١

النظام المالي للمملكة يتكون من مؤسسة النقد العربي السعودي على قمة هرم النظام المالي والتي تشرف على ١١ بنك تجاري سعودي و١٠ بنوك تجارية أجنبية وخمسة صناديق تمويل متخصصة زراعية وصناعية واستثمارية وائتمانية وعقارية بالإضافة لشركات التأمين التعاوني والسوق المالي والصرافون ومهام مؤسسة النقد العربي السعودي طبقا للمرسوم الملكي رقم ٢٣ بتاريخ ١٥ كانون الثاني عام ١٩٥٧م تتضمن المسؤوليات التالية:(Abdeen&Shook:1984.35) (١)إصدار النقود الورقية والمعدنية.(٢)العمل على استقرار قيمة الريال وسعر الصرف. (٣) بيع الذهب والفضة لحساب الحكومة.(٤) الاحتفاظ وإدارة الاحتياطيات النقدية للمملكة. (٥) التحكم بعرض النقود .(٦) إتباع سياسة نقدية انكماشية أو توسعية طبقا لحالة الاقتصاد الوطني. ويمكن إيجاز سياسة سعر الصرف الأجنبي للريال كما في الجدول(٣)الجدول (٣) سياسة سعر الصرف الأجنبي للريال (١٩٧١-٢٠٠٣)

السنة	سياسة سعر الصرف الأجنبي للريال
١٩٦٠م	اعتماد الريال كعملة قابلة للتحويل (Convertible Currency)
١٩٧١م	رفع قيمة الريال مقابل الدولار من ٤،٥الى ٤،١٤ عند انخفاض الدولار
١٩٧٣م	رفع قيمة الريال مقابل الدولار من ٤،١٤ إلى٣،٧٣ ثم إلى ٣،٥٥ عند انخفاض الدولار
١٩٧٥م	ربط الريال مع حقوق السحب الخاصة (SDRs) بسعر ٢،٤ريال لوحدة السحب
١٩٨٦م	ربط الريال بالدولار عند سعر صرف ٣،٧٥ ريال للدولار وما زال مستمرا لغاية الآن

المصدر: مؤسسة النقد العربي السعودي (٢٠٠٧) تقارير سنوية متعددة. الرياض

وانخفض سعر صرف الريال مقابل العملات الأخرى بنسبة ٣٨٪ خلال الفترة ٢٠٠٠-٢٠٠٨كما في الجدول ٤.

متوسط	الفرنك	الراند	الكرون	اليورو	الدولار	الكرون	الجنيه	الكرون	الين	الريال	الدولار	الدولار	معدل
الفترة	السويسري	جنوب أفريقيا	الدانمركي	الأوروبي	الأمريكي	السويدي	الإسترليني	النرويجي	الياباني	الإيراني	الكندي	الاسترالي	التغيير
١٩٩٤	٢,٧٥٦٢	١,٠٥٥٢	٠,٥٩١٧	---	٣,٧٤٥٠	٠,٤٨٧٧	٥,٧٤٦٨	٠,٥٣٣٧	٠,٠٣٧٠	٠,٠٠٢١	٢,٧٣٤٧	٢,٧٥١٤	
١٩٩٥	٣,٢٠٥٩	١,٠٣٢٢	٠,٦٧٤٩	---	٣,٧٤٥٠	٠,٥٢٩٦	٥,٩٢٦٣	٠,٥٩٥٦	٠,٠٤٠١	٠,٠٠٢١	٢,٧٣٧٠	٢,٧٦٩١	
١٩٩٦	٣,٠١٥٧	٠,٨٦٩٢	٠,٦٤٤٥	---	٣,٧٤٥٠	٠,٥٥٨٤	٥,٨٧٨٠	٠,٥٨٠١	٠,٠٣٤٣	٠,٠٠٢١	٢,٧٤٥٦	٢,٩٤٣٢	
١٩٩٧	٢,٥٧٩٣	٠,٨١١٨	٠,٥٦٦٠	---	٣,٧٤٥٠	٠,٤٨٧٩	٦,١٣٥٥	٠,٥٢٩٤	٠,٠٣٠٨	٠,٠٠٢١	٢,٦٩٨٠	٢,٧٦٠٣	
١٩٩٨	٢,٥٨٤٠	٠,٦٧٨٤	٠,٥٥٩٢	---	٣,٧٥٠٠	٠,٤٧٠٨	٦,٢١٩٨	٠,٤٩٦١	٠,٠٢٨٧	٠,٠٠٢١	٢,٥١٦٥	٢,٣٥٢٤	
١٩٩٩	٢,٤٧٥٥	٠,٦١١٤	٠,٥٣٣٨	٣,٩٦٥٩	٣,٧٥٠٠	٠,٤٥١٦	٦,٠٤١٩	٠,٤٧٧٤	٠,٠٣٣٢	٠,٠٠٢١	٢,٥٢٥٥	٢,٤١١٣	
٢٠٠٠	٢,٢١٢٧	٠,٥٣٨٤	٠,٤٦٢٥	٣,٤٤٣٠	٣,٧٥٠٠	٠,٤٠٧١	٥,٦٧١١	٠,٤٢٤١	٠,٠٣٤٦	٠,٠٠٢١	٢,٥١٩٨	٢,١٥٧٤	
٢٠٠١	٢,٢١٥٩	٠,٤٣٤٨	٠,٤٤٨٤	٣,٣٤٠٠	٣,٧٥٠٠	٠,٣٦١١	٥,٣٩٥٧	٠,٤١٥٥	٠,٠٣٠٦	٠,٠٠٢١	٢,٤١٧٦	١,٩٢٣٩	
٢٠٠٢	٢,٤٣٠٤	٠,٣٦٤٤	٠,٤٧٩٦	٣,٥٦٣٣	٣,٧٥٠٠	٠,٣٨٩٦	٥,٦٥٦٤	٠,٤٧٦٩	٠,٠٣٠١	٠,٠٠٠٧	٢,٣٨٥٨	٢,٠٤٥٦	
٢٠٠٣	٢,٨٠٣٩	٠,٥٠٦٩	٠,٥٧٤٤	٤,٢٧١٦	٣,٧٥٠٠	٠,٤٦٨٠	٦,١٦٢٩	٠,٥٣١٣	٠,٠٣٢٤	٠,٠٠٠٥	٢,٦٩٥٩	٢,٤٥٩٤	
٢٠٠٤	٣,٠٢٧٠	٠,٥٨٩٣	٠,٦٢٨٣	٤,٦٧٤٠	٣,٧٥٠٠	٠,٥١٢٣	٦,٨٦٨٩	٠,٥٥٩٠	٠,٠٣٤٨	٠,٠٠٠٤	٢,٩٠٠٣	٢,٧٦١٦	
٢٠٠٥	٢,٩٩٩٤	٠,٥٨٩٨	٠,٦٢٢٩	٤,٦٤٢٠	٣,٧٤٩٦	٠,٥٠٠٣	٦,٧٩٤٢	٠,٥٧٩٦	٠,٠٣٣٩	٠,٠٠٠٤	٣,١٠٥٤	٢,٨٥١٨	
٢٠٠٦	٣,٠٠٣٣	٠,٥٥٤٦	٠,٦٣٥٠	٤,٧٣٦٢	٣,٧٥٠٠	٠,٥١٢٦	٦,٩٤٨٦	٠,٥٨٩١	٠,٠٣٢٢	٠,٠٠٠٤	٣,٣١٧٣	٢,٨٤٠١	
٢٠٠٧	٣,٠٥٧٢	٠,٥٢٢٢	٠,٦٧٧٣	٥,٠٤٤٩	٣,٧٥٠٠	٠,٥٤١٧	٧,٤١٤٩	٠,٦٢١٣	٠,٠٣٠٨	٠,٠٠٠٤	٣,٥٠٥٠	٣,٠٩١٥	
٢٠٠٨*	٣,٤٩٩٠	٠,٥٤١٥	٠,٧٥٤٤	٥,٥٦١٣	٣,٧٥٠٠	٠,٦٠٥٨	٧,٤١٠٧	٠,٧١٠١	٠,٠٣٥٩	٠,٠٠٠٤١	٣,٧١٣٠	٣,٣١٧٠	
نسبة التغير	٥٧٪-	٢٥٪-	٦٨٪-	٦٦٪-	٠٪	٦٧٪-	٣٧٪-	٧١٪-	١٧٪-	٨٠٪+	٥٣٪-	٧٢٪-	٣٨٪-

جدول (٤) أسعار الصرف الريال مقابل العملات الأجنبية الرئيسية (٢٠٠١-٢٠٠٨)

*Arab News (2008) Exchange Rates of Riyal. January 23. 2008

المصدر:صندوق النقد العربي(٢٠٠٧) التقرير السنوي. أبو ظبي

وفي عام٢٠٠٨م لوحظ حدوث فجوة تزيد عن ٣٪ بين سعر الفائدة على إقراض الريال (٥،٥٪) وبين سعر الفائدة على الدولار (٢٪) وهذا يتعارض مع سياسة ربط الريال مع الدولار التي تتطلب تناسق السياسات النقدية بين المملكة والولايات المتحدة. وتطور أسعار الفائدة على الريال والدولار مبين في الجدول (٥).

الجدول(٥) أسعار الفائدة على ودائع الريال والدولار لمدة ٣ شهور(٢٠٠١-٢٠٠٨)

السنة	الفائدة على سعر إقراض الريال (الريبو) ٪*	الفائدة على الدولار٪	فجوة فائدة الريال والدولار٪
٢٠٠١م	٣,٩٢	٣,٦٨	٠,٢٥
٢٠٠٢م	٢,٢٣	١,٧١	٠،٥٢
٢٠٠٣م	١,٦٣	١,١١	٠،٥٢
٢٠٠٤م	١,٧٣	١,٥٣	٠،٢٠
٢٠٠٥م	٣,٧٦	٣,٤٩	٠،٢٧
٢٠٠٦م	٥,٠٢	٥,١٣	-٠,١١
٢٠٠٧م	٤,٩٧	٥,٢٦	-٠،٢٩
٢٠٠٨م	٥,٥	٢	٣,٥

* سعر الفائدة على ودائع الريال (الريبو العكسي) ٢٪

(http://www/daralhyat .net/actions)

المصدر: مؤسسة النقد العربي السعودي(٢٠٠٧) التقرير السنوي ٤٣. الرياض

لوحظ أن العائد الحقيقي على الريال أصبح بالسالب (-٤،١٪) نتيجة لارتفاع التضخم في المملكة إلى ٦ , ٩٪ والذي يفوق سعر الفائدة الاسمي للريال(الريبو) ٥،٥٪ وهو أمر لا يشجع على الادخار. وقد حاولت مؤسسة النقد السعودي الحد من التضخم برفع نسبة الاحتياطي الإلزامي إلى ١٣٪ على الودائع تحت الطلب.

المبحث الرابع

تحليل نتائج الدراسة الميدانية ويشمل:

أولا: العينة ونوعها ونطاقها:

نظرا لعدم توفر إحصائيات دقيقة عن مجتمع الدراسة المكون من خبراء في سعر صرف الأجنبي للعملة الوطنية من الأكاديميين ورجال الأعمال في خمسة مدن رئيسية في المملكة فقد تم اختيار عينة قصديه حصصية غير احتمالية حجمها ١٥٠خبير في مدن الطائف وجدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض حيث تم توزيع الأستبانة بالتساوي في كل من المدن الخمسة.

ثانيا: خصائص أفراد عينة الدراسة

تبين من تحليل البيانات الأولية لعينة الدراسة أن خصائص أفراد العينة كانت كما هو مبين في الجدول ٦:

الجدول (٦) تحليل خصائص أفراد عينة الدراسة

المتغير	الفئات	الرمز	التكرار	النسبة
١. نوع المؤسسة	شركة	١	٣٣	٣٨.٤٪
	جامعة	٢	٣٢	٣٧.٢٪
	مؤسسة عامة	٣	١٠	١١.٦٪
	بنك	٤	١١	١٢.٨٪
٢. المهنة	رجل أعمال	١	٥٣	٦٠.٦١٪
	أكاديمي جامعي	٢	٣٣	٣٨.٤٪
٣.التخصص العلمي	تمويل/محاسبة	١	٢١	٢٤.٤٪
	اقتصاد	٢	١٨	٢٠.٩٪
	إدارة	٣	٢٢	٢٥.٦٪
	أخرى	٤	٢٥	٢٩.١٪
٤.المستوى العلمي	دكتوراه	١	٣٥	٤٠.٧٪
	ماجستير	٢	١٤	١٦.٣٪
	بكالوريوس	٣	٢١	٢٤.٤٪
	دبلوم أو أقل	٤	١٦	١٨.٦٪
٥.سنوات الخبرة	١-٥	١	١٤	١٦.٢٨٪
	٦-١٠	٢	١٤	١٦.٢٨٪
	١١-١٥	٣	٢٠	٢٣.٢٦٪
	١٦- فأكثر	٤	٣٨	٤٤.١٩٪
٦.مكان العمل	الطائف	١	٣٠	٣٤.٨٨٪
	جدة	٢	٩	١٠.٤٧٪
	مكة المكرمة	٣	١٦	١٨.٦٪
	الرياض	٤	٢٠	٢٣.٢٦٪
	المدينة المنورة	٥	١١	١٢.٧٩٪

المصدر: تحليل الباحثين

يظهر تحليل عينة الدراسة أن معظم أفراد العينة يعمل في شركات أعمال وجامعات في وظائف إدارية ومهنية وأكاديمية وهم من تخصصات معظمها في الإدارة والتمويل ومعظمهم من حملة الدكتوراه والماجستير ومعظمهم لهم بخبرات تجاوزت خمس عشر سنة ومعظم أعمالهم تركزت في الرياض والطائف وجدة ومكة والمدينة .

ثالثا: التحليل الإحصائي لنتائج الدراسة

أ-تحليل الأهمية النسبية للدولار الأمريكي مقابل العملات الرئيسية

يعتبر الدولار الأمريكي عملة رئيسية تلعب دورا هاما في الاقتصاد العالمي من حيث كونه يشكل عملة احتياط دولية لمعظم البنوك المركزية ويزود الاقتصاديات الدولية بالسيولة النقدية والدولار يعتبر مخزن للقيمة وكعملة رئيسية في إصدار سندات الدين الدولية. ولكن بدئت عملات أخرى مثل اليورو تشارك الدولار التربع على عرش العملات الدولية وقد أحرز اليورو بعض النجاح فقيمة أوراق اليورو المتداولة خارج المصارف تتجاوز قيمة أوراق الدولار وقد بدئت قيمة اليورو ترتفع مقابل الدولار من ٠،٩٠ دولار لليورو في عام ٢٠٠٠م إلى ١،٦٠ دولار لليورو في ابريل ٢٠٠٨م. كما ارتفعت حصة اليورو في احتياطات الصرف الأجنبي الرسمي من ١٩،٧٪ إلى ٢٦،٥٪ مقابل حصة الدولار التي تبلغ ٦٣،٩٪ كما في الجدول رقم ٧.

الجدول(٧) الأهمية النسبية للدولار مقابل اليورو

بنود المقارنة	الدولار	اليورو
الناتج المحلي الإجمالي(GDP) تريليون دولار	٦،١١	٦،٩
معدل دوران سوق الصرف الأجنبي (Foreign Exchange Market Turnover)	٤٣	٥،١٨
قيمة الرأسمالية لسوق المال (تريليون دولار) (Stock market value ($trillion)	١٥،٦	٦،١٣
قيمة العملة المتداولة خارج المصارف (بليون دولار) (Currency in Circulation(bn $)	٨٢١	٨٩٥
حصة الدولار مقابل اليورو في الاحتياطيات العالمية*	٦٣،٩٪	٢٦،٥٪

*حصةالأسترليني في الأحتياطي العالمي٤،٧٪ والين الياباني ٣٪ والفرنك السويسري ٠،٥٪ وعملات أخرى ١،٤٪.

المصدر: صندوق النقد الدولي (٢٠٠٧) التقرير ألربعي الأخير عام ٢٠٠٧م. واشنطن

وقد أشار بحث صدر عام ٢٠٠٥ م عن المكتب الوطني للبحوث الاقتصادية إلى أنه من المتوقع خلال العشرين عاما المقبلة أن يصبح اليورو عملة التداول والاحتياطي الأولى عالميا (NBER 2005:)

وقد انخفض الدولار مقابل العملات الرئيسية الأخرى للفترة (٢٠٠٢-٢٠٠٧م) بنسبة٣٨٪ كما في الجدول ٨.

جدول (٨) معدل انخفاض الدولار الأمريكي مقابل العملات الرئيسية للفترة (٢٠٠٢-٢٠٠٧)

العملات الرئيسية	نسبة انخفاض الدولار مقابل العملات الرئيسية
اليورو	٤٩٪ -
الإسترليني	٣٠٪ -
الدولار الكندي	٢٦٪ -
الفرنك السويسري	٦٪-
الين الياباني	١٢٪-
الكرون النرويجي	٤٧٪-
الكرون السويدي	٤٥٪-
الدولار الأسترالي	٤١٪-
المعدل	٣٨٪-

المصادر: صندوق النقد الدولي (٢٠٠٧) أسعار صرف العملات الأجنبية مقابل الدولار.واشنطن

تبين من تحليل بيانات العينة أن متوسط الأهمية الكلية النسبية للدولار مقابل العملات الأخرى بلغت (٣،٧٧) نقطة على مقياس ليكرت الخماسي وهي تعبرعن أهمية متوسطة بينما كانت الأهمية الجزئية للدولار من حيث أهمية الدولار في معاملات التجارة الخارجية (١٣ , ٤) تليها أهمية الدولار في أغراض السياحة والسفر (٣،٩٩) ثم أهمية الدولار كاحتياطي (٣،٧٩) وكعملة استثمار وادخار (٣،٦٤) ويليها أهمية الدولار في تقييم الأصول (٣،٥٤) وجاءت أهمية الدولار من حيث القوة الشرائية في أدنى المراتب (٣،٣٦). كما أعطى الأكاديميون أهمية أكثر للدولار(٣،٧٦) من نظرائهم رجال الأعمال (٣,٧٤) وقد أظهر اختبار "ت" أن ليس هناك اختلاف ذو دلالة إحصائية عند مستوى المعنوية ٥٪ بين آراء الأكاديميين ورجال الأعمال وقد تراوح تشتت البيانات مقاسا بالانحراف المعياري بين ٠،٩٣٩و١،١٠٥وهي انحرافات متوسطة كما في الجدول (٩).

جدول(٩)تحليل بيانات العينة حول الأهمية النسبية للدولار مقابل العملات الرئيسية الأخرى

(مقياس ليكرت الخماسي للأهمية ١ = قليلة جدا ٢ = قليلة ٣ = متوسطة ٤ = كبيرة ٥ = كبيرة جدا)

أولا: أهمية الريال مقابل العملات الرئيسية الأخرى	المتوسط الحسابي لرجال الأعمال	المتوسط الحسابي للأكاديميين	اختبار -t-	المتوسط الحسابي الكلي	الانحراف المعياري
١. ما هي أهمية الدولار النسبية في معاملات التجارة الخارجية؟	٤,٠٤	٤,٢٦	-١,٠٥٦**	٤,١٣	٠,٩٩٢
٢. ما هي أهمية الدولار النسبية كاحتياطي؟	٣,٧٥	٣,٨٦	-٠,٥٥٠**	٣,٧٩	٠,٩٤٧
٣. ما هي أهمية الدولار كعملة تستخدم في الاستثمار والادخار؟	٣,٦٧	٣,٦٠	٠,٣١٩**	٣,٦٤	٠,٩٩٣
٤. ما أهمية الدولار في السياحة والسفر؟	٣,٩٨	٤,٠٠	-٠,١٠١**	٣,٩٩	٠,٩٣٩
٥. ما هي الدولار كعملة تقييم الأصول المالية والممتلكات؟	٣,٥٥	٣,٥١	٠,١٥٢**	٣,٥٣	١,١٠٣
٦. أهمية الدولار من حيث القوة الشرائية	٣,٣٥	٣,٣٧	-٠,٨٠**	٣,٣٦	١,١٠٥
المعدل العام	٣,٧٢	٣,٧٦		٣,٧٤	

* اختبارت غير ذي دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪

المرجع: تحليل الباحثين لبيانات عينة الدراسة

ب-تحليل مبررات ومزايا ربط العملة السعودية بالدولار الأمريكي

تبين من استعراض تطور ارتباط الريال بالدولار خلال العقدين الماضيين أن هذا الارتباط كان له أساسيات اقتصادية قوية في البداية حيث كان الدولار قويا والتضخم منخفض والحسابات الجارية معظمها موجبة مما أدى إلى تحقيق المزايا التالية للاقتصاد السعودي(١) تحقيق الاستقرار في سعر صرف الريال بعيدا عن المضاربة لعقدين من الزمن.(٢) الحصول على ثقة المتعاملين بالريال نتيجة لعدم تقلب سياسة سعر الصرف المرتبط بالدولار.(٣) تشجيع الصادرات السعودية بسبب انخفاض سعر صرف الريال المرتبط بالدولار مما يحسن من تنافسية السلع السعودية.(٤) الحفاظ على الإجماع بين دول مجلس تعاون الخليجي على ضرورة الربط بالدولار.

وقد تبين من تحليل بيانات العينة حول مبررات ومزايا ربط الريال بالدولار أن المتوسط الكلي بلغ (٣،٧٧) على مقياس ليكرت الخماسي وهي مبررات متوسطة بينما كان الترتيب التنازلي لمبررات ربط الريال مع الدولار كما يلي: مبرر أن معظم التدفقات النقدية للمملكة تقيم بالدولار حصلت على أعلى الرتب (٤،٢٨) يليه مبرر أن صادرات المملكة تقيم بالدولار(٤،٠٣) يليه مبرر أن احتياطات العملات

الأجنبية معظمها بالدولار (٤،٠٠) يليه مبرر أن معظم الدول النامية تربط عملاتها بالدولار(٣،٩٤) يليه مبرر أن معظم الاستثمارات مقيمة بالدولار (٣،٩٢) يليه مبرر أن معظم المديونية الخارجية بالدولار (٣،٩٠) يليه مبرر دعم الاقتصاد الأمريكي لقوة الدولار (٣،٧٩) يليه مبرر وجود اتفاق بين دول مجلس التعاون الخليجي للربط بالدولار (٣،٦٢) يليه مبرر أن معظم المحافظ الاستثمارية السعودية مقومة بالدولار(٣،٥٩) يليه مبرر أن الربط مع الدولار يحقق الاستقرار النقدي في المملكة (٣،١٦). وقد أعطى الأكاديميون أهمية أقل(٣،٧١) من رجال الأعمال (٣،٩٠) لمبررات الربط مع الدولار وقد أظهر اختبار "ت" أن الاختلاف بين آراء الأكاديميين ورجال الأعمال حول مبررات الربط مع الدولار ليس له دلاله إحصائية عند مستوى معنوية ٥٪ وقد تراوح الانحراف المعياري بين ٠،٩٦١و١،١٩٨ وهي انحرافات متوسطة كما في الجدول ١٠:

الجدول (١٠) تحليل مبررات ومزايا ربط الريال بالدولار (مقياس ليكرت الخماسي)

ثانيا: مبررات ومزايا ربط الريال بالدولار	المتوسط الحسابي لرجال الأعمال	المتوسط الحسابي للأكاديميين	اختبار -t-	المتوسط الحسابي الكلي	الانحراف المعياري
٧. معظم التدفقات النقدية يتم تقييمها بالدولار	٤,٢٠	٤,٤٠	-.٩٢٩**	٤,٢٨	١,٠٣٦
٨. عملة الدولار تحقق الاستقرار النقدي في المملكة	٣,٢٧	٣,٠٠	١,١٦**	٣,١٦	١,٠٩٤
٩. احتياطات العملات الأجنبية في المملكة معظمها بالدولار	٤,٠٢	٣,٩٧	٠,٢٠٠**	٤,٠٠	١,١١٧
١٠. صادرات المملكة معظمها يتم تقييمها بالدولار	٤,٠٨	٣,٩٧	٠,٤٥١**	٤,٠٣	١,٠٦٨
١١. معظم الاستثمارات الخارجية للمملكة تقيم بالدولار	٤,٠٠	٣,٨٠	٠,٩٧٧**	٣,٩٢	٠,٩٦١
١٢. المحافظ الاستثمارية في البنوك جزء كبير منها بالدولار	٣,٦٣	٣,٥٤	٠,٣٩٧**	٣,٥٩	١,٠٥٦
١٣. وجود اتفاق بين دول مجلس التعاون لربط عملاتها بالدولار	٣,٧٥	٣,٤٣	١,٣٠٥**	٣,٦٢	١,١٣٩
١٤. الاقتصاد الأمريكي يعتبر داعم لقوة الدولار	٣,٩٨	٣,٥١	٢,٠٦٤**	٣,٧٩	١,٠٣١
١٥. معظم الدول النامية وخاصة العربية ا تربط عملاتها بالدولار	٤,٠٦	٣,٥٧	١,١٨٧**	٣,٩٤	١,٠٨٨
١٦. المديونية الخارجية للمملكة معظمها بالدولار	٤,١٢	٣,٧٥	١,٤٩٢**	٣,٩٠	١,١٩٨
المعدل العام	٣,٩٠	٣,٧١	-.٤٨١**	٣,٧٧	

المرجع: تحليل الباحثين لبيانات عينة الدراسة ** اختبارت ليس ذو دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪

ج: تحليل التحديات والمخاطر الناجمة عن ربط العملة السعودية بالدولار

بالرغم من أن سياسة الربط مع الدولار قد أفاد المملكة في الماضي من حيث استقرار سعر الصرف الأجنبي للريال ولكن الآن اختلفت المعطيات الاقتصادية مما سبب في عدم توافق السياسات النقدية بين المملكة والولايات المتحدة الأمريكية مما يضعف مبررات ربط الريال السعودي بالدولار بسبب النمو الاقتصادي القوي في المملكة ومعدلات التضخم المرتفعة وانخفاض قيمة الدولار مما أحدث آثار سلبية ترتبت على المملكة وهي كما يلي:

(١) هبوط الدولار بنسبة ٤٠٪ أدى إلى تراجع القوة الشرائية للريال بنسبة تزيد عن ٢٠٪ خلال الستة سنوات الماضية طبقا لدراسة قام بها بنك مورجان ستانلي والتي تذكر أن كل انخفاض بقيمة الدولار بنسبة ١٠٪ يخفض قيمة العملات الخليجية بنسبة ٥٪ وان نسبة الانخفاض في قيمة الدولار خلال العقود الماضية قاربت ٤٠٪ مما أحدث انخفاض بقيمة العملات الخليجية بنسبة ٢٠٪ (بنك مورجان ستانلي:٢٠٠٧). وطبقا للتقديرات الأولية لمعهد التمويل التابع للبنك الدولي فأن العملات الخليجية انخفضت بنسبة تزيد عن ٢٠٪ تجاه العملات الرئيسية وأن الصادرات الخليجية تقدر ٥٤٠ مليار دولار والواردات الخليجية تقدر ٣٥٠ مليار دولار، وأن ثلثي الصادرات والواردات الخليجية تتم بعملات غير الدولار مما أدى إلى تكبد دول الخليج العربي خسائر سنوية قيمتها ١٢٠ مليار دولار تتمثل في ٧٤ مليار دولار خسائر على هيئة انخفاض قيمة صادراتها المقيمة بالدولار و٤٦ مليار دولار على هيئة ارتفاع قيمة وارداتها وبما أن الاقتصاد السعودي يشكل حوالي ٥٥٪ من اقتصاديات دول الخليج العربي لذلك تقدر خسارة المملكة بحوالي ٦٦،١ مليار دولار سنويا

(http//wallstreetwindow.com/usdollar.htm?gclid).

(٢) المساهمة في زيادة نسبة التضخم في المملكة نتيجة لارتفاع قيمة المستوردات من مناطق عملات رئيسية ارتفعت قيمتها مقابل الريال حيث يساهم ربط الريال بالدولار بما نسبته ٣١٪ من التضخم البالغ ٩,٦٪ حسب المعادلة التالية: (Al-Bassam:1999.24)

$$IP=(RTI/RGDP)\times SP$$

Where

IP = imported Inflation

RTI =Real Total Imports

RGDP=Real GDP

SP=Inflation of Industrial Countries.

$$IP=(RTI/RGDP)\times SP$$

$$IP=(SR248\ billion/SR282\ billion)\times 3.4\%=2.99\%$$

والتضخم المستورد (٢،٩٩٪) يشكل ٣١٪ من نسبة التضخم العام في المملكة والذي يبلغ ٩،٦٪ في شهر أيار٢٠٠٨م.

(٣) حصول مضاربات على سعر صرف الريال السعودي ترقبا لتغير سياسة سعر الصرف وخاصة بعد تخفيض الفائدة على الدولار وعدم تخفيضها على الريال السعودي.

(٤) التأثير السلبي على قيم الأصول المالية واستثمارات المملكة المقومة بالدولار الأمريكي مما أدى لتحول المستثمرين السعوديين بعيدا عن الأصول المقومة بالدولار.

(٥) التأثير السلبي على قيم احتياطيات مؤسسة النقد العربي السعودي بالدولار الأمريكي نتيجة لتراجع الدولار بنسب تزيد عن ٤٠٪ خلال السنوات القليلة الماضية.

(٦) زيادة التزامات المملكة تجاه مديونيتها الخارجية بعملات غير الدولار الأمريكي.

(٧) انخفاض القيمة الحقيقية لإيرادات المملكة من النفط المقومة بالدولار وأسعار النفط الحقيقية الآن لم تصل إلى مستوى أسعار النفط في بداية السبعينات من القرن الميلادي السابق نتيجة لارتفاع مستويات التضخم خلال ٣٠ عاما وان من المفترض أن يرتفع سعر برميل النفط إلى ١٥٠دولار ليصل إلى مستوى السعر الحقيقي لبرميل النفط في منتصف السبعينات من القرن الميلادي الماضي.

(٨)التأثير السلبي على استقلالية قرار مؤسسة النقد السعودي في استخدام أدوات السياسة النقدية بمعزل عن سياسة بنك الاحتياط الفدرالي الأمريكي حيث هناك تعارض بين السياسات النقدية السعودية والأمريكية فيما يتعلق بأسعار الفائدة وهذا لا يتماشى والمحافظة على نظام ربط الريال مع الدولار.

(٩) تكبد السياح السعوديون لتكاليف إضافية لبلدان أوروبية ولشرق آسيا نتيجة للربط مع الدولار.

أمكن تقدير مخاطر تذبذب سعر صرف الريال مقابل اليورو والين الياباني والجنيه الإسترليني والفرنك السويسري وعملات أخرى كالدولار الكندي والدولار الأسترالي والكرون السويدي باستخدام معامل التغير (Coefficient of Variation) للمقارنة بين مخاطر تذبذب سعر صرف الريال مقابل العملات الرئيسية طبقا للمعادلة التالية: (أبو صالح & عوض:٢٠٠٦،٧٢): $C.V. = \frac{S}{\bar{x}} * 100$

حيث أن :C.V = معدل التغير لتذبذب سعر صرف الريال مقابل العملات الأخرى

S = الانحراف المعياري لتذبذب سعر صرف الريال مقابل عملة ما

$\bar{x}$ = المتوسط الحسابي لتذبذب سعر صرف الريال تجاه عملة أجنبية

وقد جاء ترتيب مخاطر تذبذب سعر صرف الريال مقابل اليورو المرتبة الأعلى بنسبة ١٨،٢٪

يليها مخاطر تذبذب سعر صرف الريال مقابل الدولار الأسترالي بنسبة ١٦،٢ ٪ يليها مخاطر تذبذب سعر صرف الريال مقابل الدولار الكندي بنسبة ١٤،٩٪ يليها مخاطر تغير سعر صرف الريال مقابل الفرنك السويسري بنسبة ١٤،٥٪ ثم مقابل الكرون السويدي بنسبة ١٤،٤٪ ثم تلاها مخاطر تذبذب سعر صرف الريال مقابل الجنيه الإسترليني بنسبة ١٠،٦٪ وكان اقل هذه المخاطر تذبذب سعر صرف الريال مقابل الدولار ٠،٠٦٪. كما في الجدول ١١:

جدول (١١) تحليل مخاطر تذبذب سعر صرف الريال السعودي مقابل العملات الرئيسية للفترة ١٩٩٤-٢٠٠٨

السنة	الدولار لأمريكي	الدولار الاسترالي	الدولار الكندي	الين الياباني	الجنيه الإسترليني	الكرون السويدي	اليورو	الفرنك السويسري
١٩٩٤	٣,٧٤٥	٢,٧٥١	٢,٧٣٥	٠,٠٣٧	٥,٧٤٧	٠,٤٨٨	---	٢,٧٥٦
١٩٩٥	٣,٧٤٥	٢,٧٦٩	٢,٧٣٧	٠,٠٤٠	٥,٩٢٦	٠,٥٣٠	---	٣,٢٠٦
١٩٩٦	٣,٧٤٥	٢,٩٤٣	٢,٧٤٦	٠,٠٣٤	٥,٨٧٨	٠,٥٥٨	---	٣,٠١٦
١٩٩٧	٣,٧٤٥	٢,٧٦٠	٢,٦٩٨	٠,٠٣١	٦,١٣٦	٠,٤٨٨	---	٢,٥٧٩
١٩٩٨	٣,٧٥٠	٢,٣٥٢	٢,٥١٧	٠,٠٢٩	٦,٢٢٠	٠,٤٧١	---	٢,٥٨٤
١٩٩٩	٣,٧٥٠	٢,٤١١	٢,٥٢٦	٠,٠٣٣	٦,٠٤٢	٠,٤٥٢	٣,٩٦٦	٢,٤٧٦
٢٠٠٠	٣,٧٥٠	٢,١٥٧	٢,٥٢٠	٠,٠٣٥	٥,٦٧١	٠,٤٠٧	٣,٤٤٣	٢,٢١٣
٢٠٠١	٣,٧٥٠	١,٩٢٤	٢,٤١٨	٠,٠٣١	٥,٣٩٦	٠,٣٦١	٣,٣٤٠	٢,٢١٦
٢٠٠٢	٣,٧٥٠	٢,٠٤٦	٢,٣٨٦	٠,٠٣٠	٥,٦٥٦	٠,٣٩٠	٣,٥٦٣	٢,٤٣٠
٢٠٠٣	٣,٧٥٠	٢,٤٥٩	٢,٦٩٦	٠,٠٣٢	٦,١٦٣	٠,٤٦٨	٤,٢٧٢	٢,٨٠٤
٢٠٠٤	٣,٧٥٠	٢,٧٦٢	٢,٩٠٠	٠,٠٣٥	٦,٨٦٩	٠,٥١٢	٤,٦٧٤	٣,٠٢٧
٢٠٠٥	٣,٧٥٠	٢,٨٥٢	٣,١٠٥	٠,٠٣٤	٦,٧٩٤	٠,٥٠٠	٤,٦٤٢	٢,٩٩٩
٢٠٠٦	٣,٧٥٠	٢,٨٤٠	٣,٣١٧	٠,٠٣٢	٦,٩٤٩	٠,٥١٣	٤,٧٣٦	٣,٠٠٣
٢٠٠٧	٣,٧٥٠	٣,٠٩٢	٣,٥٠٥	٠,٠٣١	٧,٤١٥	٠,٥٤٢	٥,٠٤٥	٣,٠٥٧
٢٠٠٨	٣,٧٥٠	٣,٥٧١	٣,٨٥٥	٠,٠٣٠	٧,٦١٦	٠,٦٤٣	٥,٨٤١	٣,٧٤١
المتوسط الحسابي	٣,٧٤٩	٢,٦٤٦	٢,٨٤٤	٠,٠٣٣	٦,٢٩٩	٠,٤٨٨	٤,٣٥٢	٢,٨٠٧
الانحراف المعياري	٠,٠٠٢	٠,٤٢٩	٠,٤٢٥	٠,٠٠٣	٠,٦٧٣	٠,٠٧٠	٠,٧٩٣	٠,٤٠٧
معامل الأختلاف (C.V.)	٠،٠٦٪	١٦،٢٪	١٤،٩٪	٩،٠٣٪	١٠،٦٪	١٤،٤٪	١٨،٢٪	١٤،٥٪

المرجع: تحليل الباحثين

ويشير تحليل بيانات العينة حول تحديات ربط الريال بالدولار أن المتوسط الكلي للتحديات بلغ (٤،١٠) على مقياس ليكرت الخماسي وهي تحديات كبيرة بينما كان الترتيب التنازلي

لتحديات ربط الريال مع الدولار كما يلي: انخفاض القيمة الحقيقية للعوائد النفطية بالدولار حصلت على أعلى الرتب(٤،٢٧) يليها ارتفاع التضخم في المملكة نتيجة لارتفاع قيمة الاستيراد بغير الدولار(٤،٢١) يليها انخفاض القيمة الحقيقية لودائع السعوديون بالدولار (٤،١٧) يليها هبوط قيمة الاستثمارات الخارجية السعودية المقومة بالدولار (٤،١٤) يليها انخفاض القوة الشرائية للريال نتيجة لانخفاض الدولار (٤،٠٩) يليها انخفاض القيمة الحقيقية للصادرات السعودية غير النفطية والمقومة بالدولار (٤،٠٨) يليها فقدان استقلالية قرار السلطة النقدية (٣،٧٨). وقد أعطى الأكاديميون أهمية أقل لتحديات الربط مع الدولار (٤،٠٩) من رجال الأعمال (٤،١١) وقد أظهر اختبار "ت" أن الاختلاف بين آراء الأكاديميين ورجال الأعمال حول تحديات الربط مع الدولار ليس له دلالة إحصائية عند مستوى المعنوية ٥٪ وقد تراوح الانحراف المعياري بين (٠،٩٩٦) و(١،٢١) وهي انحرافات متوسطة كما في الجدول (١٢):

جدول (١٢) تحليل لتحديات وسلبيات ربط الريال بالدولار

ثالثا: لتحديات وسلبيات ربط الريال بالدولار	المتوسط الحسابي لرجال الأعمال	المتوسط الحسابي للأكاديميين	اختبار -t-	المتوسط الحسابي الكلي	الانحراف المعياري
١٧. فقدان استقلالية قرار السلطة النقدية	٣،٧٣	٣،٨٦	-.٤٨١	٣،٧٨	١،٢١
١٨. انخفاض القوة الشرائية للريال نتيجة لانخفاض الدولار	٤،١٨	٣،٩٧	٠،٩١٧**	٤،٠٩	١،٠٥
١٩. ارتفاع التضخم لارتفاع قيمة الاستيراد المقومة بغير الدولار	٤،٢٥	٤،١٤	٤،٨٣**	٤،٢١	١،٠٧
٢٠. انخفاض القيمة الحقيقية للعوائد النفطية بالدولار	٤،٣١	٤،٢٠	٠،٥٢٨**	٤،٢٧	٠،٩٩٩
٢١. انخفاض القيمة الحقيقية لودائع السعوديون بالدولار	٤،٠٨	٤،٣١	-١،١٣٥**	٤،١٧	٠،٩٩٦
٢٢. هبوط قيمة الاستثمارات الخارجية السعودية المقومة بالدولار	٤،١٢	٤،١٧	-٠،٢٤٢**	٤،١٤	١،٠٣
٢٣. انخفاض القيمة الحقيقية للصادرات غير النفطية المقومة بالدولار	٤،١٤	٤،٠٠	.٥٦٦**	٤،٠٨	١،٠٩
المعدل العام	٤،١١	٤،٠٩		٤،١٠	

المرجع: تحليل الباحثين لبيانات عينة الدراسة * اختبار (ت) غير ذي دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪

د-: تقييم جدوى بدائل نظم سعر صرف الريال السعودي

اتخذت نظم سعر الصرف في وقتنا الحاضر أشكال جديدة فقد تم التخلي عن قاعدة الذهب وعن نظام بريتون وودز وتحرك العالم نحو نظم سعر صرف جديدة كربط العملة بعملة رئيسية كالدولار وربط العملة بسلة عملات وربط العملة بحقوق السحب الخاصة ورفع قيمة العملة والتعويم الحر للعملة والتعويم المدار للعملة كما هو مبين تاليا:

١. جدوى نظام ربط سعر صرف الريال بالدولار (Pegging Riyal to Dollar)

حققت سياسة ربط الريال بالدولار الاستقرار في سعر صرف الريال خلال فترة عقدين باستثناء بعض السنوات التي شهدت مضاربات على الريال، أما الآثار الايجابية الأخرى المترتبة على الاقتصاد السعودي من ربط الريال بالدولار فتتمثل في تشجيع الصادرات والسياحة للمملكة بنسب طفيفة لأن الصادرات السعودية معظمها نفطية ذات طلب قليل المرونة وأن أغلب السياحة للمملكة سياحة دينية لا تتأثر كثيرا بانخفاض قيمة العملة. وقد لوحظ أن المعطيات الاقتصادية التي بني عليها ربط الريال بالدولار قد تغيرت الآن فقد تمتع الدولار في البداية بالقوة تجاه العملات الرئيسية وكان الاقتصاد الأمريكي يتمتع بعوامل الازدهار أما الآن فأن الاقتصاد الأمريكي يعاني من الركود وكان الاقتصاد السعودي أقل ازدهارا من الوقت الحاضر ولكن معدل التضخم كان معتدلا، أما الآن فأن الاقتصاد السعودي يتمتع بنسبة نمو مرتفعة وقد وصل التضخم إلى ٩,٦٪ وقد أصبح مجلس الاحتياطي الفدرالي الأمريكي يستخدم تخفيض سعر الفائدة كأحد أدوات السياسة النقدية بينما السلطة النقدية في المملكة لم تستطع مجاراة مجلس الاحتياطي الفدرالي الأمريكي في تخفيض أسعار الفائدة لاختلاف المعطيات الاقتصادية بين المملكة والولايات المتحدة كما أن ربط سعر صرف الريال بالدولار قد حرم المواطنين السعوديين من الاستفادة من قوة اقتصاد المملكة بحيث لم تنعكس هذه القوة الاقتصادية ايجابيا على العملة الوطنية (مراد: 58،2008). وتبين من موازنة منافع وتحديات ربط الريال بالدولار والمبينة بشكل مفصل في المحورين الرابع والخامس من الدراسة أن تحديات ربط الريال بالدولار تفوق منافع سياسة الربط مع الدولار. ويؤيد ذلك نتائج تحليل بيانات العينة التي تظهر أن جدوى ربط الريال بالدولار كانت منخفضة(٢،٧١) على مقياس ليكرت الخماسي. وأعطى الأكاديميون أهمية أكبر لربط الريال مع الدولار (٢،٨٦) من الأهمية التي أعطاها رجال الأعمال(٢،٦١) وأظهر اختبار «ت» أن الاختلاف بين معدل آراء الأكاديميين ومعدل آراء رجال الأعمال ليس له دلالة إحصائية عند مستوى المعنوية ٥٪ وقد تراوح الانحراف المعياري بين(٠،٩٩٦) و(١,٢١) وهو انحراف متوسط كما في الجدول ١٣:

جدول (١٣) تحليل بيانات العينة لبديل ربط الريال بالدولار (مقياس ليكرت)

مقياس ليكرت ١= غير مجدي ٢= قليل الجدوى ٣= متوسط الجدوى ٤= مرتفع الجدوى ٥= مجدي جدا.

رابعا: بدائل نظم سعر صرف الأجنبي للريال	المتوسط الحسابي لرجال الأعمال	المتوسط الحسابي للأكاديميين	اختبار -t-	معنوية اختبار t Sig.	المتوسط الحسابي الكلي	الانحراف المعياري
٢٤. ربط الريال السعودي بالدولار	٢,٦١	٢,٨٦	*-١,٠٩٣	٠,٢٧٨	٢,٧١	١,٠٩٤

** اختبار t غير ذي دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪

المرجع: تحليل الباحثين لبيانات عينة الدراسة

٢. جدوى ربط سعر صرف الريال بسلة عملات (Pegging SR To Basket of currencies)

الربط بسلة عملات من بينها الدولار يعتبر بديلا يناسب الدول الصغيرة وهو يقلل تذبذب سعر صرف العملة الوطنية ويقلل من التضخم وهو لا يعني التخلي عن عملة الدولار وهو مطلب لسلطة النقد السعودية ويعكس ربط سعر صرف الريال بسلة عملات نصيب البلدان الرئيسية في التجارة الخارجية للمملكة كما في الشكل١:

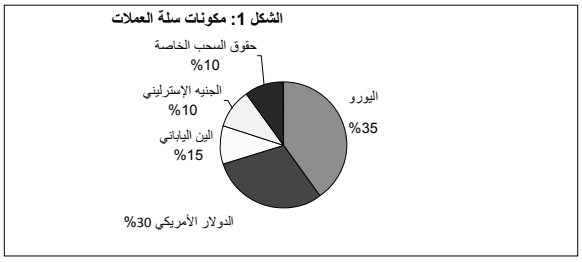

ربط الريال بسلة عملات يحدث نوعا من التوازن في تغيرات أسعار صرف العملات تجاه العملة

المصدر:إعداد الباحثين

والربط بسلة عملات يحتاج إلى إعادة النظر في أوزان هذه السلة كلما تغيرت الظروف الاقتصادية للمملكة كما لا يعني ربط الريال بسلة عملات التخلي عن عملة الدولار بل سيكون الدولار ممثلا في السلة بنسبة ٣٠٪. ويمكن أن يسبق ربط الريال بسلة عملات رفع طفيف لسعر صرف الريال للتعويض عن انخفاض القوة الشرائية للريال .

ويشير تحليل بيانات العينة أن جدوى ربط الريال بسلة عملات كانت مرتفعة (٤،٢٣) على مقياس ليكرت الخماسي وقد أعطى الأكاديميون أهمية أكبر لربط الريال بسلة العملات (٤،٢٦) من الأهمية التي أعطاها رجال الأعمال (٤،٢٢) ويشير اختبار «ت» أن الاختلاف بين معدل آراء الأكاديميين ورجال الأعمال ليس له دلالة إحصائية عند مستوى المعنوية ٥٪ وقد بلغ الانحراف المعياري (٠،٩١٦) وهو انحراف منخفض كما في الجدول١٤:

جدول (١٤) تحليل بيانات العينة لبديل ربط الريال بسلة عملات (مقياس ليكرت)

مقياس ليكرت الخماسي ١ = غير مجدي ٢ = قليل الجدوى ٣ = متوسط الجدوى ٤ = مرتفع الجدوى ٥ = مجدي جدا.

رابعا: بدائل نظم سعر صرف الأجنبي للريال السعودي	المتوسط الحسابي لرجال الأعمال	المتوسط الحسابي للأكاديميين	اختبار -t-	معنوية اختبار ت Sig.	المتوسط الحسابي الكلي	الانحراف المعياري
٢٥. ربط الريال السعودي بسلة عملات	٤,٢٢	٤,٢٦	٠,٢١٥**	٠,٨٣٠	٤,٢٣	٠,٩١٦

** اختبار « ت» غير ذي دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪

المرجع: تحليل الباحثين لبيانات عينة الدراسة

٣.تقييم جدوى ربط الريال بحقوق السحب الخاصة (Pegging to SDRs)

لقد ظهرت حقوق السحب الخاصة التي يصدرها صندوق النقد الدولي في أواخر الستينات من القرن الماضي وقد نصت اتفاقية حقوق السحب الخاصة على أنها وحدات حسابية وتسهيلات نقدية إضافية بموجبها تمنح الدول التي تعاني من عجز في ميزان المدفوعات أو من المديونية ثلاث أضعاف حصتها من حقوق السحب الخاصة ولا يلجأ إلى الاقتراض من حقوق السحب الخاصة إلا إذا اقتضت الحاجة وهذه الحقوق تعتبر مساهمة من صندوق النقد الدولي في زيادة السيولة الدولية (أبو حرب:١٨١، ٢٠٠٨-١٨٦) وكل دولة يحق لها كمية من حقوق السحب الخاصة حسب نصيبها من التجارة العالمية وتكون مرتبطة بسلة عملات تتكون من ١٦ عملة دولية وقد بلغت قيمتها ١٠مليار دولار في عام ١٩٧٢م ولم يتم زيادة رصيدها منذ عام ١٩٧٨م (Wonnacott:1979:363). وسعر صرف وحدة حقوق السحب الخاصة مقابل العملات الخليجية مبين في الجدول ١٥:

الجدول(١٥) سعر صرف وحدة حقوق السحب الخاصة مقابل عملات دول مجلس التعاون الخليج

متوسط الفترة	الدرهم لأماراتي	الريال القطري	الريال العماني	الدينار البحريني	الدينار الكويتي	الريال السعودي
٢٠٠١	٤,٦٥٩٩	٤,٦٣٤٥	٠,٤٨٩٥	٠,٤٧٨٧	٠,٣٩٠٢	٤,٧٧٢٤
٢٠٠٢	٤,٧٥٦٧	٤,٧١٥٢	٠,٤٩٨٠	٠,٤٨٦٧	٠,٣٩٦٩	٤,٨٥٧٤
٢٠٠٣	٥,١٤٤٩	٥,٠٩٩٩	٠,٥٣٨٦	٠,٥٢٦٦	٠,٤١٧٣	٥,٢٥١٩
٢٠٠٤	٥,٤٣٩٨	٥,٣٩٤٢	٠,٥٦٩٥	٠,٥٥٧٠	٠,٤٣٦٧	٥,٥٥٤٧
٢٠٠٥	٥,٤٢٦٣	٥,٣٧٨٢	٠,٥٦٨٠	٠,٥٥٥٦	٠,٤٣١٣	٥,٥٤٠٤
٢٠٠٦	٥,٤٠٣٥	٥,٣٥٥٩	٠,٥٦٥٨	٠,٥٥٣٣	٠,٤٢٦٩	٥,٥١٧٩
٢٠٠٧	٥,٥٧٣١	٥,٥٢٣٨	٠,٥٨٣٥	٠,٥٧٠٦	٠,٤٣٨٣	٥,٦٩٠٨

Source: IMF (2007) Special Drawing Rights:2001-2007. Washington

في عام ١٩٧٥م اتخذت مؤسسة النقد العربي السعودي قرار بربط الريال مع حقوق السحب الخاصة بسعر ٤،٢ ريال لوحدة السحب إلا أن نظام ربط الريال بحقوق السحب الخاصة لم يستمر طويلا إذ تم استبدال هذا النظام بنظام ربط الريال بالدولار. ويشير تحليل بيانات العينة لجدوى بديل ربط الريال بحقوق السحب الخاصة على أن الجدوى كانت متوسطة (٣،٢٠) على مقياس ليكرت الخماسي وقد أعطى الأكاديميون أهمية أكبر لربط الريال بحقوق السحب الخاصة(٣،٢٦) من الأهمية التي أعطاها رجال الأعمال(٣،١٤)ويشير اختبار «ت» أن الاختلاف بين معدل آراء الأكاديميين ومعدل آراء رجال الأعمال ليس له دلالة إحصائية عند مستوى المعنوية ٥٪ وقد بلغ الانحراف المعياري (١,٠٦١) وهو انحراف متوسط كما في الجدول ١٦:

جدول (١٦) تحليل بيانات العينة لبديل ربط الريال بحقوق السحب الخاصة (مقياس ليكرت)

مقياس ليكرت الخماسي ١ = غير مجدي ٢ = قليل الجدوى ٣ = متوسط الجدوى ٤ = مرتفع الجدوى ٥ = مجدي جدا.

رابعا: بدائل نظم سعر صرف الريال السعودي	المتوسط الحسابي لرجال الأعمال	المتوسط الحسابي للأكاديميين	اختبار -t-	معنوية اختبار t	المتوسط الحسابي الكلي	الانحراف المعياري
٢٦. ربط الريال السعودي بحقوق السحب الخاصة	٣,١٤	٣,٢٦	-٠,٦٤٤**	٠,٥٢١	٣,٢٠	١,٠٦١

** اختبار ت غير ذي دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪ المرجع: تحليل الباحثين لبيانات عينة الدراسة.

٤. تقييم جدوى رفع سعر صرف الريال (Revaluation of Riyal)

رفع قيمة الريال السعودي مقابل الدولار هو أحد بدائل سعر الصرف الذي يتناسب مع توجه مؤسسة النقد السعودي إلى عدم فك ارتباط الريال مع الدولار وكذلك المساعدة في تخفيف أثر التضخم المستورد الناجم عن هبوط قيمة الدولار وانخفاض القوة الشرائية للريال السعودي المرتبط مع الدولار وقد دعا بعض المسئولين في المملكة إلى رفع قيمة الريال مقابل الدولار من اجل مكافحة آثار التضخم الناجم عن ارتفاع قيمة المستوردات من الدول الأوروبية واليابان وجنوب شرق آسيا (Shaikh:2007:1) ولكن من عيوب رفع قيمة الريال أنه لا يمكن اعتباره حلا دائما لمشكلة سعر صرف الريال نظرا للحاجة إلى أجراء التخفيض أو الرفع المتواصل لسعر الريال كلما ارتفع أو انخفض الدولار والأمر غير عملي ويخلق مضاربة على الريال. كما أن رفع سعر صرف الريال مقابل الدولار يتطلب الموازنة بين منافع وأضرار رفع قيمة الريال مقابل الدولار كما هو مبين في الجدول (١٧)

جدول (١٧) منافع ومساوئ رفع سعر صرف الريال السعودي مقابل الدولار الأمريكي

منافع رفع سعر صرف الريال مقابل الدولار	مساوئ رفع سعر صرف الريال مقابل الدولار
١. انخفاض أسعار السلع المستوردة من الخارج	١) انخفاض الإيرادات النفطية المقدرة بالدولار عند تحويلها للريال
٢. انخفاض تكاليف سفر السعوديين للخارج	٢) انخفاض قيمة الاحتياطيات النقدية بالدولار عند تقييمها بالريال
٣. انخفاض تكاليف الطلاب المبتعثين إلى الدول الأجنبية	٣) انخفاض قيمة الأصول التي تحتفظ بها المملكة مقومة بالدولار عند إعادة تقديرها بالريال×
٤) ارتفاع قيمة تحويلات العمال الوافدين للمملكة إلى بلدانهم الأصلية.	٤) زيادة الاستهلاك خاصة من السلع المستوردة لانخفاض أسعارها مقابل الريال المرتفع.
٥) زيادة القدرة الشرائية للمستهلك السعودي	٥) احتمال فقد بعض المنتجات غير النفطية قدرتها التنافسية في الأسواق الأجنبية بسبب ارتفاع قيمة الريال
٦) تخفيض عبئ الدين الخارجي	٦) ارتفاع التكلفة على الحجاج والمعتمرين الأجانب بسبب ارتفاع قيمة الريال وتشجيع سياحة السعوديين إلى الخارج بسبب ارتفاع قيمة الريال.
٧) تخفيف عبء احتفاظ مؤسسة النقد العربي السعودي باحتياطات كبيرة بالدولار للمحافظة على سعر صرف الريال الثابت مع الدولار	٧)) انخفاض نسبي في الاستثمارات الأجنبية الجديدة حيث أن رفع سعر الريال سيرفع تكلفة الاستثمار في المملكة.
٨))رفع قيمة الريال يمنح الأسهم السعودية قوة شرائية أفضل ويشجع الاستثمار الأجنبي في السوق المالي.	-

المرجع: إعداد الباحثين

وحسب تقرير بنك ستاندرد & تشارتر فأن عملات دول مجلس التعاون الخليجي بحاجة إلى الارتفاع تجاه الدولار بنسبة لا تقل عن ٢٠٪ للتعويض عن انخفاض القوة الشرائية لعملاتها نتيجة لربطها بالدولار الذي انخفض بنسبة تزيد عن ٤٠٪ خلال الستة سنوات الماضية (Nelson:2007) كما أشار تقرير صادر من بنك ساب السعودي البريطاني بتاريخ ١٧ أيار ٢٠٠٧م إلى ضرورة رفع سعر صرف الريال بنسبة ٢٠٪ للتعويض عن انخفاض القوة الشرائية للريال نتيجة لانخفاض الدولار مع المحافظة على ربط الريال مع الدولار لحين صدور العملة الخليجية الموحدة وأن من شأن ذلك رفع مستوى القوة الشرائية للسعوديين حيث ستصبح الواردات أرخص ولكن مثل هذا الرفع يمكن أن يقود إلى مزيد من الاستهلاك على حساب الادخار بالإضافة إلى إضعاف الوضع التنافسي للصادرات غير النفطية (SAAB:2007). وإذا أخذنا بسيناريو بنك ساب لرفع الريال بنسبة ٢٠٪ تقترح الدراسة أن يتم رفع قيمة الريال مقابل الدولار بنسبة ٢٠٪ بشكل تدريجي ليصل سعر صرف الريال مقابل الدولار(1$=3 SR) كما في الجدول١٨

جدول (١٨) سيناريو رفع سعر صرف الريال مقابل الدولار

البيان	سعر الصرف الثابت للريال مقابل الدولار	سعر الصرف بعد رفع الريال مقابل الدولار*
سعر الصرف الثابت للريال المرتبط بالدولار	٣،٧٥ ريال	-
سعر الصرف للريال بعد رفعه تدريجيا بنسبة٢٠٪		٣،٠٠

* هبطت القوة الشرائية للريال بنسبة ٢٠٪ خلال الفترة ٢٠٠١-٢٠٠٧م وبالتالي تكون نسبة الهبوط السنوي ٣،٣٥ ٪ سنويا.

المرجع: إعداد الباحثان

ويشير تحليل بيانات العينة لجدوى بديل رفع قيمة الريال مقابل الدولار على أن الجدوى كانت متوسطة(٣,٤١) على مقياس ليكرت الخماسي وقد أعطى الأكاديميون أهمية أكبر لجدوى رفع قيمة الريال مقابل الدولار (٣,٤٣) من الأهمية التي أعطاها رجال الأعمال(٣،٣٩) وقد أظهر اختبار «ت» أن الاختلاف بين معدل آراء الأكاديميين وآراء رجال الأعمال ليس له دلالة إحصائية عند مستوى المعنوية ٥٪ وقد بلغ الانحراف المعياري (١،١٤١)

وهو انحراف كبير كما في الجدول ١٩:

جدول (١٩) تحليل بيانات العينة لبديل رفع قيمة الريال مقابل الدولار (مقياس ليكرت)

مقياس ليكرت الخماسي ١ = غير مجدي ٢ = قليل الجدوى ٣ = متوسط الجدوى ٤ = مرتفع الجدوى ٥ = مجدي جدا.

رابعا: بدائل نظم سعر صرف الأجنبي للريال السعودي	المتوسط الحسابي لرجال الأعمال	المتوسط الحسابي للأكاديميين	اختبار -t-	معنوية اختبار t	المتوسط الحسابي الكلي	الانحراف المعياري
٢٧. رفع قيمة الريال السعودي تجاه الدولار	٣,٣٩	٣,٤٣	-٠,١٥١**	٠,٨٨٠	٣,٤١	١,١٤١

** اختبار ت غير ذي دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪ المرجع: تحليل الباحثين لبيانات عينة الدراسة

٥-تقييم جدوى نظام التعويم الحر لسعر صرف الريال (Free Floating of Riyal)

في ظل تعويم العملة يترك لسعر الصرف حرية التغير بشكل مستمر عبر الزمن بما يتفق وقوى السوق ويقتصر دور السلطات النقدية في التأثير على سرعة التغير في سعر الصرف فقط وليس الحد من ذلك التغير، ولكن لوحظ أن تبني خيار تعويم العملة الوطنية يحتاج إلى متابعة حثيثة للطلب والعرض على العملة الوطنية والأمر يحتاج إلى خبرات متخصصة قد لا تتواجد في العديد من البلدان النامية. العوامل التي تحبذ استخدام نظام سعر الصرف المعوم هي درجة عالية من اندماج الاقتصاد المحلي بالعالمي ومدى توفر الخبرة الفنية المتخصصة ومرونة الأجور وحرية انتقال العمال و رأس المال ووجود الأسواق المالية المتطورة ولكن لوحظ أن تعويم العملة يؤدي أحيانا لعدم الاستقرار ويخلق المضاربة على سعر صرف العملة الوطنية.

ويشير تحليل بيانات العينة لجدوى بديل التعويم الحر لسعر صرف الريال على أن الجدوى كانت أقل من المتوسط (٢,٩٥) على مقياس ليكرت الخماسي وقد أعطى الأكاديميون أهمية أكبر لجدوى بديل التعويم الحر لسعر صرف الريال (٣,٠٦) من الأهمية التي أعطاها رجال الأعمال(٢،٨٨) وقد أظهر اختبار «ت» أن الاختلاف بين معدل آراء الأكاديميين في العينة ومعدل آراء رجال الأعمال ليس له دلالة إحصائية عند مستوى المعنوية ٥٪ وقد بلغ الانحراف المعياري (١،٢٩٢) وهو انحراف كبير كما في الجدول ٢٠:

جدول (٢٠) تحليل بيانات العينة لبديل التعويم الحر لسعر صرف الريال (مقياس ليكرت)

مقياس ليكرت الخماسي ١ = غير مجدي ٢ = قليل الجدوى ٣ = متوسط الجدوى ٤ = مرتفع الجدوى ٥ = مجدي جدا

رابعا: بدائل نظم سعر صرف الأجنبي للريال السعودي	المتوسط الحسابي لرجال الأعمال	المتوسط الحسابي للأكاديميين	اختبار -t-	معنوية اختبار t	المتوسط الحسابي الكلي	الانحراف المعياري
٢٨. تعويم سعر صرف الريال طبقا للطلب والعرض	٢,٨٨	٣,٠٦	-٠,٦٠٦**	٠,٥٤٦	٢,٩٥	١,٢٩٢

**اختبار ت غير ذي دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪

المرجع: تحليل الباحثين لبيانات عينة الدراسة

٦-.تقييم نظام التعويم المدار لسعر صرف الريال (Managed Float of Riyal)

تتبنى بعض الدول الكبرى مثل كندا واليابان أسعار صرف معومة موجهة وان كانت مرنة وفي ظل هذا النظام تقوم هذه البلدان ببيع وشراء عملاتها لتقليص تأثيرات تقلبات أسعار الصرف. ونظام التعويم المدار لسعر صرف الريال يقع في نقطة وسط بين سعر الصرف الثابت الصارم وبين سعر الصرف العائم حيث يتم تحديد أسعار الصرف الأساسية من خلال قوى السوق ولكن يتوجب على السلطة النقدية التدخل بانتظام لتعديل سعر العملة وفق مجموعة من المؤشرات مثل الفجوة بين العرض والطلب على العملة ومستويات أسعار الصرف الفورية والآجلة والأمر بحاجة إلى خبرة متخصصة في إدارة سعر الصرف الموجه. ويشير تحليل بيانات العينة لجدوى بديل التعويم الحر لسعر صرف الريال على أن الجدوى كانت متوسطة (٣,١٩) على مقياس ليكرت الخماسي وقد أعطى الأكاديميون اهمية أكبر لجدوى بديل التعويم الحر لسعر صرف الريال (٣,٣٧) من الأهمية التي أعطاها رجال الأعمال(٣,٠٦) وأظهر اختبار «ت» أن الاختلاف بين معدل آراء الأكاديميين في العينة ومعدل آراء رجال الأعمال حول جدوى

بديل التعويم المدار لسعر صرف الريال ليس له دلالة إحصائية عند مستوى معنوية ٥٪ وقد بلغ الانحراف المعياري (١,٠٤٦) وهو انحراف متوسط كما في الجدول٢١:

جدول(٢١) تحليل بيانات العينة لبديل التعويم المدار لسعر صرف الريال مقابل الدولار (مقياس ليكرت)

مقياس ليكرت الخماسي ١ = غير مجدي ٢ = قليل الجدوى ٣ = متوسط الجدوى ٤ = مرتفع الجدوى ٥ = مجدي جدا.

رابعا: بدائل نظم سعر صرف الأجنبي للريال السعودي	المتوسط الحسابي لرجال الأعمال	المتوسط الحسابي للأكاديميين	المتوسط الحسابي الكلي	اختبار -t-	معنوية اختبار t	الانحراف المعياري
٢٩. سياسة سعر الصرف المدار	٣,٠٦	٣,٣٧	٣,١٩	-١,٤٠٩**	٠,١٦٣	١,٠٤٦

** اختبار ت غير ذي دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪

المرجع: تحليل الباحثين لبيانات عينة الدراسة

٧. ترتيب جدوى بدائل نظم سعر صرف الريال السعودي

يشير الترتيب التنازلي لجدوى بدائل نظم سعر صرف الريال أن نظام الربط بسلة عملات قد حصل على الترتيب الأول يليه في المرتبة الثانية بديل رفع قيمة الريال مقابل الدولار ويأتي في الترتيب الثالث بديل ربط الريال بحقوق السحب الخاصة يليه في المرتبة الرابعة بديل نظام سعر الصرف المدار ويليه بديل تعويم سعر صرف الريال في الترتيب الخامس وقد جاء ترتيب بديل ربط الريال بالدولار في المرتبة الأخيرة كما في الجدول ٢٢:

جدول(٢٢) ترتيب جدوى بدائل نظم سعر صرف الريال (مقياس ليكرت)

مقياس ليكرت الخماسي١ = غير مجدي ٢ = قليل الجدوى ٣ = متوسط الجدوى ٤ = مرتفع الجدوى ٥ = مجدي جدا

رابعا: بدائل نظم سعر صرف الأجنبي للريال السعودي	المتوسط الحسابي لرجال الأعمال	المتوسط الحسابي للأكاديميين	المتوسط الحسابي الكلي	ترتيب تنازلي لبدائل سعر صرف الريال
٣٠. ربط الريال السعودي بالدولار	٢,٦١	٢,٨٦	٢,٧١	٦
٣١. ربط الريال السعودي بسلة عملات	٤,٢٢	٤,٢٦	٤,٢٣	١
٣٢. ربط الريال السعودي بحقوق السحب الخاصة	٣,١٤	٣,٢٦	٣,٢٠	٣
٣٣. رفع قيمة الريال السعودي تجاه الدولار	٣,٣٩	٣,٤٣	٣,٤١	٢
٣٤. تعويم سعر صرف الريال طبقا للطلب والعرض	٢,٨٨	٣,٠٦	٢,٩٥	٥
٣٥. نظام سعر الصرف المدار	٣,٠٦	٣,٣٧	٣,١٩	٤

** اختبار ت غير ذي دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪

المرجع: تحليل الباحثين لبيانات عينة الدراسة

المبحث الخامس

النتائج والتوصيات (Conclusions & Recommendations)

أ- نتائج الدراسة

١- تبين الدراسة أن أهمية الدولار النسبية مقابل العملات الدولية بدئت بالتراجع من حيث دوره كاحتياطي دولي وفي معاملات التجارة الخارجية وتزويد اقتصاديات العالم بالسيولة النقدية ودوره في إصدار سندات الدين الدولية وأصبح اليورو يشارك الدولار الأمريكي بالتربع على عرش العملات الدولية.

٢- تبين الدراسة أنه لا يوجد نظام سعر صرف يناسب جميع البلدان حيث تختار كل دولة نظام سعر الصرف الذي يناسب هيكل وسمات اقتصادها ومدى انخراطها في العولمة والتحرر الاقتصادي لتحقيق استقرار قيمة العملة والقدرة على امتصاص الهزات النقدية وتحقيق استقلالية السياسة النقدية وقد تبين عدم تناسب بين المعطيات الاقتصادية الحالية للمملكة وتوجهاتها إلى ربط عملتها بالدولار من حيث اختلاف معدلات التضخم والنمو وأسعار الفائدة وميزان المدفوعات لكل من المملكة والولايات المتحدة مما أفقد مبررات ربط الريال بالدولار فعاليتها.

٣- يتفق معظم الاقتصاديون ورجال الأعمال الذين تم استطلاع آرائهم أن المملكة تواجه التحديات التالية نتيجة لربط عملتها بالدولار: (أ) زيادة التضخم المستورد بنسبة ٣١٪ من التضخم الكلي البالغ ٩,٦٪ مما أدى إلى تحول سعر الفائدة الحقيقي على الريال إلى السالب بمعدل -٤،١ ٪ حيث بلغت الفائدة الاسمية على الريال ٥،٥٪ مما يضعف الادخار المحلي .(ب)انخفاض القوة الشرائية للريال بنسبة تقارب ٢٠٪ نتيجة لهبوط الدولار بنسبة تزيد عن ٤٠٪خلال الستة سنوات الماضية مما يضعف قدرة المستهلك السعودي على الأنفاق. (ج) تعرض مؤسسة النقد السعودي إلى الضغوط لتخفيض معدل الفائدة على الريال(الريبو)البالغ٥،٥٪ بسبب تخفيض مجلس الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي لسعر الفائدة على الدولار إلى نسبة ٢٪ بعد أن كانت ٤،٥٪ مما أدى إلى وجود فجوة في أسعار الفائدة بين الريال والدولار تجاوزت ٣٪ مما سبب المضاربة على الريال. (د)اضطرار مؤسسة النقد السعودي إلى التدخل لشراء وبيع العملة المحلية مقابل الدولار للمحافظة على استقرار سعر صرف الريال.(هـ) اضطرار مؤسسة النقد السعودي إلى الاحتفاظ بكميات كبيرة من الاحتياطيات النقدية (٢٦،٩مليار دولار) للمحافظة على استقرار سعر صرف الريال وهذا يؤدي إلى زيادة عرض النقد الذي يزيد من الضغوط التضخمية في الاقتصاد.

(و) ربط الريال بالدولار يفقد مؤسسة النقد السعودي قدرتها على استخدام أدوات السياسة النقدية بفعالية لمواجهة التضخم نظرا لتأثر السياسة النقدية للمملكة بالسياسة النقدية للولايات المتحدة الأمريكية.

٤- تبين الدراسة أن التحديات تفوق المبررات لربط الريال بالدولار مما يدعو المملكة إلى فك ربط الريال مع الدولار لتحقيق الأهداف التالية: (أ) السيطرة على السياسة النقدية وتحقيق استقلالية قرارات تغيير معدل الفائدة على الريال.(ب) الحد من الخسائر الناجمة عن تدهور قيمة الدولار وأثرها على إيرادات المملكة النفطية وعائدات الاستثمار المقومة بالدولار. (ج) الحد من التضخم الذي يساهم ربط الريال بالدولار بما نسبته ٣١٪ من التضخم الذي تجاوز٦,٩٪.(د) وقف تدهور القوة الشرائية للريال بنسبة تزيد عن ٢٠٪. وقد جاء ترتيب جدوى ربط الريال بالدولار في المرتبة الأخيرة مما يدل على ضعف جدوى الربط بالدولار.

٥. بينت الدراسة أن ربط الريال بسلة عملات يحقق الفائدة على المدى البعيد لأنه يخلص المملكة من مشكلة التبعية للسياسة النقدية الأمريكية وأن هذا الخيار يعكس حقيقة التبادل التجاري للمملكة مع الشركاء التجاريين ويحدث التوازن في تغيرات أسعار صرف العملات الأجنبية تجاه الريال، كما لا يعني الربط مع سلة عملات التخلي عن الدولار بل سيكون للدولار حصة في هذه السلة بنسبة٣٠٪ اليورو ٣٥٪ والين ١٥٪ والإسترليني ١٠٪ وحقوق السحب الخاصة ١٠٪ وأن هذا البديل قد حصل المرتبة الأولى من حيث الجدوى الاقتصادية.ويستدعي هذا البديل إقامة وحدة متخصصة في مؤسسة النقد السعودي لإدارة مخاطر سعر الصرف للتعامل مع المخاطر المحتملة.

٦. خيار رفع قيمة الريال السعودي هو احد بدائل سعر الصرف الذي يساهم في رفع القدرة الشرائية للمستهلك كما ينادي بهذا الخيار من لا يريد فك الارتباط مع الدولار. ولكن من عيوبه أنه لا يمكن اعتباره حلا دائما للحاجة إلى أجراء التعديل المتواصل لسعر الريال كلما ارتفع أو انخفض الدولار مما يخلق المضاربة على سعر صرف الريال وقد حصل هذا البديل على المرتبة الثانية من حيث الجدوى الاقتصادية. ويستدعي هذا البديل إقامة وحدة متخصصة في مؤسسة النقد السعودي لإدارة مخاطر سعر الصرف للتعامل مع أية مخاطر محتملة.

٧. خيار ربط الريال بحقوق السحب الخاصة ،التي يصدرها صندوق النقد الدولي وتتمتع بقبول دولي، حصل على الترتيب الثالث مما يدل على أهميته المتوسطة لكونه يمنح الاستقرار لسعر صرف الريال وقد سبق للمملكة أن ربطت عملتها بهذه الحقوق لفترة بسيطة كما أن عدد الدول التي تربط عملاتها مع حقوق السحب الخاصة قليل.

٨. تبين أن نظام التعويم المدار لسعر الصرف يحتاج إلى تدخل السلطة النقدية ببيع العملات أو شرائها أو تغيير عرضها النقدي أو من خلال أسعار الفائدة للتأثير على أسعار الصرف وقد بين تحليل جدوى التعويم المدار للريال أن هذا البديل قد حصل على المرتبة الرابعة مما يدل على الضعف النسبي لجدوى التعويم المدار للريال.

٩. لوحظ أن تبني خيار تعويم الريال يحتاج إلى متابعة حثيثة للطلب والعرض على العملة من قبل السلطة النقدية والأمر يحتاج إلى خبرات متخصصة يصعب توفرها، كما أن تعويم العملة يخلق أحيانا عدم الاستقرار والمضاربة في سعر الصرف مما يدعوا العديد من الدول الصغيرة إلى الابتعاد عن سياسة تعويم العملة. وقد بين تحليل جدوى تعويم الريال أن هذا البديل قد حصل على المرتبة الخامسة مما يدل على الضعف الشديد لجدوى التعويم الحر للريال.

ب- توصيات الدراسة

أولا: من الأهمية اتخاذ قرار حول معالجة مضاعفات ربط الريال السعودي بالدولار وعدم الانتظار طويلا لأتخاذ البديل المناسب لنظام سعر الصرف الأجنبي للريال للتخفيف من الأضرار الناجمة عن ربط الريال بالدولار لأننا كلنا ميتون في المدى الطويل طبقا لمقولة الاقتصادي الانجليزي كينز.

ثانيا: الاعتبارات السياسية المترتبة عن التخلي عن سياسة الربط مع الدولار-إن وجدت- يمكن معالجتها عن طريق القيادة الحكيمة لجلالة الملك عبد الله.

ثالثا: التوصية بتبني المملكة- لحين التوصل إلى العملة الموحدة- بديل ربط سعر صرف الريال بسلة عملات يكون من بينها اليورو بنسبة ٣٥ ٪ الدولار بنسبة ٣٠٪ والين الياباني بنسب ١٥٪ والجنيه الإسترليني بنسبة١٠٪ وحقوق السحب الخاصة بنسبة ١٠٪ لتعكس نصيب تجارة المملكة مع شركائها التجاريين.

رابعا: في حالة تعذر تبني بديل الربط مع سلة عملات يمكن تبني خيار رفع قيمة الريال بشكل تدريجي ومدروس وعلى مراحل لرفع القدرة الشرائية للمستهلك وتحسين قيمة الأسهم السعودية مع الأخذ في الحسبان الآثار السلبية على تنافسية السلع السعودية وعلى إيرادات المملكة من البترول المقيم بالدولار.

خامسا: توصي الدراسة بأن يكون القرار السعودي بالربط مع سلة عملات أو بالرفع التدريجي للريال مقابل الدولار ضمن قرار جماعي لدول مجلس التعاون الخليجي وبضرورة التنسيق والتشاور مع بقية دول مجلس التعاون الخليجي لكي لا يؤثر ذلك على مستقبل التوصل للعملة الخليجية الموحدة.

سادسا: إذا لم ترغب السلطة النقدية في المملكة تعديل سياسة ربط الريال بالدولار فيمكنها التخفيف من الآثار السلبية لهذه السياسة بالعمل على تنويع الاحتياطيات النقدية من العملات الصعبة والذهب وعدم قصرها على الدولار في حالة استمرار انخفاض الدولار وكذلك العمل على تنويع استثمارات المملكة الخارجية في استثمارات مقومة باليورو والين الياباني والإسترليني والفرنك السويسري من أجل رفع معدل العائد على الاستثمار.

سابعا: التوصية بإقامة وحدة متخصصة في مؤسسة النقد السعودي لإدارة مخاطر تقلبات أسعار الصرف.

المراجع

أ - مراجع بالعربية

١) أبو حرب، عثمان (٢٠٠٨) الاقتصاد الدولي، دار أسامة للنشر والتوزيع. عمان

٢) أبو صالح،محمد صبحي & عدنان محمد عوض(٢٠٠٦) مقدمة في الإحصاء:مبادئ وتحليل باستخدام SPSS' دار المسيرة.عمان.

٣) المصلحة العامة للإحصاء والمعلومات (٢٠٠٧) التقرير السنوي. وزارة التخطيط. الرياض

٤) الميداني ،محمد أيمن عزت (٢٠٠٦) الإدارة التمويلية في الشركات .الإصدار الثالث، مكتبات العبيكان، الرياض

٥) مراد،عبد الرحمن(٢٠٠٨) لهذه الأسباب يرفض الخليجيون فك ارتباط عملاتهم بالدولار.دورية أموال العدد ٤٢ص٥٨ .

٦) بنك مورجان ستانلي(٢٠٠٧) تقرير فك الأرتباط بالدولار: دول مجلس التعاون في مفترق طرق. أبو ظبي.

٧) غنيم، حسين عطا (٢٠٠٥) دراسات في التمويل، المكتبة الأكاديمية. القاهرة.

٨) سلفا تور،دومينيك & ديوليو، يوجين (٢٠٠١) مبادئ الاقتصاد .أكاديميا انترنشونال. بيروت

٩) صندوق النقد الدولي (٢٠٠٧ا) أسعار صرف العملات الأجنبية مقابل الدولار. واشنطن.

١٠) صندوق النقد الدولي (٢٠٠٧ب) التقرير الربعي الأخير لعام ٢٠٠٧. واشنطن.

١١) صندوق النقد العربي))٢٠٠٧ التقرير السنوي لعام ٢٠٠٦م. أبو ظبي. الأمارات العربية المتحدة.

١٢) مؤسسة النقد العربي السعودي(٢٠٠٧) التقرير السنوي الثالث والأربعون، الرياض.

١٣) معروف، هوشيار (٢٠٠٦م) تحليل الأفتصاد الدولي. دار جرير للنشر والتوزيع. عمان.

ب – مراجع بالإنجليزية

Abdeen, Adnan&Dale Shook(1984) Saudi Financial System. John Willey.New York.

Al-Bassam. Khalid (1999) Domestic & External Sources of Inflation in SA:An Empirical Study. Journal of King Abdul Aziz University. No.1. Vol.13.

Dahel. Riad (2000) On the Predictability of Currency Crises: The Use of Indicators in the Case of Arab Countries. June. Arab Planning Institute. Kuwait

Edward.S (1988)Exchange Rate Misalignment in Developing Countries. The World Bank Occasional Paper no. 2. New Series. The Johns Hopkins University Press.

Frankel.P(2005)Peg The Export Price Index:A Proposed Monetary Regime for Small countries. Journal of Policy Modeling. June

Hussein. Aasim M (2006) To Peg or not to Peg. IMF Working Paper WP/06/54. IMF. Washington.DC.

IMF (2007) Special Drawing Rights:2001-2007. Washington

Karam. Philippe D. (2001) Exchange Rate Policies in Arab Countries: Assessment and Recommendation. Arab Monetary Fund. Abu Dhabi. U.A.E

National Bureau of Economic Research(NBER)(2005) Importance of US Dollar International Currencies.

Nelson. Shayne (2007) Chartered Bank. New York. Peg To Dollar of Currencies in Gulf Cooperation Council. Report of Standard

Samuelson. Paul & Nordhaus. William (2001) Economics. McGraw Hill. New York

Saudi Arabian British bank (SAAB) (2007) Periodical Report: Revaluation of SR.. Riyadh.

Shaikh. Habib (2007) Government Employees in Saudi Arabia get 30 per cent pay rise. Khaleej Times Issued on 23 December. 2007.

Razzak. Washah(2006) In the Middle East Heat:The GCC Countries Between Rising Oil Prices and Sliding Greenback. Arab Planning Center. Kuwait.

US-Saudi Arabian Business Council(2006) A Business Guide to Saudi Arabia.Washington DC.

Wonnacott. Paul & Wonnacott.Ronald (1979) Economics. McGraw-Hill. London

World Fact Book (2006) Economy Overview of Saudi Arabia. Washington DC. (www.cia.gov-factbook /goes/sa.htm1)

http://twsyat.net/forum/showthread)
http//www.zawya.com(Middle East Business and Company Directory).
April.2008.

جامعة الطائف

مدى تطبيق المحاسبة عن المسؤولية الاجتماعية بالشركات الصناعية الأردنية وأثرها في جعل القوائم المالية أكثر عدلاً والمجتمع أكثر قبولاً لها

د. محمود حسني العتيبي

أستاذ مساعد – قسم الاستثماروالتمويل – جامعة الطائف

مجلة جامعة الطائف – الآداب والتربية (الإدارة والاقتصاد)
المجلد الأول – العدد الثالث – جمادى الآخرة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م

الملخص

مازال موضوع المحاسبة عن المسؤولية الاجتماعية لمنظمات الاعمال من المسائل التي تثير الجدل بين الباحثين، بشأن تحديد مفهومها وطبيعتها ومجالاتها والرقابة عليها وقياسها والافصاح عنها لكافة الاطراف المستفيدة من القوائم المالية المنشورة. وقد استهدف هدا البحث التعرف على مدى وجود منظمات اعمال من الشركات والمؤسسات وغيرها متخصصة لممارسة المسؤولية الاجتماعية في الشركات الصناعية الاردنية. ومدى تطبيق القياس والافصاح عن المسؤولية الاجتماعية على جعل القوائم المالية اكثر كفاية والمجتمع اكثر قبولا لها.

ولتحقيق اهداف الجانب التطبيقي للدراسة، تم تصميم استبانة بالاعتماد على الدراسات السابقة والاطار النظري، وزعت على ٣٤ من المدراء الماليين ومحاسبي الشركات الصناعية الاردنية .

وقد تبين من نتائج الدراسة ان المحاسبة عن المسؤولية الاجتماعية لم تحظ بالقدر الكافي من الاهتمام من جانب الجمعيات المهنية للمحاسبة والمراجعة بالاردن. كما اظهرت ان الاطار العام للمسؤولية الاجتماعية هو اطار غير محدد المعالم ولم يتفق على ابعاده حتى اليوم بشكل قاطع، كما اظهرت الدراسة ان المحاسبة عن المسؤولية الاجتماعية لهده المشروعات انها نشاط يمكن تقنيته عن طريق تحديد فئاته ومجالاته واهدافه ومتغيراته وبالتالي يمكن تحديد سبل قياسه والافصاح عن نتائجه بشكل موضوعي. وقد تبين ان هناك اثر للافصاح عن المسؤولية الاجتماعية لجعل القوائم المالية اكثر كفاية، بينما لا يوجد اثر على جعل المجتمع اكثر قبولا لها.

وقد قدم الباحث مجموعة من التوصيات من شأنها مساعدة الشركات بالالتزام بالقوانين والانظمة لحماية البيئة من التلوث والاضرار التي تلحق بها من جراء مزاولتها لانشطتها المختلفة وتجنبا للعقوبات التي قد تفرض عليها ادا خالفت الالتزام بتنفيد هده القوانين. وضرورة الافصاح عن الانشطة التي تقوم بها هده الشركات والتي لها آثار اجتماعية مثل التعليم والصحة للعاملين وتلوث البيئة واستهلاك الموارد.

أولاً: مشكلة الدراسة:

تبحث هذه الدراسة في أثر تطبيق القياس والإفصاح المحاسبي في الشركات الصناعية الأردنية على جعل القوائم المالية أكثر كفاية والمجتمع أكثر قبولاً لها، لذا فإنها تحاول الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما مدى تطبيق الإفصاح والقياس عن المسؤولية الاجتماعية في القوائم المالية للشركات المساهمة العامة الصناعية الأردنية؟
- ما هو أثر ذلك على كفاية هذه القوائم، وجعل المجتمع أكثر قبولاً لتلك الشركات؟

ثانياً: أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من موضوع البحث، إذ أنها ستعطيها دلالات عن مدى تقدم القطاع الصناعي في القياس والإفصاح عن المسؤولية الاجتماعية، كما أنها ستعطي مؤشرات عن أثر ذلك على كفاية قوائمها المالية وقبول المجتمع لتلك الشركات، كما أنه وحسب رأيي فإن هذه الدراسة هي الأولى في الأردن حيثُ ستكون ليس فقط على قياس مدى الإفصاح عن المسؤولية الاجتماعية وإنما أيضاً أثر ذلك على كفاية القوائم المالية وجعل المجتمع أكثر قبولاً للشركات الصناعية من هذا النوع.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

١. تعميق المعرفة بموضوع القياس والإفصاح عن المسؤولية الاجتماعية (البيئية).
٢. قياس مدى تطبيق هذا النوع من المحاسبة في الشركات الصناعية الأردنية.
٣. إيجاد الأثر المتوقع لهذا التطبيق على كفاية القوائم المالية لتلك الشركات وجعل المجتمع أكثر قبولاً لها.

رابعاً: أنموذج الدراسة:

تم بناء نموذج فرضي يمثل العلاقة بين متغيرات الدراسة، إذ تم اعتبار مدى تطبيق الإفصاح والقياس عن المسؤولية الاجتماعية متغيراً مستقلاً، يراد قياس حدة أثره على المتغيرات التابعة التالية:

١-كفاية القوائم المالية.
٢-جعل المجتمع أكثر قبولاً لهذه الشركات.

ويمكن تمثيل ذلك بالشكل أدناه::

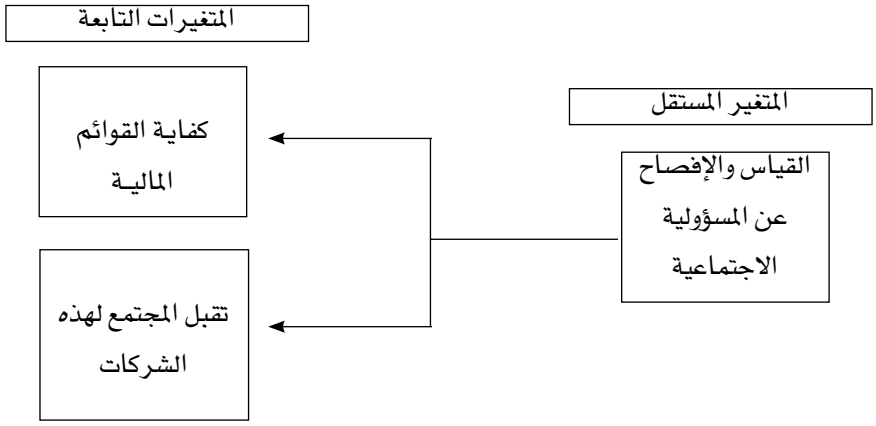

خامساً: منهجية البحث:

سيتم الاستعانة بالبرنامج الاحصائي SPSS لتنفيذ الاختبارات التاليه:

١- لتوزيع خصائص العينة العامة والشخصية للمبحوثين سيتم استخدام التكرارات والنسب المئوية.

٢- لاختبار مدى صدق الاستبانة سيتم استخدام مقياس الارتباط بين كل فقرة من فقراته وأيضاً مقياس Cronbachs Alpha للثبات.

٣- لقياس مدى استخدام القياس والإفصاح عن المسؤولية الاجتماعية سيتم استخدام العينة الأحادية One Sample T-test

سادساً: فرضيات البحث:

Ho1: لا يوجد تطبيق للقياس والإفصاح عن المسؤولية الاجتماعية في الشركات الصناعية الأردنية.

Ho2: لا توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تطبيق القياس والإفصاح عن المسؤولية الاجتماعية لدى الشركات الصناعية وبين جعل قوائمها المالية أكثر كفاية.

Ho3: لا توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تطبيق القياس والإفصاح عن المسؤولية الاجتماعية لدى الشركات الصناعية وبين جعل المجتمع أكثر قبولاً لها.

سابعاً: الدراسات السابقة:

أ-الدراسات العربية:

١)**دراسة (مطر وآخرون، ١٩٩٦)، بعنوان:** " نظرية المحاسبة واقتصاد المعلومات، الإطار الفكري وتطبيقاته العملية"، تشير الدراسة على أن المستثمرين يطلبون معلومات عن الأسواق وعن مساهمة الشركة في خدمة المجتمع المحلي، أي أن البيانات المطلوبة قد تجاوزت مصالح المساهمين والمحافظة عليها، لتمتد إلى دراسة وتحليل الأثر الاجتماعي لنشاط الشركة على البيئة التي تعمل فيها، ولتشمل الإفصاح عن معلومات جديدة لم تكن تتضمنها القوائم المحاسبية التقليدية، مثل الإفصاح عن بيانات محاسبة الموارد البشرية وبيانات المحاسبة الاجتماعية والمعلومات القطاعية التي يعمل فيها المشروع.

٢)**دراسة (علام، ١٩٩١)، بعنوان:** " حدود المسئولية الاجتماعية، إطار فكري للأداء الاجتماعي لمنظمات الأعمال في دول العالم النامي"، وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على مفهوم المراجعة الاجتماعية، وجهود الباحثين والمنظمات المهنية العربية العالمية في هذا المجال. وتحديد المسببات التي أدت إلى صعوبة تحديد الإطار الفكري للمراجعة الاجتماعية في الدول النامية عامة والعربية خاصة ومن ثم اقتراح نموذج لمراجعة الأداء الاجتماعي والاقتصادي، وخلصت الدراسة على عدة نتائج هي:

(أ) موضوع مراجعة الأداء الاجتماعي لمنظمات الأعمال لم يحظ بالقدر اللازم من الاهتمام من جانب المنظمات المهنية في الدول النامية بما في ذلك الدول العربية.

(ب) الإطار العام للأداء الاجتماعي - إطار غير محدد المعالم، ولم يتفق على أبعاده حتى اليوم بشكل قاطع.

(ج) الأداء الاجتماعي لمنظمات الأعمال، هو نشاط يمكن تقنينه عن طريق تحديد فئاته ومجالاته.

٣) **دراسة (إسماعيل، ١٩٩٧)، بعنوان:** " التكلفة الاجتماعية لتلوث البيئة وإجراءات القياس المحاسبي"، وقد قدمت الدراسة اقتراحاً لقياس التكلفة ا لاجتماعية لتلوث البيئة من خلال اقتراح قياس تكاليف الإجراءات المباشرة والإجراءات غير المباشرة التي تقوم بها الشركة المساهمة الصناعية للحد من تلوث البيئة، كما أوصت الدراسة بضرورة وجد قوانين وأنظمة لحماية البيئة وفرض عقوبات على الشركات الصناعية المساهمة العامة التي لا تلتزم بحماية البيئة وتسبب أضرار لها.

٤) **دراسة (أومري، ١٩٩٨)، بعنوان:** " الإفصاح المحاسبي عن المسئولية الاجتماعية للمشروع والآثار المترتبة على النشاط الاقتصادي الذي يمارسه المشروع"، وقد اتجه البحث إلى اعتبار التكاليف الاجتماعية جزءاً يضاف على كل عنصر من عناصر التكاليف من خلال فصل الجزء الاجتماعي من التكاليف عن الجزء الاقتصادي عن طريق الاسترشاد بعدد من المعايير، وقد عرض البحث نموذجاً لقياس صافي الفائض أو العجز الاقتصادي – الاجتماعي للمشروع عن طريق تبويب تكاليف أنشطة المسئولية الاجتماعية في أربعة مجالات أساسية في قائمة واحدة للدخل الاقتصادي – الاجتماعي.

٥) **دراسة (عثمان، ١٩٩٩)، بعنوان:** "الإفصاح عن معلومات المسئولية الاجتماعية للوحدة الاقتصادية، حيث هدف هذا البحث إلى دراسة الاتجاهات المختلفة لتطور الإفصاح عن المسئولية الاجتماعية للوحدة الاقتصادية، بقصد الكشف عن المحاور الأساسية التي يمكن ان يرتكز عليها الإفصاح عن معلومات المسئولية الاجتماعية يتمثل في نطاق الأنشطة التي تعكسها تلك المعلومات.

كما أوضحت أن تحديد نوعية المعلومات التي ينطوي عليها الإفصاح في مجال المحاسبة عن المسئولية الاجتماعية تخضع لاعتبارات معينة تتمثل في لغة الرسالة التي تفصح عنها تلك المعلومات ومضمونها وطريقة عرضها. حيث يتطلب الإفصاح عن أنشطة المسئولية الاجتماعية أن تمتد لغة التعبير المراد الإفصاح عنه، كما يتسع مضمون الرسالة ليشتمل على المعلومات الكمية غير النقدية، وكذلك المعلومات الوصفية حول تأثيرات العمليات الاجتماعية التي لا يمكن قياسها بمقاييس كمية. أما بالنسبة لطريقة عرض المعلومات الاجتماعية فإنه من المنطقي عدم ظهورها في صلب القوائم المالية المنشورة، واعتبرت الباحثة أن استخدام القوائم الإضافية الملحقة بالقوائم المالية بمثابة الطريقة الأكثر ملائمة لعرض معلومات المسئولية الاجتماعية.

٦) (**دراسة منهل، ٢٠٠٠**): هذه الدراسة تعتبر من الدراسات الميدانية لقياس المسؤولية الاجتماعية وعلاقتها بدوران العمل في اثنتين من أكبر الشركات العراقية وهما (الشركة العامة للحديد والصلب، شركة نفط الجنوب) ولقد كانت نتيجة هذه الدراسة ان هناك علاقة ايجابية بين دوران العمل والأداء الاجتماعي الأفضل وقد استخدم مقياس الأداء الاجتماعي الداخلي ممثلاً بنوعية الحياة للعاملين والعدالة الوظيفية وظروف بيئة العمل.

٧) (**حمو، ٢٠٠١**): مدقق الحسابات والمسؤولية الاجتماعية تتحدث هذه الدراسة عن المسؤولية الاجتماعية للذي يدقق حسابات فروع الشركات متعددة الجنسية في نفس بلده وهل يراعي

مصلحة وطنه أم مصلحة الشركة المتعددة الجنسية فالمدقق ليس شرطياً لأموال الشركة فهو يبحث عن الحقيقة وهذه هي المسؤولية الاجتماعية والنقطة الأخرى التي تعرض لها هذا الباحث هو قيام المدقق بفحص الأداء الاجتماعي والمسؤولية الاجتماعية لعملائه وتقديم تقرير عن ذلك لجهات محددة تعتني بمثل هذه التقارير.

٨) (**الشرع ،٢٠٠٢**):"المراجعة عن المسؤولية الاجتماعية في المصارف الإسلامية": الأنشطة الاجتماعية تعتبر جزءاً من نشاط المصارف الإسلامية ونظامها المحاسبي، وهذا البحث يدرس مدى التزام المصارف الإسلامية بهذه الأنشطة وهذا الأمر يتطلب نظاماً لمراجعة الكيفية التي تمارس بها هذه المصارف عملياتها من منظور اجتماعي وتقيم هذه الأنشطة وقد أوصت هذه الدراسة بتوحيد السياسات والمفاهيم المحاسبية في المصارف الإسلامية كأساس للمحاسبة والمراجعة الاجتماعية ومما يميز هذه الدراسة أنها تهدف لقياس وعي واتدراك المدققين وليس المصرف المصرف الإسلامي فقط لمسؤولياتهم ومسؤولية عملائهم الاجتماعية والتدقيق على هذه المسؤولية.

(ب) الدراسات الأجنبية :

(١)**دراسة** (Masse، B.L. 1971) والتي أوضحت أن هناك العديد من المبررات لاستخدام نوعين من المحاسبة عن المسئولية الاجتماعية، محاسبة مالية (تقليدية)، ومحاسبة اجتماعية، ومن هذه المبررات أن تحقيق الأرباح لم يُعد الهدف الوحيد لمنظمات الأعمال، ولكن يتعين عليها أن تقنع المجتمع الذي تتعامل معه بسلامة تصرفاتها، وأن، هناك نوعاً من المسئولية الاجتماعية فيما تؤديه من أنشطة وما تضعه من سياسات.

(٢) **دراسة** (Burson، 1974)، حل العلاقات العامة في المؤسسات الاجتماعية، وتبين فيها أن العلاقات العامة يمكن ان تقدم مجموعة من الخطوات العلمية والعملية لمديري هذه المؤسسات عندما يقررون تحمل مسئولياتهم الاجتماعية، ومن أبرز هذه الخطوات أن العلاقات العامة تستطيع اكتشاف التغيرات الاجتماعية، وتحليل اتجاهاتها وتفسير مضمونها، وتعبر عن الضمير الاجتماعي للمؤسسات، وتحقق التوافق والتجانس بين مصالح المؤسسات ومصالح المجتمع، كما يمكن ان تقوم بالتخطيط لنقل الأفكار إلى خطط برامج وتنفيذها وتقومها أيضاً .

(٣) **دراسة** (Daviss، 1999)

هذه الدراسة من الدراسات التحليلية وقد بدأ الباحث باستعراض أفكار قدمها مدراء معروفين حققوا ارباحاً كبيرة ومهمة وخفضوا التكاليف نتيجة لتبنيهم المسؤولية الاجتماعية

واهتمامهم بالبيئة، وأوضح مثال على ذلك ان إحدى الدراسات وجدة أن ثمانية من أصل عشرة شركات كان أداء الشركات التي لا تسبب تلوث البيئة أفضل من منافسيها الذين يسببون تلوث البيئة بما يعني أن الأرباح للشركات التي تخدم البيئة التي تخدم البيئة والمجتمع أعلى من مثلياتها التي لا تخدم البيئة والمجتمع.

(٤) دراسة (Mohamed Zairi، 2000)

هذه الدراسة من الدراسات المهمة التي حاولت تلخيص الأفكار حول المسؤولية الاجتماعية والأداء الاجتماعي لمنظمات الإعمال وهذا الموضوع من المواضيع المعقدة لكونه يدخل في الأخلاق والسلوك ولأنه يطرح المسؤولية الاجتماعية باعتبارها إشكالية بيئية ذات اعتبارات أخلاقية، وقد طرح الباحث الكثير من الأمثلة التطبيقية الواقعية لمختلف أبعاد المسؤولية الاجتماعية ووجد أن هناك قيمة اجتماعية مضافة تخدم مختلف الأطراف.

(٥) (Abgail McWilliams and Donald Siegel ،2000)

وجد الباحثان أن هناك اختلاف في نتائج البحوث حول العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية للشركة وأدائها المالي وعلى الرغم من أن معظم البحوث وجدت أن هناك علاقة ايجابية بين المسؤولية الاجتماعية والأداء المالي إلا أن الباحثان وجدوا أن هذه العلاقة غير موجودة بسبب عدم الدقة في فرز العلاقات بين مؤشرات القياس لأبعاد المسؤولية الاجتماعية من جانب والأداء المالي من جانب آخر، وقد وجدا إن المسؤولية ذات تأثير حيادي على الأداء المالي

(٦) (Sonja Gallhofer، Jim Haslam ،2007)

هذه الدراسة تعنى بتقييم معايير المحاسبة الدولية وتكشف طريقها لخدمة المصلحة العامة وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن إدخال المسؤولية الاجتماعية في المعايير الدولية سيخدم المصلحة العامة بشكلٍ أفضل.

الإطار النظري للدراسة

١. مفهوم المحاسبة عن المسئولية الاجتماعية:

لقد تعددت المفاهيم والتعاريف الخاصة بالمحاسبة عن المسئولية الاجتماعية، ولكن التعريف الشامل لها هو: (الصبان، ١٩٨٧): " مجموعة الأنشطة الاجتماعي لمنظمات الأعملا وتوصيل تلك المعلومات للفئات والطوائف المختصة وذلك التي تختص بقياس وتحليل الأداء بغرض مساعدتهم في اتخاذ القرارات وتقييم الأداء الاجتماعي لتلك المنظمات ".

حيث يبرز هذا التعريف اهتمام المحاسبة الاجتماعية بوظيفتي قياس الاداء الاجتماعي للمنظمات والتقرير عن نتائج القياس بما يكفل إجراء تقييم للأداء الاجتماعي لأي منظمة من قبل المجتمع.

٢-أهداف المحاسبة الاجتماعية:

أولاً: تحديد وقياس صافي المساهمة الاجتماعية للمنظمة التي لا تشتمل فقط على عناصر التكاليف والمنافع الخاصة والداخلية للمنظمة، وإنما أيضاً تتضمن عناصر التكاليف والمنافع الخارجية(الاجتماعية) والتي لها تأثير على فئات المجتمع، وينبع هذا الدور من قصور المحاسبة التقليدية في مجال قياس الأداء الاجتماعي لمنظمات الأعمال، ويرتبط هذا الهدف بوظيفة القياس المحاسبي (Toms. 2000).

ثانياً: تقييم الأداء الاجتماعي للمنظمة وذلك من خلال تحديد ما إذا كانت استراتيجية المنظمة وأهدافها تتمشى مع الأولويات الاجتماعية من جهة، ومع طموح المنظمة للأفراد بتحقيق نسبة معقولة من الأرباح من جهة أخرى، وتمثل العلاقة بين أداء منظمات الأعمال الاقتصادية والرفاهية الاجتماعية العنصر الجوهري لهذا الهدف من أهداف المحاسبة الاجتماعية ويرتبط هذا الهدف أيضاً بوظيفة القياس المحاسبي.

ثالثاً: الإفصاح عن الأنشطة التي تقوم بها المنظمة والتي لها آثار اجتماعية (أثر قرارات المنظمة على تعليم وصحة العاملين وعلى تلوث البيئة وعلى استهلاك الموارد). ويظهر هذا الهدف ضرورة توفير البيانات الملائمة عن الأداء الاجتماعي للمنظمة ومدى مساهمتها في تحقيق الأهداف الاجتماعية، وأيضاً إيصال هذه البيانات للأطراف المستفيدة الداخلية والخارجية على حدٍ سواء، من أجل ترشيد القرارات الخاصة والعامة المتعلقة بتوجيه الأنشطة الاجتماعية وتحديد النطاق الأمثل لها سواء من وجهة نظر المستخدم أو من وجهة نظر المجتمع، ويرتبط هذا الهدف بوظيفة الاتصال المحاسبي (Ball. A. " et.al".. 2000).

٣-معايير التفرقة بين الأنشطة الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية: (بزماي، ٢٠٠٢):

ليس هناك اتفاق على الأنشطة التي تعتبر داخل نطاق المحاسبة الاجتماعية والأنشطة التي لا تدخل ضمن هذا النطاق. ولكن هناك معياران للتمييز بين الأنشطة الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية:

المعيار الأول: هو وجود أو عدم وجود الإلزام القانوني بالنشاط، فالأنشطة الاجتماعية هي الأنشطة التي تنفذها المنظمة اختياراً للإيفاء بالتزاماها تجاه المجتمع، أي أن صفة الاختيار أو الالتزام هي التي تحدد طبيعة النشاط فيما إذا كان اجتماعي أم لا.

المعيار الثاني: هو معيار النشاط ذاته أي أن الأنشطة الاجتماعية تشمل كل الأنشطة ذات الطبيعة الاجتماعية، وليس فقط الأنشطة التي تقوم به المنظمة بصفة اختيارية، بمعنى آخر يقوم هذا المعيار على وجود الصفة الاجتماعية للنشاط بغض النظر عن وجود إلزام قانوني أو عدم وجوده.

يمكن التمييز بين ثلاثة مداخل لمفهوم محاسبة المسؤولية الاجتماعية للشركات Corporate Social Responsibility Accounting.

(١)-المدخل الأول:

وهو المدخل التقليدي للمسؤولية الاجتماعية، وترجع جذوره إلى النظرية الاقتصادية الكلاسيكية، معبراً عنه بفرضية لها هدفاً وحيداً فقط، هو هدف تعظيم الأرباح للملاك والمساهمين، مع القيد بمراعاة الالتزام بالقواعد الأخلاقية والإطار القانوني السائد في المجتمع. ويعبر Milton Friedman (كتابه الشهير: الرأسمالية الحرية، شيكاغو، ١٩٦٢، صفحة ١٣٣)، (جربوع، ٢٠٠٠) عن هذا الموقف بوضوح مؤكداً أن قبول المسؤولية الاجتماعية في الشركات سوف يقيض أسس المجتمع الحر:

There is one and only one social responsibility of business – to use its resources and engage in activities designed to increase its profit. as long as it stays within the rules of the game. which is to dsay. engages in open and free competition. without deception or fraud.. few trends could so thoroughly undermine the very foundations of our free society as the acceptance by corporate officials of a social responsibility other than to make as much money for their shareholders as possible.

(٢)-المدخل الثاني:

ويسمى بمدخل أصحاب المصالح Stakholder، تمييزاً له عن المدخل الأول الذي سمى بمدخل الملاك أصحاب المشروع Shareholder أو مدخل المساهمين Stockholder، وقد م تطوير هذا المدخل في السبعينيات، أي مع بدايات ظهور المحاسبة الاجتماعية المحاسبة البيئية. ويعترف هذا المدخل بأهمية الأهداف الاجتماعية عند السعي لتحقيق هدف تعظيم الأرباح.

ووفق هذه الرؤية، يتوجب على الإدارة اتخاذ القرارات التي تضمن توازناً عادلاً بين حقوق الملاك المستخدمين والعلماء والموردين والمجتمع بعامة. فالإدارة، تبعاً لهذا المدخل، تتحمل نوعين من المسؤولية:

-مسؤولية خاصة، هي تعظيم الأرباح لأصحاب المشروع.

-مسؤولية اجتماعية، هي المساهمة في تحقيق الرفاه الاجتماعي.

لذلك، يمثل الأداء الاجتماعي للمشروع قيداً على هدف تعظيم الربح. أي أن المسؤولية الاجتماعية هنا هي نوع من التكيف السلبي مع احتياجات البيئة المجتمع باعتبار ذلك عامل متحكم في الربحية في المدى الطويل الأجل وفي استمرارية المشروع نفسه.

تتمثل الاجتماعية للمشروع طبقاً لهذا المفهوم في القيام بأنشطة إلزامية يفرضها القانون لمراعاة تأثير نشاط المشروع على البيئة المحيطة وعلى مارد المجتمع (ماء، هواء..) ولإشباع بعض الحاجات الاجتماعية التي تستلزمها السياسات العامة أو الأعراف الاجتماعية السائدة (مساهمات صحية، خيرية، تعليمية..)

(٣)-المدخل الثالث:

وهو المدخل الأكثر انفتاحاً لمتطلبات محاسبة المسؤولية الاجتماعية، حيث ينظر إلى المشروع على أنه نظام اجتماعي فرعي داخل نظام اجتماعي أكبر، وأنه على إدارة المشروع أن تحافظ على التوازن مع هذا النظام الاجتماعي الأكبر وذلك تحقيقاً لأغراض البقاء والنمو، أي أن المصلحة الذاتية للمشروع تحتم عليه أن يتعامل بصورة إيجابية مع متطلبات المسؤولية الاجتماعية لتحقيق الرفاه للمجتمع.

طبقاً لهذا المدخل ينظر إلى الربح باعتباره وسيلة لتحقيق غاية (مثلاً أهداف اجتماعية) وليس غاية بحد ذاتها. وبالتالي، فإنه بدلاً من تعظيم الربح بصفة عامة، على الإدارة أن تسعى لتحقيق مستوى مرضي Satisfactory يتماشى مع تحقيق مدى معين من الأهداف الاجتماعية. ويتم ذلك بالتوفيق بين مصالح الفئات المختلفة المهتمة بالمشروع: مطالبة العاملين بأجور أعلى، تحسين خطط التقاعد والضمان الاجتماعي للعاملين، مطالبة المستهلكين بأسعار مخفضة وجودة أعلى ومنتج آمن،مطالبة المساهمين بتوزيع عوائد أعلى وتنمية رأسمالهم، مطالبة جمعيات حماية البيئة بعدم تلويث الهواء الماء.. أمشاركة الإيجابية في حل مشاكل المجتمع وعدم اعتبار ذلك قيداً على النشاط الاقتصادي، بل التزاماً من المشروع نفسه تجاه المجتمع.

٤-مجالات المحاسبة الاجتماعية:

لقد حددت لجنة المحاسبة عن الأداء الاجتماعي من قبل الجمعية القومية للمحاسبين بأمريكا (N.A.A) أربعة مجالات للأداء الاجتماعي هي:

- تفاعل المنظمات مع المجتمع.
- المساهمة في تنمية الموارد البشرية.
- المساهمة في تنمية الموارد الطبيعية والبيئية.
- الارتقاء بمستوى جودة السلع والخدمات.

كما جاء المعهد الأمريكي للمحاسبين القانونيين (AICPA) بستة مجالات للأداء الاجتماعي هي كالتالي:

١-البيئة.

٢- الموارد غير المتجددة.

٣-الموارد البشرية.

٤-الموردين.

٥-العملاء.

٦-المجتمع.

أما جمعية المحاسبة الأمريكية (A.A.A.) فقد قامت بإجراء دراسة ميدانية على بعض الشركات التي تعد قوائم وتقارير اجتماعية وذلك من أجل التعرف على أسس القياس والإفصاح، فقد أصدر تقريراً بخمس مجالات للأداء الاجتماعي هي:

١-الرقابة على البيئة.

٢- توظيف الأقليات.

٣-العاملون.

٤-تحسين المنتج.

٥-خدمة المجتمع.

ومن العرض السابق يمكن تحديد مجموعة من الأنشطة الاجتماعية وذلك بالاعتماد على الظروف الحالية للمنظمة وهي: (Gray. R.، 2002)

(أ)**مجال العاملين**: يتضمن هذا المجال تأثير أنشطة المنظمة على الأشخاص العاملين فيها كموارد بشرية تساهم بصورة فعالة في تحقيق أهداف المنظمة، وبالتالي فهي تشمل الأنشطة التي تعمل على تحسين وضع وظروف العاملين بشكل عام كتقديم العلاج للعاملين مجاناً، تحسين ظروف العمل، تقديم وسائل الأمن الصناعي، ويمثل هذا المجال مجالاً داخلياً من مجالات المحاسبة الاجتماعية.

(ب) **مجال البيئة**: يشمل مجموعة الأنشطة الاجتماعية التي تهدف إلى الحد من الآثار السلبية الناجمة عن ممارسة المنظمة لنشاطها والتي تؤثر على البيئة، وذلك بهدف المحافظة على سلامة البيئة المحيطة بالمنظمة والمحافظة على الموارد الطبيعية ويعتبر هذا المجال من أهم مجالات المحاسبة الاجتماعية نظراً لما تسببه من أضرار على البيئة مثل تلوث المياه، والهواء، والتربة، والتلوث الضوضائي. (شعير، ١٩٩٨)

(ج)**مجال حماية المستهلك**: يشمل الأنشطة التي تهدف إلى تحقيق رضا المستهلك، والمحافظة على هذا الرضا كالاهتمام بزيادة أمان المنتج، وعدم خداع المستهلك، والصدق في الإعلان، وتوفير البيانات اللازمة عن المنتج من حيث طريقة استخدام وحدودها والمخاطر المرتبطة ومدة صلاحية الاستخدام.

(د)**مجال المجتمع**: يشمل مجموعة الأنشطة التي تهدف إلى تحقيق فائدة للجمهور بشكل عام كتشغيل المعاقين والعجزة، إفساح المجال أمام طلبة الجامعات للتدريب، إقامة حضانة لأطفال المنطقة، المساهمة في الرعاية الصحية، دعم الجمعيات الخيرية، وكل هذا يهدف إلى تنمية وتحقيق الرفاهية الاقتصادية للمجتمع.

٥-قياس الأداء الاجتماعي للمنظمة (هنداوي، ١٩٩١):

تكمن المشكلة الأساسية التي تواجه المحاسبة إلى أن هناك اختلاف بين وجهة النظر المحاسبية ووجهة النظر الاقتصادية في قياس هذا النوع من التكلفة:

(أ)وجهة النظر المحاسبية:

تعتبر أن التكلفة الاجتماعية تثمل المبالغ التي تنفقها المنظمة نتيجة اطلاعها بمسئولياتها الاجتماعية بصفة اختيارية أو إلزامية والتي لا يطالبها نشاطها الاقتصادي، بالإضافة على عدم حصولها على منفعة او عائد اقتصادي مقال هذه التكاليف. نجد أن هذا المفهوم يعتمد التكلفة الفعلية أساساً في القياس.

(ب) وجهة النظر الاقتصادية:

تعتبر أن التكلفة الاجتماعية هي قيمة ما يتحمله المجتمع من أضرار نتيجة لممارسة المنظمة لنشاطها الاقتصادي (مثل تلوث الهواء، والماء، والتربة، والضجيج.. الخ) فهي بذلك تعبر عن قيمة الموارد التي يُضحي بها المجتمع من أجل إنتاج السلع والخدمات، ونجد أن هذا المفهوم يعتمد تكلفة الفرصة البديلة أساساً في القياس. إن الأخذ بمفهوم التكلفة الفعلية أساساً في قياس التكاليف الاجتماعية من وجهة النظر المحاسبية لا يُعبر عن التكاليف الاجتماعية المتمثلة بالإضرار والآثار السلبية التي تلحقها المنظمة بالبيئة المحيطة بها وبالمجتمع بسبب تلوث البيئة الناتج عن ممارسة المنظمة لنشاطها الاقتصادي، فهي لا تمثل تكاليف اجتماعية وفقاً لهذا المفهوم على اعتبار أن المنظمة لم تدفع مقابلاً لهذه الأضرار، وهنا نجد أن المفهوم يعاني من القصور في إيجاد أساس ملائم لقياس التكاليف الاجتماعية.

مما سبق يتضح أن لكل من وجهتي النظر المحاسبية والاقتصادية تكمل أحداهما الأخرى، والتالي لا يمكننا الأخذ بوجهة النظر المحاسبية دون وجهة النظر الاقتصادية العكس صحيح، بل يقضي الأمر الأخذ بوجهتي النظر معاً لتلافي القصور في كل منهما.

وحسب رأي (الشيرازي، ١٩٩٠)، يمكن تقسيم التكاليف الاجتماعية إلى تكاليف اجتماعية مباشرة (تمثل وجهة النظر المحاسبية)، وتكاليف اجتماعي غير مباشرة (تمثل وجهة النظر الاقتصادية).

أصحاب المصالح في محاسبة المسؤولية الاجتماعية:

(١)- حول تسمية محاسبة المسؤولية الاجتماعية:

في فترة السبعينيات نالت المحاسبة الاجتماعية Social Accounting اهتماماً تجريبيا ملحوظاً ولاقت انتشاراً بحثياً واسعاً، تلاها خلال الثمانينات وحتى منتصف تسعينيات القرن الماضي إهمال واضح – وصل إلى حد التجاهل الكامل – من برامج البحث المحاسبي العلمي.

أما المحاسبة البيئية Environmental Accounting فقد بدأت بذورها في السعينيات، وقد استمر الاهتمام البحث بها بطيئاً، على أن لاقت انبعاثاً وولادة جديدة خلال التسعينيات، وبحيث عاد الاهتمام العلمي بكل من المحاسبة الاجتماعية والمحاسبة البيئية في منتصف التسعينات.

ومع انعطاف القرن الماضي والدخول في الألفية الجديدة بدأت كل من المحاسبتين الاجتماعية والبيئية تتكاملان معاً وتحوزان اهتمام علم الإدارة والمحاسبة والاجتماع والقانون والأحياء والبيئة، لتصبح تسمية محاسبة المسؤولية الاجتماعية Social Responsibility Accounting هي البديل لهما. ولم يعد الآن البحث البيئي والاجتماعي نزوة سياسية أو أمراً متروكاً لإرادة الشركات، بل أصبح شأناً اجتماعياً عاماً، محلياً ووطنياً وعالمياً، لا يمكن تجاهله.

(٢)-أصحاب المصالح في المشروع التقليدي:

إن دراسة طبيعة الوحدة المحاسبية تساعد في تحديد أصحاب المصالح فيها، وبالتالي تحديد مسؤولية إدارة تلك الوحدة والمعلومات المحاسبية (الرسالة المحاسبية) الملائمة لخدمة أصحاب المصالح المهتمين.في المشروع التقليدي، بمعنى المشروع كوحدة محاسبية اقتصادية، توجد نظريتان تفسران طبيعة الوحدة وعلاقتها بأصحاب المصالح فيها، وهما نظرية الملكية المشتركة ونظرية الشخصية المعنوية.

-نظرية الملكية المشتركة: الوحدة المحاسبية هي وحدة اقتصادية، ملك لفرد أو مجموعة من الأفراد (شركات أشخاص)، هم فقط أصحاب المصلحة في المشروع، مصلحتهم تحقيق الأرباح دون أي اعتبار بيئي أو اجتماعي، والملاك هم غالباً المدراء، وتقوم المحاسبة بالتقرير عن أرباح وثروة الملاك باعتبارهم أصحاب المصلحة الوحيدين.

-نظرية الشخصية المعنوية: الوحدة المحاسبية هي أيضاً وحدة اقتصادية في صورة شركة مساهمة ذات حجم متوسط وتأثير بيئي واجتماعي ضئيل نسبياً، يتم خلالها الفصل بين الملكية والإدارة، وتكون الرابطة بين أصحاب المصالح في هذه الوحدة الاقتصادية ليست رابطة ملكية –

كما في نظرية الملكية المشتركة – وإنما رابطة تمويل. ويتعدد أصحاب المصالح في هذه الوحدة: ملاك (مساهمون)، مقرضون ممولون، موردون، عملاء او مستهلكون. وتسعى الإدارة لتحقيق مستوى مقبول من الأرباح وعوائد مناسبة لأصحاب المصالح الذين تربطهم بها مصلحة تمويلية. وتقوم المحاسبة بنشر قوائمها المالية ذات الغرض العام (قائمة الدخل، قائمة المركز المالي، قائمة التدفقات النقدية، قائمة تغيرات حقوق الملكية) لمساعدة أصحاب المصالح في اتخاذ قراراتهم الاقتصادية.

ويمكن توضيح أصحاب المصالح في المشروع التقليدي بالشكل التالي، حيث يلاحظ الاقتصار على المصالح الاقتصادية واعتبار المصالح الخارجية البيئية والاجتماعية مصالح ثانوية بعيدة عن نطاق ودائرة اهتمام المشروع، ولا تتقاطع معه.

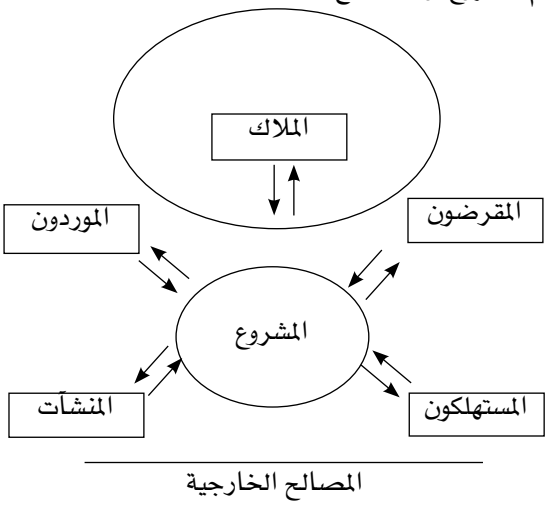

(٣)-أصحاب المصالح في المشروع المعاصر:

يتسم المشروع المعاصر بكبر الحجم وضخامة الاستثمارات المالية وتوظيف عشرات المئات من العاملين، لذلك، فإن نشاطه وتطور أعماله تؤثر على البيئة والمجتمع. إن أصحاب المصالح في المشروع المعاصر متعددون: ملاك ومستثمرون، موردون ومستهلكون، عاملون ونقابات عمال، جهات حكومية محلية ومركزية، منظمات دولية ومجتمع دولي، جمعيات حماية المستهلكين، البنوك والبورصات المالية، جمعيات حماية البيئة (حزب الخضر)، حركة المساواة بين البشر وعدم التمييز العنصري،جمعيات ذوي الاحتياجات الخاصة.

تفسر نظرية المشروع Enterprise Theory طبيعة الوحدة المحاسبية على أنها منظمة اجتماعية تعمل لصالح جميع أفراد المجتمع المحلي والقومي وأحياناً العالمي. وتكون مهمة إدارة

هذه الوحدة الاجتماعية الموازنة بين تحقيق أهداف فئات المجتمع المختلفة. فالاهتمام بمصلحة فئة على حساب فئات أخرى يؤدي إلى الإضرار بمصالح المشروع واستمراريته.

تقدم المحاسبة في المشروع المعاصر تقارير مالية تقليدية لخدمة المساهمين والمقرضين الممولين، إضافة على تقارير عن الأداء البيئي والاجتماعي للمشروع ومدى الالتزام بالتشريعات واللوائح القانونية والمساهمات الطوعية الاختيارية في تحقيق الرفاه في المجتمع المحلي.. والإفصاح المحاسبي هنا تثقيفي إعلامي متعدد الأبعاد يتجاوز الإفصاح المالي التقليدي ليدخل في مجالات حماية المستهلكين والعاملين والبيئة والمجتمع ككل.

نطاق المسؤولية الاجتماعية للمشروع:

إن مجالات المسؤولية الاجتماعية ذات طبيعة متحركة، تتغير من زمن إلى آخر، تبعاً لتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة ولتقدم المعرفة العلمية بآثار بعض الظواهر البيئية والاجتماعية وتبعاً لتغيرات القيم والمواقف في المجتمع، إن ما هو مستبعد حالياً من الرقابة وتقييم الأداء الاجتماعي في المشروع قد يصبح محوراً للاهتمام. لذلك، ليس هناك نطاق ثابت محدد للأنشطة الملائمة اجتماعياً، فمن الطبيعي وجود بعض التباين في تحديد هذه الأنشطة وتبويبها في مجموعات متجانسة.

هناك ستة مجالات يمكن ان تظهر فيها الأهداف الاجتماعية للمشروع.

بالنسبة للإفصاحات عن الخسائر الطارئة الناتجة عن العلاج للالتزامات البيئية (وفقا للمعيار SOP 1-96):

- الإفصاح في هوامش القوائم المالية عن طبيعة وقيمة الالتزام الطارئ، وبالتالي توقع حدوث خسائر إضافية.
- وهل يمكن ان تفصح القوائم المالية عن أمور غير مؤكدة ومتعلقة بالتقديرات، نظراً لتأثيرها بشكل كبير على القوائم المالية؟
- تم تشجيع الوحدات الاقتصادية (شركات، مصانع)، ولكن لم يطلب منها الإفصاح عن الإطار الزمني لاسترداد المبالغ المسجلة، والإطار الزمني لتحقيق المبالغ الممكن استردادها في هوامش القوائم المالية.
- إذا ما كانت الوحدة غير قادرة على تقدير الخسائر المعقولة المحتملة، فهل الهوامش في القوائم المالية تفصح عن طبيعة الاحتمال الطارئ وحقيقة أن التقدير المعقول لا يمكن حدوثه؟

الإفصاح في محاسبة المسؤولية الاجتماعية:

إن الدراسات العلمية ومحاولات التطبيق العملي قد استقرت على اتباع إحدى الطريقتين:

- طريقة الدمج: دمج معلومات محاسبة المسؤولية الاجتماعية مع المعلومات التقليدية للمحاسبة المالية ضمن قوائمها المالية ذات الغرض العام: قائمة الدخل وقائمة المركز المالي.
- طريقة الفصل: عرض معلومات محاسبة المسؤولية الاجتماعية في قوائم مستقلة مع الإبقاء على قوائم المحاسبة المالية في شكلها ومضمونها التقليدي.

(١)-طريقة الدمج:

طبقاً لهذه الطريقة يتم التقرير عن المسؤولية الاجتماعية في شقيها التكاليفي والمنفعي جنباً على جنب مع المعلومات المالية في مجموعة واحدة معبراً عنها بوحدة النقد الوطني، الدينار مثلاً، وهذا ما يحقق مبدأ تكامل النشاط الاقتصادي والاجتماعي للمشروع. وتطبق في هذه الطريقة مفاهيم المحاسبة المالية التقليدية، مثل مفهوم العمليات الاجتماعية، التكاليف الاجتماعية، المنافع أو العوائد الاجتماعية، صافي الأصل الاجتماعي.

تفترض هذه الطريقة إمكانية القياس النقدي لظواهر وآثار المسؤولية الاجتماعية،وهو افتراض متفائل جداً. العديد من المشاكل البيئية والاجتماعية لا يمكن قياسها نقدياً بدرجة معقولة من الموثوقية، الأمر الذي يكسي على هذا القياس ثوب الذاتية ويقلل من إمكانية الاعتماد عليها في اتخذا القرارات. إضافة إلى ذلك، فإن الدمج بين معلومات المحاسبة المالية ومعلومات محاسبة المسؤولية الاجتماعية يجعلها أكثر تعقداً ويؤثر سلباً على فائدة المعلومات المالية نفسها.

يأخذ أسلوب العرض في طريقة الدمج أحد الشكلين التاليين:

أولاً: قائمة العمليات الاقتصادية – الاجتماعية Socio-Economic Operating Statement وتسمى بنموذج Linowes. وهي شكل شبيه قائمة الدخل التقليدية، يمثل قائمة فترية تلخص الأداء التشغيلي الاجتماعي للمشروع. توضح هذه القائمة نتيجة المقابلة الفترية لعمليات ذات التأثيرات الموجبة والسالبة في مجالات ثلاثة لمحاسبة المسؤولية الاجتماعية: مجال الموارد البشرية، مجال الموارد الطبيعية ومجال المنتج أو الخدمة. ويتم تقسيم عناصر هذه المجالات الثلاثة من حيث تأثيراتها كلاً على حدة إلى تحسينات Improvements أو تأثيرات موجبة وإلى أضرار Detriments أو تأثيرات سالبة.

ثانياً: تعديل القوائم المالية التقليدية، فتعد قائمة الدخل المعدلة بأعباء الوفاء بالمسؤولية البيئة والاجتماعية، أي يعدل ربح التشغيل المحاسبي بأعباء المسؤولية الاجتماعي في مجالاتها الأربعة: المساهمات البيئية، المساهمات العامة، الموارد البشرية، مجال المنتج او الخدمة. ويمكن

ان تقسم هذه الأعباء في مجالاتها الأربعة إلى الأعباء الإجبارية وإلى الأعباء الاختيارية. ليتم التوصل في نهاية التعديلات إلى صافي الدخل المعدل.

وعلى غرار التعديل السابق يتم تعديل قائمة المركز المالي التقليدية بتأثيرات المساهمات البيئية والاجتماعية. وتهدف هذه القائمة إلى توفير معلومات عن الموارد المتاحة للاستخدام في مجالات الأداء البيئي وما يقابلها من حقوق للغير، بحيث يتم تحديد صافي الأصول Net Assets في كل من المجالات الأربعة: مجال المساهمات البيئية، والمساهمات العامة،والموارد البشرية، وأخيراً مجال المنتج.

(٢)-طريقة الفصل:

تأخذ تقارير المسؤولية الاجتماعية في هذه الطريقة أحد ثلاثة أشكال، وهي:

١.تقارير وصفية تصف بطريقة سردية أو روائية Narrative الأنشطة الاجتماعية التي قامت بها الوحدة، هي عادة أنشطة الالتزام الاختياري للمشروع، دون محاولة تقويم وتحليل التكاليف والمنافع المترتبة على هذه الأنشطة. وتمثل هذه التقارير المرحلة الأولى من مراحل تطور محاسبة المسؤولية الاجتماعية. ولقد اقترحت مثل هذه التقارير الجمعية الأمريكية للمحاسبة AAA عام ١٩٧٣م.

٢.تقارير تفصح عن الجانب التكاليفي لتأثيرات أنشطة المسؤولية الاجتماعية دون التعرض لقيمة المنافع. وتعرف هذه التقارير بتقارير المدخلات.

٣.تقارير تفصح عن كل من تكاليف ومنافع أنشطة المسؤولية الاجتماعية، وتعرف هذه التقارير بتقارير المدخلات والمخرجات.

يلاحظ أن تأثيرات الأنشطة الاجتماعية في النوع الثاني والثالث يتم تقديمها والتعبير عنها بوحدة النقد الوطني السائدة، الدينار مثلاً، بينما يعتمد في النوع الأول أسلوب الإفصاح والتقييم الروائي.

لا شك أن النوع الأخير هو أشملا أنواع التقارير. ولقد اقترح إستس Estes (ي كتابه: المحاسبة الاجتماعية للشركات، عام ١٩٦٧) نموذجاً لهذا النوع من التقارير يتم فيه مقابلة المنافع الاجتماعية بالتكاليف الاجتماعية بهدف التوصل إلى صافي الفائض أو العجز الاجتماعي على مستوى المشروع. وأطلق إستس على هذا التقرير – الشبيه بقائمة الدخل – قائمة الأثر الاجتماعي.

إن التقارير السابقة في طريقة الدمج (نموذج Linowes في صورة قائمة العمليات الاقتصادية – الاجتماعية، ونموذج تعديل قائمة الدخل وقائمة المركز المالي) وكذلك في طريقة

الفصل (النوع الثاني تقارير المدخلات والنوع الثالث تقارير لمدخلات – المخرجات) تعاني جميعها من صعوبات القياس المحاسبي المالي لمعظم أنشطة المسؤولية الاجتماعية، وبالتالي تفتقر على درجة مقبولة من الموثوقية Reliabilkity أو الموضوعية Objectivity، الأمر الذي يضعف من ملاءمتها Relevance لاتخاذ القرارات لدى أصاحب المصالح لذلك، نرى أن تلك التقارير لا تصلح إلا للاستخدامات الداخلية. لذلك، فإن أكثر التقارير شيوعاً لأغراض الإفصاح الخارجي هي تلك التي تقتصر فقط على بيان تكاليف أنشطة المسؤولية الاجتماعية دون التعرض إلى جانب المنافع، أي تقارير المدخلات فهي أكثر موثوقية.

تقرير الأداء البيئي والاجتماعي متعدد الأبعاد:

إن الإفصاح السابق هو إفصاح محاسبي روائي أو قيمي. ومن المفيد إضافة معلومات تعكس نتائج قياس التأثيرات البيئية والاجتماعية الكلية للمشروع في صورة أرقام ونسب وإحصاءات، غالباً ما تكون أرقاماً طبيعية فيزيائية أو بيولوجية. وتعرض الأرقام على أساس مستويات قياسية معيارية يحددها المختصون بعلوم البيئة لتكون معيارا للرقابة على المستويات الفعلية وتحديد نوع وحجم الانحراف، وذلك على غرار التحاليل الطبية التي يعتمدها الطبيب لمساعدته في تشخيص المرض ووصف العلاج. ويسمى مثل هذا التقرير تقرير الأداء البيئي – الاجتماعي متعدد الأبعاد.

يتميز هذا النوع من التقارير بما يلي:

- يوفر معلومات تعكس نتائج قياس العمليات البيئية والاجتماعية التي يتطلبها القانون كحد أدنى لتحقيق أهدفا المسؤولية الاجتماعية، وذلك على الأساس الرقابي الذي يسمح بمقارنة ما يجب أن يكون مع ما هو كائن فعلا.
- تقدم المعلومات الناجمة دلالة بيئية واجتماعية أكثر وضوحاً لتأثيرات العمليات البيئية– الاجتماعية.
- يوفر معلومات للأجهزة الحكومية المختصة التي يتركز اهتمامها في التعرف على مدى وفاء المشروع بمسؤولياته الاجتماعية بغض النظر عما صرف فعلا في سبيل ذلك.

يغطي تقرير الأداء البيئي – الاجتماعي متعدد الأبعاد نفس المجالات التي غطتها التقارير السابقة في الإفصاح المحاسبي. وهذه المجالات هي:

المساهمات البيئية، المساهمات العامة، الموارد البشرية، وأخيراً مجال المنتج.

القائمة المالية لتأثيرات عدم الوفاء بالمسؤولية الاجتماعية:

قد يُظهر التقرير السابق متعدد الأبعاد انحرافات غير ملائمة عند مقارنة المستويات الفعلية بالمستويات القياسية المعيارية، وتنتج هذه الانحرافات غير الملائمة – بغض النظر عن حجم الموارد التي استنفذها المشروع في مختلف مجالات المسؤولية الاجتماعية – عن عدم فعالية إدارة المشروع أو تقصيرها في الوفاء بمسؤوليتها البيئية والاجتماعية الإجبارية أو القيام بها بمستوى أقل مما يتطلبه القانون.

تهدف القائمة المالية لتأثيرات عدم الوفاء بالمسؤولية البيئية والاجتماعية إلى توفير معلومات تعكس نتائج القياس النقدي للعمليات البيئية والاجتماعية المؤدية إلى انحرافات غير ملائمة في الأداء البيئي الاجتماعي.

تفيد مثل تلك المعلومات في التعرف على قيمة التأثيرات السالبة التي تؤدي إلى الإضرار بنوعية الحياة في المجتمع. وتعبر هذه القيمة عن الأعباء الافتراضية التي كان ينبغي أن يتحملها المشروع للوفاء بمسؤوليته الاجتماعية في المجالات الأربعة. أي معرفة قيمة الأعباء الافتراضية حتى تستبعد الانحرافات غير الملائمة ويكون المشروع قد قام بمسؤليته الاجتماعية الإجبارية كاملة دون أي تقصير.

تحليل البيانات واختبار الفرضيات

أولا: وصف خصائص العينة العامة والشخصية:

الجدول الاول:

		التكرار	النسبة المؤوية
الجنس	ذكر	٢٣	٧١,٩
	أنثى	٧	٢١,٩
	قيمة مفقودة	٢	٦,٣
		٣٢	١٠٠

من التحليل السابق لخصائص عينة الدراسة، نلاحظ أن نسبة الذكور في العينة بلغت ٧٢٪ اي ما يعادل ٢٣ مبحوث، أما نسبة الاناث فقد بلغت ٢٢٪ اي ما يعادل ٧ مبحوثين.

الجدول الثاني:

		التكرار	النسبة المئوية
المؤهل العلمي	دبلوم	٥	١٥,٦
	بكالوريوس	٢٠	٦٢,٥
	دراسات عليا	٤	١٢,٥
	قيمة مفقودة	٣	٩,٤
		٣٢	١٠٠

تتميز العينة المختارة بعدد كبير من حملة درجة البكالوريوس بواقع ٢٠ مبحوث وبنسبة تقريباً ٦٣٪، أما النسبة الأقل فهي لحملة الدراسات العليا والتي بلغت ١٣٪ وحملة الدبلوم ١٦٪.

الجدول الثالث:

		التكرار	النسبة المئوية
الوظيفة	مدير	٧	٢١,٥
	رئيس قسم	١٢	٣٧,٥
	موظف	١١	٣٤,٥
	قيمة مفقودة	٢	٦,٣
		٣٢	١٠٠

نلاحظ من توزيع خصائص العينة العامة بالنسبة للوظيفة أن الغالبية هم من رؤساء الاقسام بنسبة ٣٨٪ ثم الموظفون بنسبة ٣٧٪ ثم المدراء وبنسبة ٢١٪.

الجدول الرابع:

		التكرار	النسبة المئوية
سنوات الخبرة	٣-٧	١٢	٣٧,٥
	٧-١٠	٧	٢١,٥
	أكثر من ١٠	١١	٣٤,٥
	قيمة مقودة	٢	٦,٣
		٣٢	١٠٠

من التحليل نرى ان غالبية افراد العينة يتمتعون بخبرة من ٣-٧ سنوات بنسبة ٣٨٪ ثم يليها الخبرة اكثر من ١٠ سنوات بنسبة ٣٥٪ ثم اخيرا الخبرة من ٧-١٠ بنسبة ٢١٪.

ثانيا : اختيار الفرضيات

الفرضية الاولى:

Ho: لايوجد تطبيق للقياس ولافصاح عن المسؤولية الاجتماعية في الشركات الصناعية الاردنية.

H1: يوجد تطبيق للقياس والافصاح عن المسؤوليه الاجتماعيه في الشركات الصناعيه الاردنيه.

التحليل:

السؤال	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	قيم مفقودة	مجموع	متوسط عام	انحراف معياري
١	٥	١٥	٤	٥	٢	١	٣٢	٣,٥٢	١,١٥
٢	٩	١٥	٤	٣	٠	١	٣٢	٣,٩٧	٠,٩١
٣	٨	١٣	٧	٣	٠	١	٣٢	٣,٨٤	٠,٩٣
٤	٧	١٠	٥	٨	٢	٠	٣٢	٣,٣٨	١,٢٦
٥	٥	١٣	٨	٤	٢	٠	٣٢	٣,٤٧	١,١٠٧
٦	٤	١٣	١١	٤	٠	٠	٣٢	٣,٥٣	٠,٨٧
٧	٥	١٨	١	٧	٠	١	٣٢	٣,٦٨	١,٠١
٨	١٠	٩	٥	٧	١	٠	٣٢	٣,٦٣	١,٢٣
٩	٨	١٩	١	٤	٠	٠	٣٢	٣,٩	٠,٨٩٨
١٠	١٤	١٢	٥	٠	٠	١	٣٢	٤,٢	٠,٧٤

تعليق/ من التحليل السابق الأولي لإجابات المبحوثين، وبإستخدام التكرارات والنسب المئوية نلاحظ أن اجابات المبحوثين جميعها فوق ٣ (محايد) وتقترب من ٤ (موافق)؛ إذاً نستطيع الحكم وبشكل أولي على قبول الفرضية.

ولإختبار الفرضية سنستخدم اختبار العينة الاحادية كالآتي:

الفرضية	متوسط	T	Sig.	الانحراف المعياري
الفرضية الاولى	٣,٧٢	٣,٠٢٠٠	٠,٠٠٢٥	٠,٥٣

التحليل:

نلاحظ من تحليل الاسئلة الخاصة باختبار الفرضية الاولى ان جميع المتوسطات الحسابيه للأسئلة هي اكبر من ثلاثة(محايد)، اذا وبشكل استطلاع اولي نلاحظ انه يوجد افصاح عن المحاسبة عن المسؤولية الاجتماعية من وجهة نظر المبحوثين.

- وباستخدام اختبار ONE SAMPEL T TEST لاحظنا ان المتوسط العام للأسئلة التي تخدم الفرضية هي ٣,٧٢ وبانحراف معياري ٠,٥٣ وقد كانت T المحسوبة = ٣,٠٢ وهي اكبر من T المجدولة وهي ١,٦٩ اذاً فالفرضية تقع خارج منطقة قبول الـ HO اذا نرفض HO ونقبل الـ H١ اذاً يوجد افصاح عن المسؤولية الاجتماعية في الشركات الصناعية الاردنية.

- وباستخدام نسب الدلالة الاحصائية sig نحصل على نفس النتيجة اذ نلاحظ ان قيمة sig= ٠,٠٠٢٥ وهي اقل من٥ ٪ اذا نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة.

الفرضية الثانية:

HO: لاتوجد علاقة ذات دلاله معنويه بين تطبيق القياس والافصاح عن المسؤوليه الاجتماعيه لدى الشركات الصناعيه وبين جعل قوائمها الماليه أكثر كفايه.

H1: توجد علاقة ذات دلاله معنويه بين تطبيق القياس والافصاح عن المسؤوليه الاجتماعيه لدى الشركات الصناعيه وبين جعل قوائمها الماليه أكثر كفايه.

اختبار ONE SAMPLE T TEST

المتوسط	الانحراف المعياري	T	Sig
٣,٨	٠,٦	١,٩٢	٠,٠٣٢

التحليل:

من اختبار العينة الاحادية وجدنا ان المتوسط العام هو ٣,٨ وهو اكبر من (محايد) بأنحراف معايري ٠,٦ووجدنا ان قيمة T المحسوبة ١,٩٢ وهي اكبر من T المجدولة ١,٦٩، اذاً نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة وكذلك نلاحظ ان قيمة SIG = ٠,٠٣٢ اقل من مستوى المعنوية ٠,٠٠٥ اذاً ايضاً نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، اذاً توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين تطبيق القياس والافصاح عن المسؤولية الاجتماعية لدى الشركات الصناعية وبين جعل قوائمها المالية اكثر كفاية.

الفرضية الثالثة:

HO: لاتوجد علاقة ذات دلاله معنويه بين تطبيق القياس والافصاح عن المسؤوليه الاجتماعيه لدى الشركات الصناعيه وبين جعل المجتمع اكثر قبولاً لها.

H1: توجد علاقة ذات دلاله معنويه بين تطبيق القياس والافصاح عن المسؤوليه الاجتماعيه لدى الشركات الصناعيه وبين جعل المجتمع اكثر قبولاً لها.

اختبار ONE SAMPLE T TEST

المتوسط	النحراف المعياري	T	Sig
٢,٣	٠,٦٧٨	٠,٧٠٧	٠,٢٤٢٥

من اختبار العينة الاحادية وجد ان المتوسط العام هو اقل من (محايد) بأنحراف معياري ٠,٦٧٨

وكذلك وجد ان T المحسوبة ٧٠٧, ٠وهي اقل من T المجدولة اذاً الفرضية تقع في منطقة قبول الفرضية العدمية وكذلك فان sig هي أكبر من نسبة المعنوية ٥٪ اذاً لا يوجد اثر ذو دلالة معنوية بين تطبيق القياس والافصاح عن المسؤولية الاجتماعية لدى الشركات الصناعية وبين جعل المجتمع اكثر قبولا لها.

النتائج والتوصيات

أ-النتائج:

١- ان محاسبة المسؤوليه الاجتماعية تعتبر احد الفروع الجديدة وقد ولد هدا النوع من المحاسبة في الدول الصناعية الكبرى نتيجة تزايد الكثافة الصناعية وتزايد الاحساس من جانب طوائف المجتمع بالاثار الاجتماعية السلبية التي تنتج عن الصناعة. فكما نعلم ان للوحدات الاقتصادية النعاصرة تأثيرات مادية واقتصادية وبيئية واجتماعية واسعة النطاق، تجاوزت التاثيرات على المجتمع المحلي الى الاقتصاد الوطني وفي بعض الاحيان الى الاقتصاد العالمي، الامر الدي وسع نطاق اصحاب المصالح المهتمين بالوحدة الاقتصادية وافصاحها وتقاريرها المالية من بيئة اجتماعية.

٢- وجدت الدراسة ان هناك افصاح عن المسؤولية الاجتماعية في الشركات الصناعية الاردنية.

٣- وجدت الدراسة اثر ذو دلالة احصائية للافصاح عن المسؤولية الاجتماعية في الشركات الصناعية الاردنية وجعل قوائمها المالية اكثر عدلاً.

٤- وكذلك لم تجد الدراسة أثر ذو دلالة احصائية للافصاح عن المسؤولية الاجتماعية في الشركات الصناعية الاردنية على جعل المجتمع أكثر قبولاً لهذه الشركات.

التوصيات:

١- ضرورة وجود قوانين وانظمة لحماية البيئة وفرض عقوبات على الشركات التي لا تلتزم بحماية البيئة وتسبب اضرارا لها.

٢- المحاسبة عن المسؤولية الاجتماعية يجب ان تحضى بالقدر الكافي من الاهتمام من جانب المنظمات المهنية ومن اعضاء الهيئة التدريسية في اقسام المحاسبة بالجامعات الاردنية ومن الشركات الصناعية المساهمة الاردنية.

٣- ضرورة الافصاح عن الانشطة التي تقوم بها الشركات والتي لها آثار اجتماعية مثل التعليم، وصحة العاملين، وتلوث البيئة، واستهلاك الموارد، وهدا يتطلب ضرورة توفير البيانات الملائمة عن الاداء الاجتماعي ومدى مساهمتها في تحقيق الاهداف الاجتماعية، ثم ايصال هده البيانات للاطراف المستفيدة الداخلية والخارجية من اجل ترشيد القرارات المتعلقة بتوجيه الانشطة الاجتماعية وتحديد النطاق الامثل لها سواء من وجهة نظر المستخدم او من وجهة نظر المجتمع.

٤- امكانية تحديد مدى التقدم الدي احرزته الشركات الصناعية الاردنية في مجال الاداء الاجتماعي وتنفيد مسؤولياته الاجتماعية، وما يتعين عليه عمله بالمستقبل لغرض تحقيق الاهداف الاجتماعية المرجوة.

٥-ضرورة تطوير القوائم المالية في المستقبل القريب لكي تشتمل على قرارات تفصيلية عن الاداء الاجتماعي للشركات الصناعية الاردنية خاصة قائمة الدخل فانها لا تستطيع قياس الاداء الاجتماعي لتلك الشركات.

٦-من الضروري ان تقوم الشركات الاصناعية الاردنية باعداد برامج لادارة المخاطر البيئية، تلائم طبيعة انشطتها، بهدف الوصول الى محاولة استبعاد او تخفيض التأثيرات الضارة التي قد تترتب عليها.

٧-يجب على الجمعيات المهنية المحاسبية تطوير ارشادات ومعايير تتعلق بالاعتراف والقياس والافصاح عن المصروفات والخسائر والالتزامات والتكاليف الراسمالية ذات الصلة بالتاثيرات البيئة لأنشطة الشركات الصناعية في الاردن.

أولاً: المراجع باللغة العربية:

١-إسماعيل، محمود إسماعيل (١٩٩٧)، التكلفة الاجتماعية لتلوث البيئة بين الفكر المحاسبي وإجراءات القياسي المحاسبي، مجلة بحوث جامعة حلب، العدد (٢٠)، لعام ١٩٩٧م، ص١٦٩

٢-أومري، خالد (١٩٩٨)، " الإفصاح المحاسبي عن المسئولية الاجتماعية للمشروع، نموذج مقترح لقائمة دخل اقتصادي"، مجلة بحوث جامعة حلب، سلسلة العلوم الاقتصادية، العدد(٢٢)

٣-بزماوي، محمد حسام (٢٠٠٢)، " ألقياس والإفصاح للأداء الاجتماعية في المنشآت الصناعية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب، الجمهورية السورية.

٤-جربوع، يوسف محمود (٢٠٠١)، " المحاسبة عن المسئولية الاجتماعية" نظرية المحاسبة، الناشر دار الوراق للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ص ٣٤-٣٧.

٥-حسن، إيناس عبد الله (٢٠٠٢)، " الفجوة بين الإفصاح في المحاسبة والإفصاح في التدقيق في ظل القواعد المحاسبية الدولية الصادرة عن مجلس المعايير المحاسبية والرقابية العراقي، مجلة المحاسب القانوني العربي، العدد ٧) حزيران.

٦-حماد، طارق عبد العال (٢٠٠٠)، " التقارير المالية"، بدون دار نشر، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية. ص ٥٣

٧-حمو، عبد المجيد، " مدقق الحسابات والمسؤولية الاجتماعية " المؤتمر العملي لامهني الثالث لجمعيةمدققي الحسابات الاردنيين بالتعاون مع مركز البنك العربي للبحث العلمي، عمان، ١٨ – ١٩ أيلول، ٢٠٠١

٨-سجيني، طلال إبراهيم عرابي (١٩٩٧)، " قياس درجة ومدى الإفصاح المحاسبي في الشركات الصناعية بالمملكة العربية السعودية"، المجلة العلمية لكلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الملك سعود، ألرياض، العدد ٨).

٩-الشرع، مجيد جاسم، " المراجعة عن المسؤولية الاجتماعية في المصارف الاسلاميه" (عمان: دار وائل للنشر ٢٠٠٢)

١٠- شعير، أحمد (١٩٩٨)، " إمكانية التعبير عن الأداء البيئي للمنشآت الاقتصادية من خلال الإطار الفكري للنظرية المحاسبية"، ألمجلة العلمية، كلية التجارة، جامعة أسيوط، العدد(٢٥).

١١-شيرازي، ٰباس مهدي (١٩٩٠)، " ألمحاسبة عن المسئولية الاجتماعية، نظرية المحاسبة، الناشر درا السلال، الكويت، ص ٣٥٠

١٢-الصبان، محمد عبد السلام (١٩٨٧)، " ألمحاسبة الاجتماعية"، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، جامعة الإسكندرية، ألعدد الأول، السنة الخامسة عشرة، ١٩٨٧م، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية. ص ١٠٤.

١٣-علام، محمد نبيل (١٩٩١)، " حدود المسئولية الاجتماعية، إطار فكري لمراجعة الأداء الاجتماعي لمنظمات الأعمال في دول العالم النامي"، الإدارة العامة العدد (٧٢)، الرياض، ص ٣٣

١٤- عيسى،إبراهيم درويش)(١٩٨٠)، " أثر التكلفة الاجتماعية على الربحية يف الوحدات الاقتصادية"، رسالة دكتوراه في المحاسبة غير منشورة، كلية التجارة، جامعة المنصورة، جمهورية مصر العربية.

١٥- مطر وآخرون (١٩٩٦)، " نظرية المحاسبة واقتصاد المعلومات، ألإطار الفكري وتطبيقاته العلمية"، دار حنين للنشر والتوزيع، عمان، ألمملكة الأردنية الهاشمية، ص ٣٦٩

١٦-منهل، محمد حسين: الأداء الاجتماعي الداخلي وعلاقته بدوران العمل، دراسة ميدانية في شركة نفط الجنوب والشركة العامة للحديد والصلب " رسالة ماجستير في إدارة الأعمال، جامعة البصرة، العراق،. ٢٠٠٠

١٧- هندريسكون، ألدون (١٩٩٠)، "نظرية المحاسبة "، ترجمة الدكتور كمال خليفة أبوزيد، بدون دار نشر، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

١٨-هنداوي، وفيه أحمد فؤاد (١٩٩١)، " تقييم الأداء الاجتماعي والاقتصادي لهيئة قناة السويس"، رسالة دكتوراه في إدارة الأعمال، كلية التجارة ببور سعيد، جامعة قناة السويس، جمهورية مصر العربية.

المراجع الأجنبية:

1- Abagail. M. and Siegel D. "Corporate Social Responsibility and Financial Performance: Correlation or Misspecification". Strategic Management Journal. Vol.12. No 5.2000

2- Ball. A.. Owen. D. and Gray. R. (2000). " External Transparency on Internal Capture ? The Role of Third Party Statements in Adding Value to Corporate Environmental Reports ". Business Strategy and the Environment. Vol. g. No.1. (January /February 2000). pp. 215-241

3- Daviss. Bennett. " Profits From Principles. " The Futurist. March. 1999.

4- Dlynveld Peat and Goeder. (1996). " Reporting on Environmental Performance Measurement " Journal of Accountancy. Vol. 13. No. 2. 723. 1996. pp. 7-8

5- Gallhofer .Sonja and Haslam. Jim. (2007) Exloring Social. Political and Economic dimensions of Accounting in the Global Context: the Interational A SSOUNTING Standards Board and Accounting Disaggregation (October 2007). Socio-Economic Review. vol.5. Issue 4. pp. 633-664. 2007

6- Gray. R. (2002). " The Social Accounting Project and Accounting Organizations and Society ". Privileging Engagement. Imaginings. New Accountings and Pragmatism Over Critique ? ". Accounting Organizations and Society. Vol. 27. PP. 293-331.

7- Masse. B. L.(1971). " Puzzled Businessmen Under New Methods of Cashring Success " < Wall Street Journal. (December 1971). PP. 7-8

8- Owen and Adams. (1996). " Accounting and Accountability – changes and Challenges in Corporate Social and Environmental Reporting. (Prentice – Hall.1996)

9- Ostlaand. L.(1977). " Attitudes of Managers Toward Corporate Social Responsibility ". california Management Review. Vol. 19. No. 4. PP. 36-49

10- Tilt. (1994). " The Influence of External Pressure Groups on Corporate Social Disclosure: Some Empirical Evidence ". Accounting. Auditing and Accountability Journal. Vol. 7. NO. 4. PP. 56-71

11-Toms. (2002). " firm Resources. Quality Signals and Environmental Reputation: some United Kingdom Evidence ". British Accounting Review. Vol. 34. PP.257-282.

12- Zairi. Mohammad. " Social Responsibility. " and impact on Society'. TheTQM
Magazine. Vol.12.No.3. 2000

الملاحق

أولا: الاستبيان الذي تم توزيعه خلال البحث الميداني

بسم الله الرحمن الرحيم

عناية السادة المحترمين

تحية طيبة وبعد

نقوم بإجراء دراسة حول:

مدى تطبيق القياس والإفصاح عن المسؤولية الاجتماعية بالقوائم المالية للشركات المساهمة العامة الصناعية الأردنية واثر ذلك في جعل قوائمها المالية أكثر كفاية والمجتمع أكثر قبولاً

لذا نرجو منكم التكرم بالإجابة على الأسئلة التي تتضمنها الاستبانة للمساعدة في إتمام هذه الدراسة، إذ أنها تعتمد على إجابتكم بشكل أساسي، ونؤكد لكم بأن جميع البيانات التي سيتم الحصول عليها ستعامل بسرية تامة، ولن يتم إطلاع أي طرف آخر غير الباحثين عليها وأنها سوف تستخدم لغايات البحث العلمي فقط.

شاكرين حسن تعاونكم

سيتم اعتماد مقياس Likert بدرجاته الخمس (خمس درجات لعبارة موافق بشدة، وأربع درجات لعبارة موافق، وثلاثة درجات لعبارة محايد، ودرجتان لعبارة غير موافق، ودرجة واحدة لغير موافق بشدة) لاختبار فرضيات الدراسة والخروج بالاستنتاجات والتوصيات

ت	الإيضاحات	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
١	يحضى القياس والافصاح عن الاداء الاجتماعي لشركات المساهمةالعامة الصناعية الاردنية بالقدر الكافي من الاهتمام من جانب الجمعيات المحاسبية المهنية					
٢	الاطار العام المتمثل بالقياس والافصاح عن الاداء الاجتماعي للشركات الصناعية هو اطار غير محدد المعالم ولم يتفق على ابعاده حتى الان بشكل قاطع					

٣	القياس والافصاح عن الاداء الاجتماعي لتلك الشركات يمكن تقنينه عن طريق تحديد فئاته ومجالاته					
٤	ان المستثمرين يطلبون معلومات عن الاسواق وعن مساهمة الشركات المساهمة العامة الصناعية الأردنية في خدمة المجتمع التي تتاوجد فيه					
٥	ان المعلومات المطلوبة تتجاوز مصالح المساهمين في هذه الشركات لتشمل دراسة وتحليل الاثر الاجتماعي لتلك الشركات لنشاطها في البيئة التي تعمل بها					
٦	ان البيانات المطلوبة تشمل الافصاح عن معلومات جديدة لم تكن تتضمنها القوائم المالية المحاسبية التقليدية كان الافصاح عادة عن بيانات محاسبة الموارد البشرية والاجتماعية والمعلومات القطاعية التي تعمل بها تلك الشركات					
٧	توجود بحوث وتخطيط تهدف الى التعرف على حاجات المستهلكين والجمهور وملاك المشروع للشركات الصناعية من خلال ممارسة اعمالها					
٨	توجد مبرارات لدى الشركات الصناعية الاردنية لاستخدام نوعين من المحاسبة عن المسؤولية الاجتماعية وهي محاسبة مالية تقليدية ومحاسبة اجتماعية					
٩	توجد علاقة ايجابية بين المحاسبة عن المسؤولية الاجتماعية للشركات الصناعية الاردنية ونجاحها تجاريا					
١٠	على الشركات الصناعية توفير المعلومات بالتأثيرات البيئية من خلال تكلفة المحافظة على البيئة وحمايتها واعتبارها جزء من تكلفة الإنتاج واخذ هذه المعلومات بالاعتبار عند اتخاذ القرارات واعتبارها من المبادئ المحاسبية المقبولة عموما					

١١	ان الفكر المحاسبي لم يعطي البعد الاجتماعي الاهتمام الكافي حتى الان بالرغم من أهميته في تحقيق الرفاهية الاجتماعية للمجتمع الذي تعمل فيه الشركات الصناعية الأردنية					
١٢	يمكن قياس صافي الفائض او العجز الاجتماعي والاقتصادي للشركات المساهمة الصناعية عن طريق تبويب تكاليف انشطة المسؤولية الاجتماعية					
١٣	ان استخدام القوائم الاضافية الملحقة بالقوائم المالية هي بمثابة الطريقة الاكثر ملائمة لعرض معلومات المسؤولية الاجتماعية					
١٤	تتحمل الشركات الصناعية الاردنية مسؤوليتها البيئية والاجتماعية لتحقيق الرفاهية الاجتماعية لجميع افراد المجتمع					
١٥	ان القوائم المالية التي تنشرها الشركات الصناعية الأردنية هي قوائم قاصرة وغير مكتملة نظرا لعدم إدخال البعد الاجتماعي أي الخسائر والتكاليف الاجتماعية في أنشطتها					
١٦	ان على الشركات الصناعية ان تراعي النفع العام عند اعداد التقارير المالية الامر الذي يتطلب الموازنة بين المنافع المحققة بالنسبة لفئة معينة مع الاضرار التي تتحملها فئة اخرى وبحيث يكون الاثر النهائي في صالح المجتمع بكامله					
١٧	يتطلب نموذج المحاسبة عن المسؤولية الاجتماعية والبيئية توسعا في القياس المحاسبي ليشمل الأثار الخارجية والتي تعرف بالتكلفة الاجتماعية والعائد الاجتماعي					
١٨	تقوم السلطات الوطنية بفرض أنظمة وقوانين لحماية البيئة وفرض عقوبات على الشركات المساهمة الصناعية التي لا تلتزم بحماية البيئة وتسبب أضرار لها					

٢

التربية

جامعة الطائف

قياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف

الباحث الرئيسي
د.عبد العزيز العنقرى
أستاذ مساعد

الباحث المشارك
د.وجيه عبد الستار نافع
أستاذ مساعد

كلية العلوم الإدارية والمالية - جامعة الطائف

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (التربية)
المجلد الأول - العدد الثالث - جمادى الآخرة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الملخص

يتمثل الهدف العام للبحث في قياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف، وبالتحديد الكشف عن نوع الفجوة (إيجابية - سلبية) أو درجة التطابق بين توقعات الطلاب وإدراكات القائمين على تقديم الخدمة التعليمية في جامعة الطائف وذلك من خلال استخدام نموذج SERVQUAL لقياس جودة الخدمة. وكذلك أيضاً تحديد نوع الفجوة سواء (إيجابية - سلبية) أو درجة التطابق بين إدراكات الطلاب وإدراكات القائمين على تقديم الخدمة التعليمية في جامعة الطائف، هذا بالإضافة إلى الكشف عن نوع الفجوة سواء (إيجابية - سلبية) أو درجة التطابق بين توقعات الطلاب وإدراكاتهم لأبعاد وعناصر الخدمة التعليمية في جامعة الطائف.

١ - مقدمة

إن جودة الخدمة من المفاهيم المجردة التي يصعب تعريفها بدقة وذلك بسبب الخصائص التي تنفرد بها الخدمات مقارنة بالسلع المادية. وتشير مراجعة أدبيات مفهوم جودة الخدمة إلى أن معظمها يدور حول تقييم العميل أو المستفيد من الخدمة لدرجة الامتياز والتفوق الكلى في أداء الخدمة (Bolton، 1991).

وتعد جودة الخدمة من الموضوعات الأكثر بحثاً في العلوم الإدارية عامة، وفى تسويق الخدمات بصفة خاصة، وعلى الرغم من أن ماهية وحقيقة الجودة ومحدداتها ربما تكون غير معرفة على وجه الدقة، فإن أهمية الجودة للمنظمات والمستهلكين واضحة تماماً (Brady، 2002).

هذا ويجب الإشارة إلى أن هناك عدة عوامل تؤثر على الأداء المالي لمنظمات الأعمال، ولكن العامل الأكثر أهمية والأكثر تأثيراً على الأداء المالي للمنظمات في الأجل الطويل هو جودة ما تقدمه من خدمات ومنتجات مقارنة بما يقدمه المنافسون (Zeithaml، 2000)، وأن المنظمات التي تقدم مستويات جودة أعلى تحقق مستويات أعلى من الحصة السوقية، وبالتالي يزداد معدل العائد على رأس المال المستثمر (Rao، 1996).

إن قياس جودة الخدمة أمر حيوي وجوهري في المنظمات الخدمية، وأصبح من الضروري قياس إدراكات العميل للجودة قبل وبعد وضع إجراءات تحسين جودة الخدمة المقدمة موضع التنفيذ للتأكد من تحقيق النتائج المستهدفة، ومن ثم لا يمكن إدخال أية تحسينات على جودة الخدمة إلا إذا تم قياسها (Asubonteng، 1996).

ومن الجدير بالذكر أن قياس جودة الخدمة مازال حديث العهد وموضع جدل بين الباحثين من ناحية، وغير مستخدم بطريقة منهجية من جانب الإدارة في المنظمات الخدمية من ناحية أخرى. وتعتبر الدراسة التي قدمها Parasurman، et al.، 1985 هي أول محاولة جادة لقياس جودة الخدمة، حيث تمكن هؤلاء الباحثون من تصميم مقياس لجودة الخدمة والمعروف باسم مقياس الادراكات/التوقعات أو مقياس الفجوة والذي أشتهر فيما بعد باسم مقياس SERQUAL ويحكم مقياس الفجوة على جودة الخدمة بقياس الفجوة بين توقعات العملاء للخدمة وادراكات العملاء للمستوى الفعلي للخدمة المقدمة لهم (Parasurman، et. al.، 1985).

ولقد استحوذ هذا المقياس على القبول والتأييد من جانب بعض الباحثين المهتمين بقضية قياس الجودة. ولكن حاول عدد آخر من الباحثين التشكيك في طريقة القياس الخاصة بالوصول إلى الفجوة بين توقعات العملاء وادراكاتهم للمستوى الفعلي للخدمة التي يحصلون عليها، الأمر الذي

دفع الباحثين إلى تقديم مقياس آخر لجودة الخدمة هو SERVPERF والذي يعتمد في قياس جودة الخدمة على اتجاهات العملاء نحو الأداء الفعلي للخدمة (Cronin & Taylor، 1992).

وبالرغم من أن تعدد المقاييس الخاصة بجودة الخدمة يعكس الاهتمام من جانب الباحثين بكيفية قياس الجودة ذاتها، إلا أنه يمثل مشكلة بسبب الجدل المعاصر حول أكثر هذه المقاييس ثباتاً ومصداقية. ولعل ما توصل إليه الباحثين حول ضرورة تطبيق مقياس SERVQUAL ومقياس SERPERF وذلك بغرض المساهمة في معالجة الجدل بينهم والذي يتعلق بكيفية قياس الجودة (Carman، 1990).

ولعل الجدل بين الباحثين حول عدم الاتفاق على وجود مقياس واحد وصالح للتطبيق على جميع الخدمات هو الذي يبرر الحاجة إلى القيام بمزيد من الدراسات في مجالات متنوعة لقياس جودة الخدمة.

واستناداً إلى ما سبق فان هذا البحث يسعى إلى التعرف على جودة الخدمة التعليمية التي تقدمها جامعة الطائف وذلك من خلال استقراء إدراكات وتوقعات المستفيدين (الطلاب) من الخدمة التعليمية من ناحية، وادراكات القائمين على تقديم الخدمة (أعضاء هيئة التدريس، والإداريين) من ناحية أخرى. وسوف تعتمد الدراسة الحالية على مقياس الادراكات/التوقعات SERVQUAL في قياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف.

٢- الدراسات السابقة

إن استعراض التراث الفكري في مجال قياس جودة الخدمة التعليمية يمكن تصنيفه إلى ثلاث اتجاهات، ولقد انصب الاتجاه الأول على بعض المفاهيم المرتبطة بجودة الخدمة التعليمية، وركز الاتجاه الثاني على أبعاد جودة الخدمة، أما الاتجاه الثالث والأخير فقد اهتم بكيفية قياس جودة الخدمة.

٢ / ١- ماهية جودة الخدمة التعليمية

إن هناك بعض المفاهيم الأساسية المرتبطة بماهية جودة الخدمة التعليمية وهى الجودة، والخدمة، وجودة الخدمة. وسوف يتناول الباحث هذه المفاهيم وذلك على النحو التالي:

٢ / ١ / ١- مفهوم الجودة

لقد عرف Grosby، 1979 الجودة على أنها قدرة إدارة المنظمة على الوفاء باحتياجات ورغبات العملاء. أما الجمعية الأمريكية لمراقبة الجودة فقد عرفت الجودة على أنها السمات والخصائص الكلية للسلعة أو الخدمة التي تتطابق مع المطلوب من قبل العملاء وتفي بحاجاتهم. ولقد عرف معهد الجودة الفيدرالي الجودة على أنها القيام بالعمل الصحيح بشكل صحيح مع الاعتماد على تقييم المستهلك في معرفة تحسين الأداء. ويعرف كل من Goetsch & Daric، 1994 الجودة على أنها مقابلة احتياجات العملاء من أول مرة وفي كل مرة يتعاملون فيها مع المنظمة.

وفى ضوء ما تقدم يتضح أن هناك تباين في آراء الباحثين حول مفهوم الجودة، ومن الصعب أن نجد تعريفاً بسيطاً يصفها ويعرفها تعريفا شاملاً بسبب تعدد جوانبها، وهو الأمر الذي دعي بعض الباحثين من أمثال Philip & Hazlett، 1997 إلي القول بأن مفهوم الجودة يعد مفهوماً مبهماً.

٢ / ١ / ٢- مفهوم الخدمة

لقد حظي مفهوم الخدمة باهتمام كبير من قبل العديد من الباحثين، ولقد عرف Kotler، 1980 الخدمة على أنها هي أي نشاط أو منفعة والتي يمكن أن يقدمها الفرد للآخر وتكون بالضرورة غير ملموسة ، ولا تنتج من ملكية شيء ، وإنتاجها لا ينتج منتج طبيعي مادي.

بينما عرف Stanton، 1999 الخدمة على أنها تلك الأنشطة المحددة وغير الملموسة أساساً والتي تقوم بإشباع احتياجات الأفراد وتحقق لهم الرضا والتي ليست بالضرورة أن تكون مرتبطة ببيع سلعة أو خدمة أخرى . فإنتاج الخدمة قد يتطلب أو لا يتطلب استخدام السلع الملموسة ولكن

في حالة استخدام سلع ملموسة فإن ذلك لا يتضمن تحول دائم في ملكية هذه السلع.

كما قدم Gronroos، 1990 تعريف شامل للخدمة على أنها عبارة عن نشاط أو مجموعة من الأنشطة الضرورية، والتي تكون غير ملموسة بطبيعتها بدرجات متفاوتة، والتي تحدث بطبيعتها، وليس بالضرورة نتيجة التفاعل بين العميل ومقدم الخدمة، أو الموارد والسلع المادية، أو النظم الخاصة بمقدم الخدمة، والتي تقدم حلول لمشاكل العميل.

وفى ضوء ما تقدم يتضح أن هناك اتفاق بين كتاب الفكر التسويقي حول تعريف الخدمة على أنها نشاط أو أداء غير ملموس بدرجات متفاوتة ويسعي إلي تحقيق إشباع أو منافع للعميل.

٢ / ١ / ٣- مفهوم جودة الخدمة

تشير مراجعة أدبيات مفهوم جودة الخدمة في الفكر التسويقي أن معظمها يدور حول مقابلة توقعات العملاء، ويدور أيضاً حول المقارنة بين ما يرغبه العملاء في صورة توقعات وبين إدراكهم لمستوى جودة الخدمة الذي يعكس مدى توافر تلك التوقعات بالفعل. أي أنها مقياس لدرجة توافق أو تطابق الأداء الفعلي مع توقعات العملاء.

ولقد عرف Berry et.al.، 1988 جودة الخدمة على أنها تحقيق التطابق والتوافق مع محددات العميل، فهي تمثل تعريف العميل وليس ما تحسبه الإدارة.

ويرى كل من Lewis and Booms.1993 أن جودة الخدمة هي قياس مدى قدرة مستوي الخدمة التي تصل إلي العميل والمتوافقة مع توقعاته ، كما أن توصيل خدمة جيدة تعني تحقيق التطابق مع التوقعات التي يضعها العميل.

ومن التعريفات الأكثر قبولاً لجودة الخدمة ذلك التعريف الذي قدمه Buzzell & Gal، 1987 حيث عرف جودة الخدمة على أنها هي ما يقوله العميل أنه جودة، والجودة الخاصة بسلعة أو خدمة هي ما يدركه مستخدم هذه السلعة أو الخدمة.

إلا أن العديد من الباحثين مثل Croninon & Taylor، 1990 تبني تعريف جودة الخدمة على أنها تقييم العملاء لمدى التفوق في أداء الخدمة بصورة كلية أو شاملة.

وفى ضوء ما تقدم يتضح أنه لا يوجد حتى الآن تعريف متفق عليه بين الباحثين حول مفهوم جودة الخدمة. وأن معظم التعريفات تدور حول مقابلة توقعات العملاء، أو المقارنة بين توقعات/ وإدراكات العملاء لجودة الخدمة. وأن التوجه بالعميل هو قلب عنصر الجودة في مجال الخدمات.

ويرى الباحث أن حكم العميل بمفرده على جودة الخدمة قد يكتنفه بعض الشكوك، فالعميل قد يكون قصير النظر أو غير مدرك لضرورة توافر خصائص معينة في الخدمة فيسيء الحكم

على جودة الخدمة، كما أن حكمه على جودة الخدمة يتسم بالديناميكية وعدم الثبات، بالإضافة إلي أن خصائص الخدمة وبصفة خاصة خاصية عدم الملموسية، تشكل صعوبة في حكم العميل على جودة الخدمة، ولذلك لا يجب إهمال تقييم الجودة من منظور الخبراء والمتخصصين في الجودة والإدارة أيضاً.

٢ / ١ / ٤ - مفهوم جودة الخدمة التعليمية

وتعنى مدى قدرة الجامعة على مقابلة (أو تجاوز) احتياجات وتوقعات الطلاب، حيث أن الجامعة تقدم العديد من الخدمات الطلابية مثل الخدمة التدريسية، والإرشاد الأكاديمي، والاختبارات، والنتائج وغيرها. هذا بالإضافة إلى الخدمات الأخرى المساندة مثل خدمة المكتبة، والقبول والتسجيل، والخدمات الصحية، والأنشطة الطلابية. لذلك فان تعريف جودة الخدمة التعليمية على أنها مدى قدرة الجامعة على تحقيق ومقابلة (أو تجاوز) توقعات واحتياجات الطلاب هو تعريف يتناسب مع جودة الخدمات والتي تتسم بأنها غير ملموسة وغير نمطية.

هذا ويجب الإشارة إلى أن هناك خمسة أبعاد أساسية لجودة الخدمة التعليمية، وتتمثل هذه الأبعاد في الجوانب المادية الملموسة، والاعتمادية، والاستجابة، والأمان والضمان، والتعاطف.

١- الجوانب المادية الملموسة: ويقصد بها مدى ملائمة مكان تقديم الخدمة التعليمية للطلاب، والتصميم الداخلي للإدارات المقدمة للخدمات المختلفة بالجامعة، ومدى استخدام الأجهزة والمعدات الحديثة في تقديم الخدمة التعليمية للطلاب، ومظهر الأفراد مقدمي الخدمة، هذا بالإضافة إلى مدى توافر كتيبات ومطبوعات جذابة وواضحة عن الجامعة.

٢- الاعتمادية: وتعني القدرة والوفاء بتقديم الخدمة في المواعيد المناسبة مع مراعاة عنصر الدقة وعدم الخطأ في تقديم الخدمة، ومدى حرص موظفي الخدمة على تقديم معلومات صادقة ودقيقة للطلاب، ومدى توافر المعلومات لدى موظفي الخدمة للرد على تساؤلات الطلاب، هذا بالإضافة إلى ضرورة احتفاظ الجامعة بسجلات وملفات دقيقة.

٣- الاستجابة: ويقصد بها السرعة في تقديم الخدمة، ومدى توافر العدد الكافي من العاملين لتقديم الخدمة، واستعداد موظفي الخدمة لمساعدة الطلاب، والرد الفوري على استفسارات وشكاوى الطلاب، وضرورة إعلامهم بمواعيد تقديم الخدمة، هذا بالإضافة إلى ضرورة الاستعداد الدائم للتعاون مع الطلاب.

٤- الأمان والضمان: ويعني قدرة موظفي الخدمة على كسب ثقة الطلاب، وشعور الطالب بالسرية في التعامل معه، وإلمام موظفي الخدمة بالمعلومات الكافية، هذا بالإضافة إلى اللباقة وحسن الخلق في التعامل مع الطلاب.

٥- التعاطف: ويقصد به اهتمام موظفي الخدمة بالطلاب وذلك من الناحية الإنسانية، وتوفير العناية الشخصية للطلاب، وفهم احتياجاتهم وإشعارهم بأنهم موضع اهتمام وتقدير لظروفهم هذا بالإضافة إلى التعاطف معهم، والروح المرحة والصادقة في التعامل مع الطلاب.

٢/٢- أبعاد جودة الخدمة

يعرف Reymosa & Moores، 1995 أبعاد الجودة على أنها المعايير التي يستند إليها العملاء في الحكم على جودة الخدمة التي يحصلون عليها. ويتفق العديد من الباحثين على أن مفهوم جودة الخدمة هو مفهوم متعدد الأبعاد. إلا أن هذا الاتفاق قد يغيب بينهم – إلى حد بعيد – عند تحديد ماهية هذه الأبعاد وطبيعتها.

وتعتبر دراسة Swan & Comb، 1976 هي الدراسة الأولي في مجال جودة الخدمة، ولقد توصل الباحثين إلي أن هناك بعدين أساسين لجودة الخدمة، البعد الأول هو الجودة المادية والتي تتضمن الجوانب المادية الملموسة التي يتعرض لها العميل أو المستفيد أثناء حصوله على الخدمة. والبعد الثاني هو الجودة التفاعلية وهي تمثل أداء العمليات ذاتها أثناء تفاعل العاملين بالمنظمة مع العملاء.

كما أضاف Lehtinen & Lehtinen، 1982 بعد ثالثا لجودة الخدمة وهو جودة المنظمة وهي الجودة المتعلقة بالصورة الذهنية للمنظمة لدي عملائها الحاليين والمرتقبين. وأن هذا البعد يعد ثابت عبر الزمن إذا ما قورن ببعدي الجودة المادية والجودة التفاعلية واللذان يعدان بعدين موقفيين، ويعتمد إدراكهما بناءً على الطبيعة الموقفية لهما.

وفى دراسة أخرى قام بها Gronroos، 1984 بتصنيف أبعاد الجودة إلي ثلاثة أبعاد رئيسية للجودة، البعد الأول هو الجودة الفنية، ويشير إلى الخدمة المقدمة للعميل نتيجة تعامله مع منظمة الخدمة، ويمكن قياس هذا البعد بموضوعية أكبر من جانب العميل نظراً لكونه يمثل حل فني لمشكلة قائمة. والبعد الثاني هو الجودة الوظيفية، ويشير إلى الطريقة التي تتم بها المخرجات النهائية التي يحصل عليها العميل، والتي تؤثر في تقييمه للجودة المدركة للخدمة، ويرتبط البعد الوظيفي بالتفاعل بين البائع والمشتري وهو ما يسمى بلقاء الخدمة، ويعرف لقاء الخدمة بأنه التفاعل المباشر بين العاملين في مجال عمليات الخدمة والعملاء أو المستهلكين. أما البعد الثالث لجودة الخدمة فانه يتعلق بالانطباع الذهني عن المنظمة، وتعكس الصورة الذهنية كيفية إدراك العميل للمنظمة ككل، وتتحدد الصورة الذهنية للعملاء بواسطة الجودة الفنية والجودة الوظيفية.

في حين يري Norman،1984 أن المحدد الرئيسي لجودة الخدمة هو لحظة الالتقاء بين مقدم الخدمة والعميل حيث يتحدد من خلالها البعد الوظيفي للجودة كما ينتقل من خلالها كل أو معظم الجودة الفنية للعميل.

وتعد مجهودات Parasuraman et al.، 1985 من أهم الإسهامات حول تحديد أبعاد جودة الخدمة، ولقد توصل هؤلاء الباحثون إلى أن هناك عشرة أبعاد لجودة الخدمة، وتتمثل هذه الأبعاد فيما يلي:

1- إمكانية الوصول: ويشير هذا البعد إلى إمكانية الاتصال بمنظمة الخدمة، والحصول على الخدمة بسهولة ويتضمن هذا البعد إمكانية حصول العميل على الخدمة بسهولة، قصر الفترة التي يقضيها العميل في انتظار الحصول على الخدمة، أن تكون ساعات تقديم الخدمة ملائمة لمعظم العملاء، أن يكون موقع أداء الخدمة ملائماً، التأكيد للعميل بأن مشاكله سوف تتم معالجتها.

2- الاتصالات الفعالة مع العملاء: ويشير هذا البعد إلى ضرورة أن يتعامل مقدم الخدمة مع العملاء بلغة يفهمونها، كما يشتمل أيضاً على ضرورة الاستماع للعميل، وشرح الخدمة ذاتها، وكذلك أيضاً وشرح التكاليف المرتبطة بالخدمة، وتوضيح العلاقة بين الخدمة وتكلفة الحصول عليها.

3- كفاءة وقدرة موظفي الخدمة: وهي تعني توافر القدرات والمهارات والمعلومات اللازمة لأداء العمليات ويشتمل هذا البعد على المهارات والمعلومات المتوافرة لدى موظفي الخدمة ممن هم على اتصال مباشر بالعملاء، المعلومات والمعارات اللازمة للأفراد القائمين بالعمليات المساعدة، القدرات البحثية للمنظمة.

4- الذوق واللياقة في التعامل مع العملاء: ويشير إلى الاحترام وروح الصداقة التي يشعر بها العميل عند تعامله مع مقدم الخدمة. ويشتمل هذا المحدد على المظهر النظيف للأفراد الذين لهم اتصال مباشر بالعملاء، التزام العميل شخصياً باعتبارات النظافة عند تعامله مع منظمة الخدمة.

5- المصداقية: ويشير هذا البعد إلى المصداقية التي يوليها العميل لمنظمة الخدمة، ويشتمل هذا المحدد على اسم وسمعة المنظمة، خصائص الأفراد مقدمي الخدمة ممن هم على اتصال مباشر بالعملاء.

6- الاعتمادية: وتشير إلى قدرة منظمة الخدمة على أداء الخدمة بشكل متسق وثابت، وهي تعني قيام المنظمة بأداء الخدمة الصحيحة من أول مرة، كما يشتمل هذا المحدد على أداء الخدمة

في الوقت المحدد لها، الدقة في أداء الخدمة، الاحتفاظ بسجلات دقيقة.

7- سرعة الاستجابة لمطالب العميل: وهي تعني استعداد الموظفين في منظمات الخدمة لمساعدة العميل، ويتضمن هذا المحدد عدة عناصر تقديم خدمة سريعة للعميل، التقديم الفوري للخدمة، مغادرة العميل بسرعة لمكان تقديم الخدمة.

8- الأمن: ويعنى التخلص من الشك، والشعور بالخطر عند التعامل مع منظمة الخدمة ويتضمن الأمن المادي، والأمن المالي، وسرية المعاملات.

9- الأشياء الملموسة (التجسيد): ويشير هذا البعد إلى الدلائل المادية للخدمة، ويشتمل هذا البعد على التسهيلات المادية، ومظهر العاملين، والأدوات والمعدات المستخدمة في أداء الخدمة، والتقديم المادي للخدمة (مثل كروت الائتمان البلاستيك)، والعملاء الآخرون في الخدمة.

10- تفهم العميل: ويشير هذا البعد إلى ضرورة بذل الجهد لفهم احتياجات العميل، ويتضمن معرفة الاحتياجات الخاصة بالعميل، والاهتمام الفردي الممنوح للعميل، ومعرفة العملاء المنتظمين.

وفي دراسة لاحقة تمكن Parasuraman et al.. 1988 من دمج هذه الأبعاد العشرة إلى خمسة فقط هي كما يلي:

١- الجوانب المادية الملموسة Tangible: وتعني مدي مناسبة المبني من حيث مظهره الخارجي وتنظيمية الداخلي لنوعية الخدمة، وكذلك الأجهزة والأدوات والمعدات المستخدمة في إنتاج الخدمة، ومظهر العاملين في منظمة الخدمة. أي العوامل التي يمكن العميل إدراكها بالحواس كالبصر والسمع واللمس، وعلى سبيل المثال، حين الاقتراب والدخول في فندق يمكن للعميل تقييم جودة الخدمة اعتماداً على عوامل ملموسة مثل نظافة المباني الخارجية، موقع الفندق واقترابه من المباني والخدمات الأخرى، مظهر العاملين ، واللمسات الجمالية في مدخل الفندق، وجميع هذه العوامل توفر أمثلة أو رموز مادية للخدمة والتي يستخدمها العملاء الجدد في تقييم جودة الخدمة، وتستخدم العناصر الملموسة لتقييم الجودة المادية للخدمة قبل استخدامها.

٢- الاعتمادية Reliability: ويقصد بها القدرة على أداء الخدمة وفقاً للوعود المقدمة بدقة وبدون أخطاء. أو بمعنى آخر الأداء الصحيح للخدمة من المرة الأولى وفى التوقيت المحدد0 إن العميل يرغب في التعامل مع المنظمات التي تحفظ وعودها، خاصة تلك الوعود المتعلقة بخصائص أو عوامل جوهر الخدمة، وهذه الوعود قد تكون صريحة أو ضمنية، وتعد الاعتمادية قلب أو جوهر جودة الخدمة0حينما ترتكب المنظمة أخطاء متكررة في تقديم الخدمة، وحينما يصبح الفشل في تقديم الخدمة هو القاعدة أو النمط السائد في المنظمة على

أداء ما وعدت به أداءاً يمكن الوثوق به٠ إن دماثة خلق ومودة العاملين واعتذارهم الصريح لا يعوض عن خدمة لا يمكن الوثوق بها، وعلى الرغم من أن معظم العملاء يقدرون الاعتذار، فإن الاعتذار لا يمحو من الذاكرة مثل هذا النوع من الأخطاء في تقديم الخدمات٠ ولقد أظهرت العديد من الدراسات أنه من بين الأبعاد الخمسة لجودة الخدمة، فإن الاعتمادية تمثل الأكثر أهمية للعملاء، وتظهر نتائج دراسة (Berry et al.. 1985) أن الاعتمادية هي الأكثر أهمية من بين الأبعاد الخمسة لجودة الخدمة في حين أن الجوانب الملموسة هو البعد الأقل أهمية، كما وجدت أن أداء المنظمات أكثر قصوراً للأبعاد الأكثر أهمية، فالمنظمات أقل أداء لبعد الاعتمادية وهو البعد الأكثر أهمية وأعلى أداء للجوانب الملموسة وهو الأقل أهمية، أي أن أداء المنظمات أفضل للجوانب الأقل أهمية أو بالأحرى يدرك العملاء أن أداء المنظمات أفضل للأبعاد التي يعتقدون أنها الأقل أهمية. إن العلاقة العكسية بين الجودة المدركة للعوامل والأهمية النسبية لهذه العوامل وفقا لإدراكات العملاء بحيث يخصص العملاء أهمية نسبية أعلى للأبعاد ذات الجودة الأقل ربما يمكن تفسيرها بأن البعد الذي يرضى العميل ويحقق له إشباعا أعلى يصبح أقل أهمية له مقارنة بأبعاد أخرى أقل إشباعا له. ويعتقد بعض المديرين أنه من غير العملي التخلص تماماً من القصور، غير أن المنظمات الخدمية عالية المستوى ينبغي أن يتجاوز هدفها مجرد تقديم «خدمة جيدة» إلى «خدمة خالية تماماً من العيوب».

٣- الاستجابة Responsiveness: ويقصد بها السرعة في تقديم الخدمة، واستعداد العاملين بمنظمة الخدمة لمساعدة العملاء أو المستفيدين. أو بمنى آخر تعنى الاستجابة الرغبة أو الاستعداد لتقديم المساعدة للعملاء ولتقديم خدمة سريعة وفورية لهم، ويركز هذا البعد على الاعتناء والانتباه والسرعة في التعامل مع مطالب واستفسارات وشكاوى ومشاكل العملاء، ويستدل العميل على بعد الاستجابة بطول الوقت الذي يجب أن ينتظره من أجل المساعدة والإجابة على الأسئلة والعناية والاهتمام بالمشاكل، كما تتضمن الاستجابة المرونة والقدرة على تعديل وتكييف الخدمة لملائمة احتياجات العملاء٠ إن تفوق وإبداع المنظمات فيما يتعلق بالاستجابة أن تتولى المنظمات إدارة ومعالجة مطالب العملاء من منظور العملاء وليس من منظور المنظمة لأن معايير السرعة ربما تختلف من منظور العميل عن منظور المنظمة، وبعد الاستجابة يكون أكثر أهمية للعملاء الذين يواجهون مشاكل أو يطلبون خدمات تزيد عما عادة يتم تقديمه٠

٤- الأمان والضمان Assurance: ويقصد بها قدرة العاملين على كسب ثقة العملاء، وتقديم الخدمة بصورة خالية من أي نوع من المخاطر. أو بمعنى آخر أن الضمان بشير إلى المعرفة

والقدرة للعاملين على توليد الثقة والطمأنينة لدى العملاء، ومن المتوقع أن يكون هذا البعد أكثر أهمية للخدمات التي يشعر عملاؤها أنها تنطوي على مخاطر عالية و يصعب عليهم تقييم مخرجاتها، ومثال على ذلك الخدمة الطبية، والقانونية، والبنكية، والتأمينية، وخدمات السمسرة، وربما يستخدم العميل في المراحل الأولية للعلاقة مع مقدم الخدمة بعض الأدلة الملموسة لتقييم هذا البعد٠ مثل شهادات الامتياز والتفوق والجوائز التي حصلت عليها المنظمة أو الأفراد العاملين بها تعطى العميل الجديد الثقة والطمأنينة في مقدمي الخدمات خاصة الخدمات المهنية٠

٥- التعاطف Empathy: ويقصد به اهتمام العاملين بالعملاء وتوفير العناية الشخصية لكل عميل. أو بمعنى آخر أن التعاطف يعنى الرعاية والاهتمام الشخصي الذي توليه المنظمات لعملائها ويعنى أن العميل يريد أن يشعر بأن المنظمة تقدم له كل احتياجاته وتعرف مشاكله وتفعل أفضل ما لديها لتقديم الخدمة له، ويوصف التعاطف باللمسة الإنسانية في الخدمة 0 إن الطريقة الوحيدة لتقييم التعاطف هو معرفة ما إذا كان العاملون لديهم الرغبة في تقديم خدمة جيدة، ويختلف التعاطف عن الاستجابة في أن الاستجابة تشير إلى الرغبة في «مقابلة» احتياجات العملاء في حين يشير التعاطف إلى الرغبة في «تجاوز» احتياجات العملاء0

هذا ويجب الإشارة إلى أن هذه الأبعاد يتم استخدامها في قياس جودة الخدمة وتعرف بمقياس SERVQUAL في كتابات تسويق الخدمات، وقد اتفق الباحثون على عمومية هذه الأبعاد وقابليتها للتطبيق على مدى واسع وأنواع متعددة من الخدمات.

٢/٣- قياس جودة الخدمة

تشير الدراسات السابقة إلى أن هناك أسلوبين رئيسيين يمكن استخدامها لقياس جودة الخدمة وهما مقياس الفجوة (SERVQUAL)، ومقياس الأداء (SERVPERF). وسوف نتناول كل منهما على حدة وذلك على النحو التالي:

٢/٣/١- مقياس الفجوة (SERVQUAL)

يعد هذا المقياس من أشهر المقاييس شيوعاً وقبولا في مجال قياس الجودة المدركة للخدمة، وينسب هذا المقياس إلى (Parasuraman et al 1985). وفى هذا المقياس يتم قياس جودة الخدمة من خلال الفجوة بين توقع العميل لمستوى الخدمة، وإدراكاته لمستوى أداء الخدمة المقدمة بالفعل. ويضم هذا المقياس خمسة أبعاد لمظاهر جودة الخدمة وهى الجوانب الملموسة، الاعتمادية، الاستجابة للعملاء، الأمان، التعاطف مع العملاء. وتشمل هذه المحددات على عدة أبعاد فرعية لقياس أداء الجودة، ومثلهما لقياس توقعات العملاء، ثم يتم مقارنة الأداء

بالتوقعات، وأية فروق في المقارنة معناها وجود فجوة إيجابية أو سلبية في جودة الخدمة، ولذلك سُمي هذا الأسلوب في قياس جودة الخدمة بمقياس الفجوة أو مقياس SERVQUAL.

إن المحور الأساسي في قياس جودة الخدمة عند Parasuraman هو الفجوة بين إدراك العميل لمستوى الأداء الفعلي للخدمة وتوقعاته حول جودة هذه الخدمة، ولكن هذه الفجوة (وهي الخامسة) تعتمد من ثم على طبيعة الفجوات المرتبطة بتصميم الخدمة وتسويقها وتقديمها. أي بالإضافة إلى فجوة الإدراكات/التوقعات للعملاء هناك أربع فجوات أخرى تتمثل فيما يلي (Parasuraman et al 1985):

الفجوة رقم (1): وتنتج عن الاختلاف بين توقعات العملاء لمستوى الخدمة وبين إدراك الإدارة لتوقعات العملاء، أي عجز الإدارة عن معرفة احتياجات ورغبات العملاء المتوقعة.

الفجوة رقم (2): وتنتج عن الاختلاف بين المواصفات الخاصة بالخدمة المقدمة بالفعل وبين إدراكات الإدارة لتوقعات العملاء. بمعنى أنه حتى لو كانت حاجات العملاء المتوقعة ورغباتهم معروفة للإدارة، فإنه لن يتم ترجمتها إلى مواصفات محددة في الخدمة المقدمة بسبب قيود تتعلق بموارد المنظمة أو التنظيم، أو عدم قدرة الإدارة على تبني فلسفة الجودة.

الفجوة رقم (3): وتظهر بسبب كون مواصفات الخدمة المقدمة بالفعل لا تتطابق مع ما تدركه الإدارة بخصوص هذه المواصفات. وقد يرجع ذلك إلى تدني مستوى مهارة القائمين على أداء الخدمة، والذي يرجع بدوره إلى ضعف القدرة والرغبة لدى هؤلاء العاملين.

الفجوة رقم (4): وتنتج عن الخلل في مصداقية منظمة الخدمة، بمعنى أن الوعود التي تقدمها المنظمة حول مستوى الخدمة من خلال الاتصال بالعملاء (البيع الشخصي والمجهودات الترويجية الأخرى) تختلف عن مستوى الخدمة المقدمة ومواصفاتها بالفعل.

هذا وتمثل فجوة الإدراكات/التوقعات للعملاء الفجوة الخامسة في نموذج SERVQUAL في قياس جودة الخدمة. ولقد حظيت كل من الفجوة الأولى والخامسة باهتمام الباحثين والمهتمين بقياس جودة الخدمة، حيث تم تطبيقها على الكثير من الخدمات مثل الخدمة المصرفية، والنقل الجوي، والتعليم، والوجبات السريعة، والخدمة الصحية، والخدمة الهندسية الاستشارية، وخدمة التنظيف الجاف، وخدمة المعلومات الفنية المقدمة لمندوبي البيع في الصناعات المتقدمة تكنولوجياً هذا إلى جانب المكتبات ومراكز المعلومات (إدريس، والمرسى، 1993).

وقام Zeithaml et al. 1988 بتنمية وتطوير نموذج تحليل الفجوات الأصلي وذلك بهدف تحديد قوة واتجاه هذه الفجوات. ويتضح من هذا النموذج ما يلي:

الفجوة الأولى تتأثر بمدى التوجه ببحوث التسويق تأثراً سلبياً، وجودة الاتصالات تأثراً سلبياً، والمستويات الإدارية تأثراً سلبياً.

الفجوة الثانية تتأثر بالتزام الإدارة بالجودة تأثراً سلبياً، ودرجة تحديد الهدف تأثراً سلبياً، وتنميط المهمة تأثراً سلبياً، وإدراك الجدوى تأثراً سلبياً.

الفجوة الثالثة تتأثر بدرجة فهم الموظفين لمفهوم فريق العمل تأثراً سلبياً، وملائمة الفرد للوظيفة تأثراً سلبياً، وملائمة التكنولوجي المستخدم للوظيفة تأثراً سلبياً، والرقابة المدركة من جانب الموظفين ذوي الاتصال المباشر بالعملاء تأثراً إيجابياً، وغموض الدور تأثراً إيجابياً، وتعارض الدور تأثراً إيجابياً، وأنظمة الرقابة الإشرافية تأثراً سلبياً.

الفجوة الرابعة تتأثر بالاتصالات الأفقية تأثراً سلبياً، والمبالغة في الوعود تأثراً إيجابياً.

الفجوة الخامسة تتأثر بوجود بعض أو كل الفجوات السابقة، وكذلك أبعاد الجودة الخاصة بشكل من الاعتمادية، وسرعة الاستجابة لمطالب العميل، والتجسيد، والتأكيد، والعطف.

ولقد توصلت بعض الدراسات إلي أن نموذج (SERVQUAL) يعتبر أداه محكمة، متعددة الأبعاد ذو درجة عالية من الثبات والصلاحية ويمكن استخدامه في تحقيق فهم أفضل لتوقعات العملاء وإدراكاتهم ، وكذلك في الحكم على مستوي الأداء الفعلي لجودة الخدمة من وجهة نظر هؤلاء العملاء(إدريس، والمرسى، 1993).

ورغم القبول لمقياس SERVQUAL إلا أنه تعرض لكثير من الانتقادات، وتركزت هذه الانتقادات حول تعقد العمليات الحسابية التي ينطوي عليها، وغموض هيكل التوقعات، وضعف قدرته التنبؤية، وتأسيسه على نموذج الرضا وليس الاتجاهات، بالإضافة لضعف مقدرته على تفسير الاختلافات في مكونات الجودة من صناعة لأخرى (Cronin & Taylor، 1992).

٢/٣/٢- مقياس الأداء SERVPERF

في ضوء الانتقادات التي وجهت للأسلوب الأول والذي يطلق عليه نموذج الفجوة SERV-QUAL فقد قدم كلا من Cronin & Taylor عام 1992 النموذج الثاني لقياس جودة الخدمة، والذي أطلق عليه مقياس الأداء الفعلي SERVPERF، ويرفض هذا الأسلوب في قياس جودة الخدمة فكرة الفجوة بين (إدراكات العملاء وتوقعاتهم). وينظر إلي جودة الخدمة باعتبارها شكلاً من أشكال الاتجاهات نحو الأداء الفعلي للخدمة. أي أن جودة الخدمة وفقاً لهذا المقياس تساوى = الأداء.

ويعتمد هذا النموذج على خمسة أبعاد لجودة الخدمة وهى الجوانب الملموسة، الاعتمادية، الاستجابة للعملاء، الأمان، التعاطف مع العملاء، وتشمل هذه المحددات على عدة أبعاد فرعية لقياس الجودة من خلال الأداء فقط، مع استبعاد جانب التوقعات نظراً لعدم وضوحها وصعوبة قياسها كما أن هذا النموذج يفسر التباين في جودة الخدمة أكثر من النموذج الأول.

ويتميز المقياس الثاني لجودة الخدمة SERVPERF عن المقياس SERVQUAL – من وجهة نظر مؤديه – بالبساطة وسهولة الاستخدام، وبزيادة مصداقيته وواقعيته لأنه يستبعد عمليات الطرح بين توقعات العميل وإدراكاته لمستوى الخدمة.

ورغم ذلك فقد تعرض المقياس الثاني SERVPERF لجودة الخدمة لانتقادات تركز معظمها حول محدودية قيمة النتائج المستخلصة من استخدامه بسبب تجاهله لتوقعات العملاء، ومن ثم تحديد فجوة الخدمة، هذا بالإضافة إلى بعض الانتقادات الخاصة بمنهجية القياس والطرق الإحصائية التي يمكن استخدامها في التحقق من ثباته ومصداقيته من الناحية العملية، لكن هناك بعض الدراسات اللاحقة نجحت في تأكيد ثبات مقياس الأداء SERPERF ومصداقيته في التطبيق العملي (إدريس، والمرسى1993، إدريس، 1996، Babakus & Boller، 1992، Boulding، Staelin، & Zeithaml، 1993، Mc Edris & Al-Ghais، 1996، Alexander، Kaldenberg & Koeing، 1994).

هذا ويجب الإشارة إلى أن الجدل مازال مستمراً حول مقياس SERVQUAL ومقياس SERVPERF في قياس جودة الخدمة، ولقد انقسم الباحثون إلى فريقين ما بين مؤيد ومعارض لكل مقياس منهما، الأمر الذي يتطلب القيام بمزيد من الدراسات الميدانية للإسهام في حسم هذا الخلاف.

٢/٣/٣- مبررات استخدام SERVQUAL في الدراسة الحالية

تتمثل مبررات استخدام SERVQUAL في قياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف في النقاط التالية:

١- أن مقياس SERVQUAL يتم استخدامه على نطاق واسع لقياس مستويات تقييم الجمهور للخدمات المقدمة لهم من حيث الجودة، ولقد استخدم هذه الأداة – كما ذكرنا سابقاً– عدد كبير من الباحثين في المؤسسات الخدمية العمومية، مثل المستشفيات والأجهزة الشرطية والوزارات وغيرها من القطاعات ذات النفع العام، ولكون الوسائل الأخرى – المستخدمة في قياس جودة الخدمات – سواء تلك الوسائل المباشرة أو غير المباشرة غير دقيقة من حيث نتائجها، ولا تتصف بالشمولية، ولكون مقياس SERVQUAL ذو أبعاد محددة وشاملة لمختلف أبعاد الجودة، ولكونها أيضاً أداة علمية وإحصائية للإدارة، فإن نتائجها تكون محددة وواضحة ودقيقة.

٢- إن الكثير من الباحثين – المختصين في مجال إدارة الجودة – يزكون استخدام هذه الأداة كأداة لقياس جودة الخدمات، ولهذا السبب شاع استخدام هذه الأداة في الدول الصناعية

الكبرى، وخصوصاً اليابان والولايات المتحدة، وبريطانيا. ويرى الكثير من الباحثين أن السبب الرئيسي للثورة الصناعية والتطور الكبير للاقتصاد الياباني - بعد الحرب العالمية الثانية- يرجع إلى تطبيق اليابان لمفاهيم إدارة الجودة الشاملة في صناعتها الإنتاجية، ويعد ذلك سبب نجاحها وتفوقها على باقي الدول الصناعية الأخرى – بالرغم من ظروفها السياسية الحرجة آنذاك.

٣- لقد توجهت اليابان إلى تطبيق مفاهيم إدارة الجودة في صناعاتها الخدمية، وكذلك صناعاتها الخدمية المرتبطة بصناعاتها الإنتاجية وعلى العكس من قياس مستوى جودة المنتجات، والتي يمكن قياس جودتها عن طريق بعض العوامل مثل المتانة، وعدد عيوب التصنيع، والاستهلاك والتقادم نظراً لأن جودة الخدمات هي حالة معنوية، وبناء صعب، وذلك بسبب عدم توافر العنصر المادي بها. ونظراً لغياب العنصر المادي، فإن أفضل طريقة لقياس مستوى جودة الخدمات، هي قياس مستوى توقعات ومشاهدات المستفيدين من تلك الخدمات، والتعرف إلى مدى التباين بين ما يتوقعه المستهلك من مستوى معين للخدمة المقدمة له وبين ما يحصل عليه فعلاً.

٣- مشكلة وأسئلة البحث

تسعى كثير من المؤسسات التعليمية أياً كان حجمها للارتقاء بمستوى الخدمات حتى تصل لدرجة التميز والذي يعد مثالاً يسعى إليه كل من مقدمي الخدمات والمستفيدين منها على حد سواء، حيث تقوم تلك المؤسسات باستخدام العديد من الإستراتيجيات من أجل تحسين مستوى أدائها. ومن أهم تلك الإستراتيجيات الاهتمام بالجودة بوصفها إستراتيجية مهمة تساعد الجامعات وغيرها على توفير الخدمات التي تشبع الرغبات الكاملة للعملاء (الطلاب)، وتلبي متطلباتهم واحتياجاتهم وتوقعاتهم.

ويواجه الباحثين في مجال الخدمات بصفة عامة مشكلة هامة تتعلق بكيفية قياس جودة الخدمة من ناحية، وتوافر المقاييس الأكثر مصداقية وقبولاً في التطبيق العملي من ناحية أخرى. ولقد أسهمت الدراسات البحثية من خلال ما قدمه مقياس الادراكات/التوقعات SERVQUAL، وكذلك أيضاً مقياس الأداء الفعلي للخدمة SERVPERF في قياس جودة الخدمة، إلا أن الجدل مازال مستمراً حول الاتفاق على وجود مقياس صالح للتطبيق على جميع أنواع الخدمات.

وفى ضوء ما تقدم لم يعد أمام الباحثين المهتمين بقياس جودة الخدمة سوى إجراء المزيد من الدراسات التطبيقية في مجال الخدمات وذلك بغرض التحقق من ثبات ومصداقية وصلاحية كل من مقياس SERVQUAL وكذلك أيضاً مقياس SERVPERF في قياس جودة الخدمة.

وفى هذا الصدد تسعى الدراسة الحالية من خلال تبنى مقياس الادراكات/التوقعات SERVQUAL في قياس وتقييم جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف، ويمكن ترجمة مشكلة هذا البحث إلى مجموعة من التساؤلات التي تحتاج من خلال التقصي والتحليل إلى إجابة واضحة ومحددة، وذلك على النحو التالي:

١- هل هناك اختلاف (فجوة) بين توقعات العملاء (الطلاب) لمظاهر جودة الخدمة التعليمية وبين ادراكات القائمين على تقديم الخدمة لتوقعات العملاء (الطلاب) في جامعة الطائف؟ وكيف يمكن قياسها؟.

٢- هل هناك اختلاف (فجوة) بين ادراكات العملاء (الطلاب) لمظاهر جودة الخدمة التعليمية وبين ادراكات المسئولين القائمين على تقديم الخدمة لتوقعات العملاء (الطلاب) في جامعة الطائف؟ وكيف يمكن قياسها؟.

٣- هل هناك اختلاف (فجوة) بين توقعات العملاء (الطلاب) لمظاهر جودة الخدمة التعليمية التي تقدمها جامعة الطائف وبين ادراكاتهم لمستوى هذه الخدمة عند الحصول عليها بالفعل؟ وكيف يمكن قياسها؟.

٤- أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

١ - الكشف عن نوع الفجوة (إيجابية - سلبية) بين توقعات الطلاب لمظاهر جودة الخدمة التعليمية، وبين إدراك المسئولين (القائمين على تقديم الخدمة) لتوقعات الطلاب في جامعة الطائف؟.

٢ - التعرف على نوع الفجوة (إيجابية - سلبية) أو درجة التطابق بين ادراكات الطلاب لمظاهر جودة الخدمة التعليمية، وبين إدراكات المسئولين لتوقعات الطلاب في جامعة الطائف؟.

٣ - الكشف عن درجة التطابق أو نوع الفجوة (إيجابية - سلبية) بين توقعات الطلاب وإدراكاتهم للأداء الفعلي لمظاهر جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف.

٥- أهمية البحث

تتمثل أهمية هذا البحث في عدة عوامل من أهمها ما يلي:

١/٥- اتجاه الجامعات السعودية بصفة عامة، وجامعة الطائف بصفة خاصة إلى تطوير العملية التعليمية وكيفية قياسها، وذلك بغرض تحقيق ميزة تنافسية في ظل التطورات التي تشهدها البيئة بصفة عامة، ولذلك يجب على المسئولين في كافة القطاعات بصفة عامة وقطاع التعليم بصفة خاصة أن يمتلكوا وسائل وأدوات قياس جودة الخدمة. ومن ثم يعتبر هذا البحث محاولة مكملة للمحاولات الأخرى المبذولة من أجل قياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف.

٢/٥- تعتبر الدراسة الحالية إمتداداً للجهود المبذولة في مناقشة القضايا الخاصة بقياس جودة الخدمة. ومن ثم فإن هذه الدراسة تمثل إضافة للكتابات العلمية حيث تتعرض لكيفية قياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف وذلك من خلال استخدام مقياس .SERV-QUAL

٣/٥- أهمية قضية جودة الخدمة المقدمة للعملاء (الطلاب) كقضية جوهرية، حيث تعد هذه القضية من أولويات مجتمع الأعمال في القرن الحالي. ويبدو ذلك صحيحاً إذا ما أدركنا أننا نعيش الآن بما يعرف بعصر وعي المستهلك، حيث تواجه المؤسسات مستهلكاً يتسم بالوعي والمعرفة كما يصعب إرضائه بسهولة. وتدرك منظمات الخدمة الناجحة مدى الحاجة إلي تمييز خدماتها عن المنافسين. ومن ثم فإن هذه الدراسة تركز على قياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف.

٤/٥- هناك حاجة إلى توجيه مزيد من الاهتمام من الناحيتين الأكاديمية والتطبيقية لقياس قياس جودة الخدمة بصفة عامة، والخدمة التعليمية في جامعة الطائف بصفة خاصة.

٥/٥- تقدم الدراسة تحليلاً لتحديد الفجوة بين توقعات/وإدراكات العملاء (الطلاب) لمظاهر جودة الخدمة التعليمية من ناحية، وادراكات القائمين على تقديم الخدمة من ناحية أخرى، وكذلك أيضاً تحديد الفجوة بين توقعات وادراكات الطلاب لمظاهر جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف.

٦/٥- من الناحية العملية، فإن نتائج الدراسة يمكن أن تساعد المسئولين في تحديد الجوانب السلبية أمام صانعي القرار من أجل تلافيها، والجوانب الإيجابية من أجل تعزيزها، وبالتالي تعد هذه الدراسة بمثابة إضافة علمية في مجال قياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف.

٦- منهج البحث

يشتمل منهج البحث على كل من الفرضيات، ومجتمع وعينة البحث، وأسلوب جمع البيانات والقياس، وأخيراً أساليب التحليل واختبار الفرضيات إحصائياً.

٦/١- فرضيات البحث

تم تصميم هذا البحث ليكون موجهاً بثلاثة فرضيات رئيسية تتعلق بالاختلافات المتوقعة بين المتغيرات الخاضعة للدراسة وذلك على النحو التالي:

الفرضية الأولى: لا يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين ما يتوقعه الطلاب لمظاهر جودة الخدمة التعليمية وادراكات المسئولين (القائمين على تقديم الخدمة) لتوقعات الطلاب في جامعة الطائف.

الفرضية الثانية: لا يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين ادراكات الطلاب لمظاهر جودة الخدمة التعليمية وبين ادراكات المسئولين (القائمين على تقديم الخدمة) لتوقعات الطلاب في جامعة الطائف؟.

الفرضية الثالثة: لا يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين توقعات الطلاب وادراكاتهم لمظاهر جودة الخدمة التعليمية المقدمة بالفعل من جامعة الطائف؟.

٦/٢ – مجتمع وعينة البحث

تم تطبيق هذه الدراسة على جامعة الطائف، وقد تم اختيار هذه الجامعة لأسباب عديدة في مقدمتها نتائج الدراسة الاستطلاعية التي أظهرت أن هناك شكاوى وانتقادات من جانب العملاء (الطلاب) لمستوى جودة الخدمة التعليمية التي يحصلون عليها. كما أن الخدمة التعليمية ذاتها

تعد من الخدمات التي يستطيع المستفيدين منها الحكم على مستوى أدائها وتقييم جودتها.

انصبت هذه الدراسة على نوعين من مجتمع البحث، الأول يتمثل في أعضاء هيئة التدريس والإداريين القائمين على تقديم الخدمة التعليمية في جامعة الطائف. والثاني يتمثل في الطلاب المستفيدين من الخدمة التعليمية في جامعة الطائف. ونظراً لضخامة حجم القائمين على تقديم الخدمة (أعضاء هيئة التدريس، والإداريين) من ناحية، والطلاب من ناحية أخرى، ولقيود الوقت والتكلفة فانه تقرر الاعتماد على أسلوب العينات. لذلك تم سحب عينتين مستقلتين تماماً تمثلان كلا المجتمعين.

وقد بلغ حجم عينة أعضاء هيئة التدريس في جامعة الطائف 190 مفردة تم حسابها في ضوء أن مجتمع أعضاء هيئة التدريس هو 378 مفردة (إدارة شئون الموظفين، جامعة الطائف، 2009)، ونسبة عدد الأفراد الذين تتوافر فيهم الخصائص موضوع البحث هي 50%، وحدود الخطأ في العينة هو 5% بدرجة ثقة 95% (بازرعة، 1985). ولقد تم اختيار مفردات عينة أعضاء هيئة التدريس في جامعة الطائف بطريقة عشوائية وذلك عن طريق استخدام قوائم أسماء أعضاء هيئة التدريس المتاحة في إدارة شئون الموظفين في جامعة الطائف.

وقد بلغ حجم عينة الإداريين في جامعة الطائف 160 مفردة تم حسابها في ضوء أن مجتمع الإداريين هو 275 مفردة (إدارة شئون الموظفين، جامعة الطائف، 2009)، ونسبة عدد الأفراد الذين تتوافر فيهم الخصائص موضوع البحث هي 50%، وحدود الخطأ في العينة هو 5% بدرجة ثقة 95%. ولقد تم اختيار مفردات عينة الإداريين في جامعة الطائف بطريقة عشوائية وذلك عن طريق استخدام قوائم أسماء الإداريين المتاحة في إدارة شئون الموظفين في جامعة الطائف.

ومن ناحية أخرى، فقد بلغ حجم عينة المستفيدين (الطلاب) من الخدمة التعليمية في جامعة الطائف 345 مفردة تم حسابها في ضوء بعض الافتراضات أهمها أن مجتمع البحث من الطلاب في جامعة الطائف هو 3400 مفردة (القبول والتسجيل، جامعة الطائف، 2009)، ونسبة عدد الأفراد الذين تتوافر فيهم الخصائص موضوع البحث هي 50%، وحدود الخطأ في العينة هو 5% بدرجة ثقة 95%. ولقد تم اختيار مفردات عينة الطلاب في جامعة الطائف بطريقة عشوائية بسيطة.

٦/٣- أسلوب جمع البيانات و القياس

تم جمع البيانات الأولية اللازمة للدراسة من خلال أسلوب الاستقصاء، ولتحقيق ذلك تم تصميم قائمتين للاستقصاء، الأولى موجهة للطلاب والثانية موجهة إلى أعضاء هيئة التدريس والإداريين في جامعة الطائف.

وبالنسبة للقائمة الأولى الموجهة إلى الطلاب في جامعة الطائف، فقد احتوت على 4 صفحات تضم سؤالين بالإضافة إلى صفحة التقديم وطلب التعاون والاستجابة. ولقد اشتمل كل من السؤال الأول والثاني على 25 عبارة متماثلة تماماً من حيث المحتوى ومختلفة من حيث الصياغة، وتمثل عبارات السؤال الأول توقعات الطلاب (المستقصى منهم) لمظاهر جودة الخدمة التعليمية، بينما تمثل عبارات السؤال الثاني ادراكاتهم لمستوى الأداء الفعلي للخدمة المقدمة لهم، وتعكس عبارات كل سؤال منهما في الأبعاد الخمسة الرئيسية لجودة الخدمة كما حددها Parasuraman et al في مقياس SERVQUAL بعد تعديله عام 1988، وهي الجوانب الملموسة، والاعتمادية، والاستجابة، والأمان، والتعاطف. وقد تم قياس متغيرات كل من السؤال الأول والثاني باستخدام مقياس ليكرت للموافقة وعدم الموافقة والمكون من 5 نقاط، حيث يشير الرقم (1) إلى خدمة رديئة بينما يشير الرقم (5) إلى خدمة ممتازة مع وجود درجة محايدة في المنتصف.

وبالنسبة للقائمة الثانية الموجهة إلى أعضاء هيئة التدريس والإداريين (مقدمي الخدمة) في جامعة الطائف، فقد اشتملت على سؤال واحد فقط، ويحتوي على نفس العبارات الخاصة بسؤال قياس التوقعات عن مظاهر جودة الخدمة التعليمية في قائمة استقصاء الطلاب. وقد تم قياس ادراكات أعضاء هيئة التدريس والإداريين لمحتويات هذا السؤال بمقياس ليكرت الذي سبق الإشارة إليه في قائمة استقصاء الطلاب في جامعة الطائف.

٦ / ٤ - أساليب تحليل البيانات واختبار الفرضيات

اعتمدت منهجية معالجة بيانات هذه الدراسة على بعض أساليب التحليل للمتغيرات المتعددة والمتوافرة في حزمة أساليب التحليل الإحصائي SPSS، وفى ضوء طبيعة متغيرات الدراسة وعددها، وأساليب القياس، ونوع البيانات المستخدمة في الدراسة من ناحية، وأغراض التحليل واختبار الفرضيات من ناحية أخرى تقرر استخدام الأساليب والاختبارات الإحصائية التالية:

١- معامل الارتباط ألفا وذلك بغرض التحقق من درجة الثبات في مقياس الادراكات/التوقعات SERVQUAL لجودة الخدمة التعليمية الذي يمتاز بتركيزه على اختبار درجة التناسق الداخلي بين محتويات أو بنود المقياس الخاضع للاختبار.

٢- الأدوات الإحصائية الوصفية Descriptive Statistics مثل التكرارات، والنسب المئوية، والمتوسطات المرجحة، والانحرافات المعيارية، والمتوسطات الإجمالية.

٣- اختبار ويلكوكسن لمقياسين متماثلين في حالة عينة واحدة لاختبار الفرض الخاص بالفجوة بين توقعات الطلاب وإدراكاتهم لمستوى الخدمة التعليمية.

٤- اختبار مان وتيني لعينتين مستقلتين لاختبار الفرض الخاص بالفجوة بين توقعات الطلاب وإدراكات

أعضاء هيئة التدريس والإداريين (مقدمي الخدمة) لهذه التوقعات حول مظاهر جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف، وأيضاً الفرض الخاص بالفجوة بين إدراكات الطلاب وإدراكات أعضاء هيئة التدريس (مقدمي الخدمة) لمظاهر جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف.

٧- اختبار الثبات والصدق لمقياس الفجوة SERVQUAL

لقد تم استخدم طريقة التجزئة النصفية Split-Half وذلك بغرض حساب معاملات الثبات والصدق لأبعاد مقياس جودة الخدمة التعليمية (الجوانب المادية، والاعتمادية، والاستجابة، والأمان، والتعاطف) في جامعة الطائف. ويمكن توضيح نتائج التحليل وذلك من خلال الجدول التالي:

جدول (١)

معاملات الارتباط والثبات والصدق الذاتي لأبعاد مقياس الفجوة

أبعاد جودة الخدمة	معاملات الارتباط	معاملات الثبات	معاملات الصدق الذاتي
١- الجوانب المادية	٠,٧٠	٠,٨٢	٠,٩١
٢- الاعتمادية	٠,٧٠	٠,٨٢	٠,٩١
٣- الاستجابة	٠,٧٧	٠,٨٧	٠,٩٣
٤- الأمان	٠,٨٠	٠,٨٨	٠,٩٣
٥- التعاطف	٠,٧٨	٠,٨٩	٠,٩٢

من خلال الجدول السابق والخاص بحساب معاملات الارتباط، ومعاملات الثبات، ومعاملات الصدق الذاتي لأبعاد مقياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف تتضح النتائج التالية:

١- أن معاملات الارتباط بين أبعاد مقياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف تراوحت بين 0.70، 0.80 وهى معاملات مرتفعة.

٢- أن معاملات الثبات بين أبعاد مقياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف تراوحت بين 0.82، 0.89 وهي أيضاً معاملات مرتفعة،

٣- أن معاملات الصدق الذاتي بين أبعاد مقياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف تراوحت بين 0.91، 0.93

٤- من خلال التحليل العام لمعاملات الارتباط والثبات والصدق الذاتي، فانه يمكن الاعتماد على هذا المقياس في الحصول على بيانات تتصف بالثبات إلى حد كبير، هذا بالإضافة إلى إمكانية الاعتماد عليه في المراحل اللاحقة من التحليل في هذه الدراسة.

٨- توقعات الطلاب وإدراكات المسئولين لمستوى جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف

يناقش هذا الجزء نتائج التحليل الإحصائي الخاصة بالإجابة على السؤال الأول لهذه الدراسة والذي يتعلق بالتحقق من مدى وجود اختلاف (فجوة) بين توقعات العملاء (الطلاب) لمظاهر جودة الخدمة التعليمية وبين ادراكات القائمين على تقديم الخدمة لتوقعات العملاء (الطلاب) في جامعة الطائف؟ وكيف يمكن قياسها؟. واختبار صحة الفرض الأول من الدراسة والذي ينص على عدم وجود اختلاف ذو دلالة إحصائية بين ما يتوقعه الطلاب لمظاهر جودة الخدمة التعليمية وادراكات المسئولين (القائمين على تقديم الخدمة) لتوقعات الطلاب في جامعة الطائف.

ولقد تم استخدام مقياس SERVQUAL لتحديد الفجوة بين توقعات الطلاب وإدراكات المسئولين عن تقديم الخدمة التعليمية لتوقعات الطلاب في جامعة الطائف، ولتحديد الفجوة فان الأمر يتطلب القيام بطرح القيم (المتوسطات الحسابية) الخاصة بإدراكات المسئولين عن تقديم الخدمة التعليمية في جامعة الطائف من القيم (المتوسطات الحسابية) الخاصة بتوقعات الطلاب، وذلك بالنسبة لكل عبارة من عبارات المقياس. كما تم استخراج متوسط الفروق المرجح بحجم العينة بالنسبة لكل عبارة على حدة. وكذلك تم حساب متوسط الفروق المرجح بحجم العينة لكل بعد من الأبعاد الخمسة للمقياس. ويمكن توضيح النتائج الخاصة بالفجوة بين توقعات الطلاب وإدراكات المسئولين عن تقديم الخدمة التعليمية لهذه التوقعات. وكذلك الدلالات الإحصائية الخاصة بها وفقا لاختبار مان وتني لعينتين مستقلتين وذلك من خلال الجدول رقم (2) وهى كما يلى:

١- توجد فجوة سلبية بين توقعات الطلاب وبين إدراك المسئولين لمختلف أبعاد جودة الخدمة التعليمية (الجوانب المادية للخدمة، الاعتمادية، الاستجابة، والأمان، والتعاطف) في جامعة الطائف، وكذلك مختلف العناصر الخاصة بكل بعد من أبعاد جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف.

٢- تتمثل الفجوة بين توقعات الطلاب وبين إدراك المسئولين بالنسبة للجوانب المادية للخدمة التعليمية في (0.88)، والاعتمادية (0.74)، والاستجابة (0.87)، والأمان (0.87)، والتعاطف (0.88).

٣- تتمثل أكثر مجالات التباين بين توقعات الطلاب لجودة الخدمة وإدراكات المسئولين مقدمي الخدمة لهذه التوقعات في عدة فجوات أهمها الفجوة المتعلقة بجاذبية المباني وأماكن الحصول على الخدمة (1،16)، وتوفر العدد الكافي من الموظفين لقديم الخدمة (1،10)، والرد الفوري على استفسارات وشكاوى الطلاب (1،01)، والباقة وحسن التعامل مع الطلاب (1،03)، والروح المرحة والصادقة في التعامل مع الطلاب (1،20).

٤- توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الجوانب المادية للخدمة التعليمية والتي تمثلت في ملائمة مكان تقديم الخدمة التعليمية للطلاب (0.72)، والتصميم والتنظيم الداخلي لإدارات تقديم الخدمة (0.75)، واستخدام المعدات الحديثة في تقديم الخدمة (0.58)، المظهر العام لموظفي تقديم الخدمة (0.41).

جدول رقم (٢)

نتائج قياس الفجوة بين توقعات الطلاب وإدراكات المسئولين عن مستوى جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف باستخدام مقياس SERVQUAL

أبعاد وعناصر المقياس	الوسط الحسابي		الفجوة	
	توقعات الطلاب	إدراكات المسئولين	بالنسبة لكل متغير	بالنسبة لكل بعد
أولاً: الجوانب المادية				
١- ملائمة مكان تقديم الخدمة التعليمية للطلاب	٤,٢١	٣,٤٩	- ٠,٧٢	
٢- جاذبية المباني وأماكن الحصول على الخدمة	٤,٢٠	٣,٠٤	- ١,١٦	
٣- التصميم والتنظيم الداخلي لإدارات تقديم الخدمة	٤,٤١	٣,٦٦	- ٠,٧٥	
٤- استخدام المعدات الحديثة في تقديم الخدمة	٤,١٩	٣,٦١	- ٠,٥٨	
٥- المظهر العام لموظفي تقديم الخدمة	٤,٠١	٣,٦٠	- ٠,٤١	-٠,٨٨
ثانياً: الاعتمادية				
١- الدقة وعدم الخطأ في تقديم الخدمة	٤,٣٦	٣,٦٥	- ٠,٧١	
٢- الوفاء بتقديم الخدمة في المواعيد المناسبة	٤,٣٥	٣,٤٢	- ٠,٩٣	
٣- توفر العدد الكافي من موظفي تقديم الخدمة	٤,٦٦	٣,٥٦	- ١,١٠	
٤- الحرص على حل مشكلات الطلاب	٤,٤٣	٣,٧٠	- ٠,٧٣	
٥- الاحتفاظ بسجلات وملفات دقيقة	٤,٤٠	٤,٢٧	- ٠,١٣	-٠,٧٤
ثالثاً: الاستجابة				
١- السرعة في تقديم الخدمة المطلوبة	٤,٤٣	٣,٤٨	- ٠,٩٥	
٢- الرد الفوري على استفسارات وشكاوى الطلاب	٤,٤٩	٣,٤٨	- ١,٠١	
٣- الاستجابة السريعة لاحتياجات ورغبات الطلاب	٤,٦٧	٣,٦٩	- ٠,٩٨	
٤- إعلام الطلاب بالمواعيد المحددة لتقديم الخدمة	٤,٢٠	٣,٤٧	- ٠,٧٣	
٥- الاستعداد الدائم للتعاون مع الطلاب	٤,٢٩	٣,٤٥	- ٠,٨٤	-٠,٨٧
رابعاً: الأمان				
١- شعور الطالب بالأمان في التعامل	٤,٥٦	٣,٧٣	- ٠,٩٢	
٢ - إلمام موظفي الخدمة بالمعلومات الكافية	٤,٤٣	٣,٤٦	- ٠,٩٧	
٣- اللباقة وحسن الخلق في التعامل مع الطلاب	٤,٥٧	٣,٥٤	- ١,٠٣	
٤- سرية المعلومات الخاصة بالطلاب	٤,٤١	٣,٩٠	- ٠,٥١	
٥- دعم وتأييد الإدارة العليا لموظفي الخدمة	٤,٦٤	٣,٦٨	- ٠,٩٦	-٠,٨٧
خامساً: التعاطف				
١- الاهتمام بالطالب من الناحية الإنسانية	٤,٣٩	٣,٧٩	- ٠,٦٠	
٢- تفهم احتياجات الطلاب	٤,٤٢	٣,٥٠	- ٠,٩٢	
٣- إشعار الطلاب بأنهم موضع الاهتمام	٤,١٥	٣,٣٠	- ٠,٨٥	
٤- تقدير ظروف الطلاب والتعاطف معهم	٤,١٨	٣,٣٤	- ٠,٨٤	
٥- الروح المرحة والصادقة في التعامل مع الطلاب	٤,٣٥	٣,١٥	- ١,٢٠	-٠,٨٨

٥- توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الاعتمادية تمثلت في الدقة وعدم الخطأ في تقديم الخدمة التعليمية (0.71)، والوفاء بتقديم الخدمة في المواعيد المناسبة (0.93)، والحرص الدائم على حل مشكلات الطلاب (0.73)، والاحتفاظ بسجلات وملفات دقيقة (0.13).

٦- توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الاستجابة تمثلت في السرعة في تقديم الخدمة (0.95)، والاستجابة السريعة لاحتياجات ورغبات الطلاب (0.98)، وإعلام الطالب بالمواعيد المحددة لتقديم الخدمة (0.73)، والاستعداد الدائم للتعاون مع الطلاب (0.84).

٧- توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الأمان تمثلت في شعور الطالب بالأمان في التعامل (0.92)، وإلمام موظفي الخدمة بالمعلومات الكافية (0.97)، وسرية المعلومات الخاصة بالطلاب (0.51)، ودعم وتأييد الإدارة العليا لموظفي الخدمة (0.96).

٨- توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد التعاطف تمثلت في الاهتمام بالطالب من الناحية الإنسانية (0.60)، وتفهم احتياجات الطلاب (0.92)، وإشعار الطلاب بأنهم موضع الاهتمام (0.85)، وتقدير ظروف الطلاب والتعاطف معهم (0.84).

٩- وبالتحليل العام لنتائج الفجوة بين توقعات الطلاب وإدراكات المسئولين عن مستوى جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف باستخدام مقياس SERVQUAL يتضح أن هناك بعض الاختلافات الجوهرية بين توقعات الطلاب وإدراك المسئولين عن أبعاد مستوى جودة الخدمة التعليمية (الجوانب المادية، والاعتمادية، والاستجابة، والأمان، والتعاطف) في جامعة الطائف.

وفى ضوء ما تقدم فقد تقرر رفض فرض العدم جزئياً وقبول الفرض البديل حيث توجد اختلافات ذو دلالة إحصائية بين ما يتوقعه الطلاب لمظاهر جودة الخدمة التعليمية وادراكات المسئولين (القائمين على تقديم الخدمة) لتوقعات الطلاب في جامعة الطائف.

٩- إدراكات الطلاب وإدراكات المسئولين عن مستوى جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف

يناقش هذا الجزء نتائج التحليل الإحصائي الخاصة بالإجابة على السؤال الثاني لهذه الدراسة والذي يتعلق بالتحقق من مدى وجود اختلاف (فجوة) بين ادراكات العملاء (الطلاب) لمظاهر جودة الخدمة التعليمية وبين ادراكات المسئولين القائمين على تقديم الخدمة لتوقعات العملاء (الطلاب) في جامعة الطائف؟ وكيف يمكن قياسها؟. واختبار صحة الفرض الثاني من فروض الدراسة والذي ينص على عدم وجود اختلاف ذو دلالة إحصائية بين ادراكات الطلاب

لمظاهر جودة الخدمة التعليمية وبين ادراكات المسئولين (القائمين على تقديم الخدمة) لتوقعات الطلاب في جامعة الطائف؟.

ولقد تم استخدام مقياس SERVQUAL لتحديد الفجوة بين المواصفات الخاصة للخدمة المقدمة بالفعل (إدراكات الطلاب) وإدراكات القائمين على تقديم الخدمة لتوقعات الطلاب. ولتحديد الفجوة فان الأمر يتطلب القيام بطرح القيم (المتوسطات الحسابية) الخاصة بإدراكات الطلاب لعناصر جودة الخدمة التعليمية من القيم (المتوسطات الحسابية) الخاصة بإدراكات القائمين على تقديم الخدمة التعليمية في جامعة الطائف، وذلك بالنسبة لكل عبارة من عبارات المقياس. كما تم استخراج متوسط الفروق المرجح بحجم العينة بالنسبة لكل عبارة على حدة. وكذلك تم حساب متوسط الفروق المرجح بحجم العينة لكل بعد من الأبعاد الخمسة للمقياس.

ويمكن توضيح النتائج الخاصة بالفجوة بين المواصفات الخاصة للخدمة المقدمة بالفعل (إدراكات الطلاب)، وإدراكات القائمين على تقديم الخدمة لتوقعات الطلاب، وكذلك الدلالات الإحصائية الخاصة بها وفقا لاختبار مان وتني لعينتين مستقلتين وذلك من خلال الجدول رقم (3) وهى كما يلى:

١- توجد فجوة سلبية بين المواصفات الخاصة للخدمة المقدمة بالفعل (إدراكات الطلاب) لأبعاد جودة الخدمة التعليمية المقدمة من جامعة الطائف، وبين إدراك المسئولين مقدمي الخدمة لإدراكات الطلاب وذلك من حيث الأبعاد الخمسة لجودة الخدمة التعليمية وهى النواحي المادية للخدمة التعليمية، الاعتمادية، الاستجابة، والأمان، والتعاطف.

٢- تتمثل الفجوة بين إدراك الطلاب وبين إدراك المسئولين بالنسبة للجوانب المادية للخدمة التعليمية في (0.86)، والاعتمادية (0.84)، والاستجابة (0.85)، والأمان (0.88)، والتعاطف (1.13).

٣- تتمثل أكثر مجالات التباين بين إدراك الطلاب لجودة الخدمة وإدراكات المسئولين مقدمي الخدمة لهذه التوقعات في عدة فجوات سلبية أهمها الفجوة في الوفاء بتقديم الخدمة في المواعيد المناسبة (1.03)، والحرص على حل مشكلات الطلاب (1.29)، والاحتفاظ بسجلات وملفات دقيقة (1.39)، والسرعة في تقديم الخدمة التعليمية (1.02)، والاستجابة السريعة لاحتياجات ورغبات الطلاب (1.03)، والاستعداد الدائم للتعاون مع الطلاب (1.23)، وشعور الطالب بالأمان في التعامل (1.09)، والباقة وحسن الخلق في التعامل مع الطلاب (1.05)، ودعم وتأييد الإدارة العليا لموظفي الخدمة (1.07)، الاهتمام بالطالب من الناحية الإنسانية (1.52)، وتفهم احتياجات الطلاب (1.17)، وإشعار الطلاب بأنهم موضع الاهتمام (1.15)، وتقدير ظروف الطلاب والتعاطف معهم (1.06).

جدول رقم (٣)

نتائج قياس الفجوة بين إدراكات الطلاب وإدراكات المسئولين عن مستوى جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف باستخدام مقياس SERVQUAL

أبعاد وعناصر المقياس	الوسط الحسابي		الفجوة	
	إدراكات الطلاب	إدراكات المسئولين	بالنسبة لكل متغير	بالنسبة لكل بعد
أولاً: الجوانب المادية				
١- ملائمة مكان تقديم الخدمة التعليمية للطلاب	٢,٨١	٣,٤٩	-٠,٦٨	
٢- جاذبية المباني وأماكن الحصول على الخدمة	٢,٢٠	٣,٠٤	-٠,٨٤	
٣- التصميم والتنظيم الداخلي لإدارات تقديم الخدمة	٢,٩٦	٣,٦٦	-٠,٧٠	
٤- استخدام المعدات الحديثة في تقديم الخدمة	٢,٦٨	٣,٦١	-٠,٩٣	
٥- المظهر العام لموظفي تقديم الخدمة	٣,١٤	٣,٦٠	-٠,٤٦	-٠,٨٦
ثانياً: الاعتمادية				
١- الدقة وعدم الخطأ في تقديم الخدمة	٣,١٧	٣,٦٥	-٠,٤٨	
٢- الوفاء بتقديم الخدمة في المواعيد المناسبة	٢,٣٩	٣,٤٢	-١,٠٣	
٣- توفر العدد الكافي من موظفي تقديم الخدمة	٢,٦٨	٣,٥٦	-٠,٨٨	
٤- الحرص على حل مشكلات الطلاب	٢,٤١	٣,٧٠	-١,٢٩	
٥- الاحتفاظ بسجلات وملفات دقيقة	٢,٨٨	٤,٢٧	-١,٣٩	-٠,٨٤
ثالثاً: الاستجابة				
١- السرعة في تقديم الخدمة المطلوبة	٢,٤٦	٣,٤٨	-١,٠٢	
٢- الرد الفوري على استفسارات وشكاوى الطلاب	٢,٧٢	٣,٤٨	-٠,٧٦	
٣- الاستجابة السريعة لاحتياجات ورغبات الطلاب	٢,٦٦	٣,٦٩	-١,٠٣	
٤- إعلام الطلاب بالمواعيد المحددة لتقديم الخدمة	٢,٧٣	٣,٤٧	-٠,٧٤	
٥- الاستعداد الدائم للتعاون مع الطلاب	٢,٢٢	٣,٤٥	-١,٢٣	-٠,٨٥
رابعاً: الأمان				
١- شعور الطالب بالأمان في التعامل	٢,٦٤	٣,٧٣	-١,٠٩	
٢- إلمام موظفي الخدمة بالمعلومات الكافية	٢,٤٧	٣,٤٦	-٠,٩٩	
٣- اللباقة وحسن الخلق في التعامل مع الطلاب	٢,٤٩	٣,٥٤	-١,٠٥	
٤- سرية المعلومات الخاصة بالطلاب	٣,٥٥	٣,٩٠	-٠,٣٥	
٥- دعم وتأييد الإدارة العليا لموظفي الخدمة	٢,٦١	٣,٦٨	-١,٠٧	-٠,٨٨
خامساً: التعاطف				
١- الاهتمام بالطالب من الناحية الإنسانية	٢,٢٧	٣,٧٩	-١,٥٢	
٢- تفهم احتياجات الطلاب	٢,٣٣	٣,٥٠	-١,١٧	
٣- إشعار الطلاب بأنهم موضع الاهتمام	٢,١٥	٣,٣٠	-١,١٥	
٤- تقدير ظروف الطلاب والتعاطف معهم	٢,٢٨	٣,٣٤	-١,٠٦	
٥- الروح المرحة والصادقة في التعامل مع الطلاب	٢,٣٨	٣,١٥	٠,٧٧	-١,١٣

٤- توجد فجوة سالبة بين إدراك الطلاب لعناصر جودة الخدمة وإدراك الإدارة في أبعاد الجوانب المادية للخدمة التعليمية وخاصة في ملائمة مكان تقديم الخدمة التعليمية للطلاب (0.68)، وجاذبية المبنى وأماكن الحصول على الخدمة (0.84)، والتصميم والتنظيم الداخلي لإدارات تقديم الخدمة (0.70)، واستخدام المعدات الحديثة في تقديم الخدمة (0.93)، والمظهر العام لموظفي الخدمة (0.46).

٥- توجد فجوات سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الاعتمادية والتي تتمثل في الدقة وعدم الخطأ في تقديم الخدمة (0.48)، توفر العدد الكافي من موظفي تقديم الخدمة (0.88).

٦- توجد فجوات سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الاستجابة في الرد الفوري على استفسارات وشكاوى الطلاب (0.76)، وإعلام الطالب بالمواعيد المحددة لتقديم الخدمة (0.74).

٧- توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الأمان في الخدمة التعليمية تمثلت في إلمام موظفي الخدمة بالمعلومات الكافية (0.99)، وسرية المعلومات الخاصة بالطلاب (0.35).

٨- توجد فجوة سالبة في أحد العناصر المكونة لبعد التعاطف تمثلت في الروح المرحة والصادقة في التعامل مع الطلاب (0.77).

٩- وبالتحليل العام لنتائج الفجوة بين إدراكات الطلاب وإدراكات المسئولين عن تقديم الخدمة التعليمية في جامعة الطائف باستخدام مقياس SERVQUAL يتضح أن هناك بعض الاختلافات الجوهرية بين إدراكات الطلاب وإدراكات المسئولين مقدمي الخدمات لما يتوقعه الطلاب عن أبعاد مستوى جودة الخدمة التعليمية (الجوانب المادية، والاعتمادية، والاستجابة، والأمان، والتعاطف) في جامعة الطائف.

وفى ضوء ما تقدم فقد تم رفض فرض العدم وقبول الفرض البديل حيث توجد اختلافات ذو دلالة إحصائية بين إدراك الطلاب لأبعاد جودة الخدمة التعليمية وإدراك المسئولين القائمين على تقديم هذه الخدمة في جامعة الطائف.

١٠- إدراكات الطلاب وتوقعاتهم لجودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف

يناقش هذا الجزء نتائج التحليل الإحصائي الخاصة بالإجابة على السؤال الثالث لهذه الدراسة والذي يتعلق بالتحقق من مدى وجود اختلاف (فجوة) بين توقعات العملاء (الطلاب) لمظاهر جودة الخدمة التعليمية التي تقدمها جامعة الطائف وبين ادراكاتهم لمستوى هذه الخدمة عند الحصول عليها بالفعل؟ وكيف يمكن قياسها؟. واختبار صحة الفرض الثالث من فروض

الدراسة والذي ينص على عدم وجود اختلاف ذو دلالة إحصائية بين توقعات الطلاب وادراكاتهم لمظاهر جودة الخدمة التعليمية المقدمة بالفعل من جامعة الطائف؟.

ولقد تم استخدام مقياس SERVQUAL لتحديد الفجوة بين إدراكات الطلاب وتوقعاتهم لجودة الخدمة المقدمة لهم. ولتحديد الفجوة فان الأمر يتطلب القيام بطرح القيم (المتوسطات الحسابية) الخاصة بإدراكات الطلاب

وتوقعاتهم لعناصر جودة الخدمات التعليمية في جامعة الطائف، وذلك بالنسبة لكل عبارة من عبارات المقياس. كما تم استخراج متوسط الفروق المرجح بحجم العينة بالنسبة لكل عبارة على حدة. وكذلك تم حساب متوسط الفروق المرجح بحجم العينة لكل بعد من الأبعاد الخمسة للمقياس.

ويمكن توضيح النتائج الخاصة بالفجوة بين إدراكات الطلاب وتوقعاتهم لجودة الخدمة المقدمة لهم 0 وكذلك الدلالات الإحصائية الخاصة بها وفقاً لاختبار ويلكوكسن لمقياسين متماثلين لعينة واحدة وذلك من خلال الجدول رقم (4) وهى كما يلى:

١- توجد فجوة سالبة بين إدراكات الطلاب وتوقعاتهم بالنسبة لمختلف أبعاد جودة الخدمة التعليمية (الجوانب المادية الملموسة، والاعتمادية ، والاستجابة، والأمان، والتعاطف) في جامعة الطائف، وكذلك مختلف العناصر الخاصة بكل بعد من هذه الأبعاد. وتوضح هذه النتيجة أن توقعات الطلاب لأبعاد وعناصر جودة الخدمة الطلابية المقدمة لهم تفوق ما يحصلون عليه بالفعل الأمر الذي يوضح وجود قصور من جانب الإداريين مقدمي الخدمات لمقابلة توقعات الطلاب بالنسبة لمختلف أبعاد الخدمة الطلابية المقدمة بالفعل.

٢- تتمثل الفجوة بين إدراكات الطلاب وتوقعاتهم بالنسبة للجوانب المادية للخدمة التعليمية في (1.44)، والاعتمادية (1.38)، والاستجابة (1.90)، والأمان (1.08)، والتعاطف (1.94).

٣- توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الجوانب المادية الملموسة، ويظهر ذلك في ملائمة مكان تقديم الخدمة التعليمية للطلاب (1.40)، وجاذبية المباني وأماكن الحصول على الخدمة (2.00)، والتصميم والتنظيم الداخلي لإدارات تقديم الخدمة (1.45)، واستخدام المعدات الحديثة في تقديم الخدمة (1.51)، والمظهر العام لموظفي الخدمة (0.87).

جدول رقم (٤)

نتائج قياس الفجوة بين إدراكات وتوقعات الطلاب لجودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف باستخدام مقياس SERVQUAL

أبعاد وعناصر المقياس	الوسط الحسابي		الفجوة	
	إدراكات الطلاب	توقعات الطلاب	بالنسبة لكل متغير	بالنسبة لكل بعد
أولاً: الجوانب المادية	٢,٨١	٤,٢١	-١,٤٠	
١- ملائمة مكان تقديم الخدمة التعليمية للطلاب	٢,٢٠	٤,٢٠	-٢,٠٠	
٢- جاذبية المباني وأماكن الحصول على الخدمة	٢,٩٦	٤,٤١	-١,٤٥	
٣- التصميم والتنظيم الداخلي لإدارات تقديم الخدمة	٢,٦٨	٤,١٩	-١,٥١	
٤- استخدام المعدات الحديثة في تقديم الخدمة	٣,١٤	٤,٠١	-٠,٨٧	١,٤٤
٥- المظهر العام لموظفي تقديم الخدمة	٣,١٧	٤,٣٦	-١,١٩	
ثانياً: الاعتمادية	٢,٣٩	٤,٣٥	-١,٩٦	
١- الدقة وعدم الخطأ في تقديم الخدمة	٢,٦٨	٤,٦٦	-١,٩٨	
٢- الوفاء بتقديم الخدمة في المواعيد المناسبة	٢,٤١	٤,٤٣	-٢,٠٢	
٣- توفر العدد الكافي من موظفي تقديم الخدمة	٢,٨٨	٤,٤٠	-١,٥٢	-١,٣٨
٤- الحرص على حل مشكلات الطلاب	٢,٤٦	٤,٤٣	-١,٩٧	
٥- الاحتفاظ بسجلات وملفات دقيقة	٢,٧٢	٤,٤٩	-١,٧٧	
ثالثاً: الاستجابة	٢,٦٦	٤,٦٧	-٢,٠١	
١- السرعة في تقديم الخدمة المطلوبة	٢,٧٣	٤,٢٠	-١,٤٧	
٢- الرد الفوري على استفسارات وشكاوى الطلاب	٢,٢٢	٤,٢٩	-٢,٠٧	-١,٩٠
الاستجابة السريعة لاحتياجات ورغبات الطلاب	٢,٦٤	٤,٦٥	-٢,٠١	
إعلام الطلاب بالمواعيد المحددة لتقديم الخدمة	٢,٤٧	٤,٤٣	-١,٩٦	
الاستعداد الدائم للتعاون مع الطلاب	٢,٤٩	٤,٥٧	-٢,٠٨	
رابعاً: الأمان	٣,٥٥	٤,٤١	-٠,٨٦	
١- شعور الطالب بالأمان في التعامل	٢,٦١	٤,٦٤	-٢,٠٣	-١,٨٠
٢- إلمام موظفي الخدمة بالمعلومات الكافية	٢,٢٧	٤,٣٩	-٢,١٢	
٣- اللباقة وحسن الخلق في التعامل مع الطلاب	٢,٣٣	٤,٤٢	-٢,٠٩	
٤- سرية المعلومات الخاصة بالطلاب	٢,١٥	٤,١٥	-٢,٠٠	
٥- دعم وتأييد الإدارة العليا لموظفي الخدمة	٢,٢٨	٤,١٨	-١,٩٠	
خامساً: التعاطف	٢,٣٨	٤,٣٥	-١,٩٧	-١,٩٤
١- الاهتمام بالطالب من الناحية الإنسانية				
٢- تفهم احتياجات الطلاب				
٣- إشعار الطلاب بأنهم موضع الاهتمام				
٤- تقدير ظروف الطلاب والتعاطف معهم				
٥- الروح المرحة والصادقة في التعامل مع الطلاب				

٤- توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الاعتمادية وذلك من حيث الدقة وعدم الخطأ في تقديم الخدمة (1.19)، والوفاء بتقديم الخدمة في المواعيد المناسبة (1.96)، وتوفر العدد الكافي من موظفي الخدمة (1.98)، والحرص على حل مشكلات الطلاب (2.02)، والاحتفاظ بسجلات وملفات دقيقة (1.52).

٥- توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الاستجابة وهى السرعة في تقديم الخدمة (1.97)، والرد الفوري على الاستفسارات والشكاوى (1.77)، والاستجابة السريعة لاحتياجات ورغبات الطلاب (2.01)، وإعلام الطلاب بالمواعيد المحددة لتقديم الخدمة (1.47)، والاستعداد الدائم للتعاون مع الطلاب (2.07).

٦- توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الأمان وهى شعور الطالب بالأمان (2.01)، وإلمام موظفي الخدمات بالمعلومات الكافية (1.96) واللباقة وحسن الخلق في التعامل مع الطلاب (2.08)، وسرية المعلومات الخاصة بالطلاب (0.86)، ودعم وتأييد الإدارة العليا لموظفي الخدمة (2.03).

٧- توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد التعاطف وذلك من حيث الاهتمام بالطالب من الناحية الإنسانية (2.12)، وتفهم احتياجات الطلاب (2.09)، وإشعار الطلاب بأنهم موضع الاهتمام (2.00)، وتقدير ظروف الطلاب والتعاطف معهم (1.90)، والروح المرحة والصادقة في التعامل مع الطلاب (1.97).

٨- وبالتحليل العام لنتائج الفجوة بين توقعات وإدراكات الطلاب عن الخدمة التعليمية في جامعة الطائف باستخدام مقياس SERVQUAL يتضح وجود اختلاف واضح في مستوى أداء الخدمة التعليمية المقدمة بالفعل عن مستوى توقعات الطلاب لأبعاد جودة الخدمة التعليمية (الجوانب المادية الملموسة، والاعتمادية ، والاستجابة، والأمان، والتعاطف) في جامعة الطائف.

وفى ضوء ما تقدم فقد تم رفض فرض العدم وقبول الفرض البديل حيث توجد اختلافات ذو دلالة إحصائية بين توقعات الطلاب لأبعاد جودة الخدمة وإدراكاتهم لمواصفات الخدمة التعليمية المقدمة من جامعة الطائف.

١١- نتائج الدراسة

اهتمت الدراسة الحالية بقياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف. ولقد تم استخدام مقياس SERVQUAL وذلك بغرض تحديد الفجوة بين توقعات الطلاب وإدراك المسئولين لهذه التوقعات، وأيضاً الفجوة بين المواصفات الخاصة بالخدمة المقدمة بالفعل (إدراك الطلاب) وبين إدراكات المسئولين لتوقعات الطلاب، وكذلك الفجوة بين إدراكات وتوقعات الطلاب. ويمكن تلخيص أهم النتائج التي تم التوصل إليها وذلك على النحو التالي:

١- توجد فجوة سلبية بين توقعات الطلاب وبين إدراك المسئولين لأبعاد جودة الخدمة التعليمية (الجوانب المادية للخدمة، الاعتمادية، الاستجابة، والأمان، والتعاطف) في جامعة الطائف، وتتمثل أكثر مجالات التباين بين توقعات الطلاب لجودة الخدمة وإدراكات المسئولين مقدمي الخدمة لهذه التوقعات في عدة فجوات أهمها الفجوة المتعلقة بجاذبية المباني وأماكن الحصول على الخدمة، وتوفر العدد الكافي من الموظفين لقديم الخدمة، والرد الفوري على استفسارات وشكاوى الطلاب، والباقة وحسن التعامل مع الطلاب، والروح المرحة والصادقة في التعامل مع الطلاب. وتوجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الجوانب المادية للخدمة التعليمية مثل مدى ملائمة مكان تقديم الخدمة التعليمية للطلاب، والتصميم والتنظيم الداخلي لإدارات تقديم الخدمة، واستخدام المعدات الحديثة في تقديم الخدمة، المظهر العام لموظفي تقديم الخدمة. كما توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الاعتمادية تمثلت في الدقة وعدم الخطأ في تقديم الخدمة التعليمية، والوفاء بتقديم الخدمة في المواعيد المناسبة، والحرص الدائم على حل مشكلات الطلاب، والاحتفاظ بسجلات وملفات دقيقة. وكذلك توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الاستجابة تمثلت في السرعة في تقديم الخدمة، والاستجابة السريعة لاحتياجات ورغبات الطلاب، وإعلام الطالب بالمواعيد المحددة لتقديم الخدمة، والاستعداد الدائم للتعاون مع الطلاب. هذا بالإضافة إلى وجود فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الأمان تمثلت في شعور الطالب بالأمان في التعامل، وإلمام موظفي الخدمة بالمعلومات الكافية، وسرية المعلومات الخاصة بالطلاب، ودعم وتأييد الإدارة العليا لموظفي الخدمة. وأخيراً توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد التعاطف تمثلت في الاهتمام بالطالب من الناحية الإنسانية، وتفهم احتياجات الطلاب، وإشعار الطلاب بأنهم موضع الاهتمام، وتقدير ظروف الطلاب والتعاطف معهم.

٢- توجد فجوة سلبية بين المواصفات الخاصة للخدمة المقدمة بالفعل (إدراكات الطلاب) لأبعاد جودة الخدمة التعليمية المقدمة من جامعة الطائف، وبين إدراك المسئولين مقدمي الخدمة

لإدراكات الطلاب وذلك من حيث الأبعاد الخمسة لجودة الخدمة التعليمية وهى النواحي المادية للخدمة التعليمية، الاعتمادية، الاستجابة، والأمان، والتعاطف. وتتمثل أكثر مجالات التباين بين إدراك الطلاب لجودة الخدمة وإدراكات المسئولين مقدمي الخدمة لهذه التوقعات في عدة فجوات سلبية أهمها الفجوة في الوفاء بتقديم الخدمة في المواعيد المناسبة، والحرص على حل مشكلات الطلاب، والاحتفاظ بسجلات وملفات دقيقة، والسرعة في تقديم الخدمة التعليمية، والاستجابة السريعة لاحتياجات ورغبات الطلاب، والاستعداد الدائم للتعاون مع الطلاب، وشعور الطالب بالأمان في التعامل، والباقة وحسن الخلق في التعامل مع الطلاب، ودعم وتأييد الإدارة العليا لموظفي الخدمة، الاهتمام بالطالب من الناحية الإنسانية، وتفهم احتياجات الطلاب، وإشعار الطلاب بأنهم موضع الاهتمام، وتقدير ظروف الطلاب والتعاطف معهم. كما توجد فجوة سالبة بين إدراك الطلاب لعناصر جودة الخدمة وإدراك الإدارة في أبعاد الجوانب المادية للخدمة التعليمية وخاصة في ملائمة مكان تقديم الخدمة التعليمية للطلاب، وجاذبية المبنى وأماكن الحصول على الخدمة، والتصميم والتنظيم الداخلي لإدارات تقديم الخدمة، واستخدام المعدات الحديثة في تقديم الخدمة، والمظهر العام لموظفي الخدمة. هذا بالإضافة إلى وجود فجوات سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الاعتمادية والتي تتمثل في الدقة وعدم الخطأ في تقديم الخدمة، توفر العدد الكافي من موظفي تقديم الخدمة. وكذلك أيضاً توجد فجوات سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الاستجابة في الرد الفوري على استفسارات وشكاوى الطلاب، وإعلام الطالب بالمواعيد المحددة لتقديم الخدمة. كما توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الأمان في الخدمة التعليمية تمثلت في إلمام موظفي الخدمة بالمعلومات الكافية، وسرية المعلومات الخاصة بالطلاب. وأخيراً توجد فجوة سالبة في أحد العناصر المكونة لبعد التعاطف تمثلت في الروح المرحة والصادقة في التعامل مع الطلاب.

٣- توجد فجوة سالبة بين إدراكات الطلاب وتوقعاتهم بالنسبة لمختلف أبعاد جودة الخدمة التعليمية (الجوانب المادية الملموسة، والاعتمادية ، والاستجابة، والأمان، والتعاطف) في جامعة الطائف، أي أن توقعات الطلاب لأبعاد وعناصر جودة الخدمة الطلابية المقدمة لهم تفوق ما يحصلون عليه بالفعل. وتوجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الجوانب المادية الملموسة، ويظهر ذلك في ملائمة مكان تقديم الخدمة التعليمية للطلاب، وجاذبية المباني وأماكن الحصول على الخدمة، والتصميم والتنظيم الداخلي لإدارات تقديم الخدمة، واستخدام المعدات الحديثة في تقديم الخدمة، والمظهر العام لموظفي الخدمة. كما توجد

فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الاعتمادية وذلك من حيث الدقة وعدم الخطأ في تقديم الخدمة، والوفاء بتقديم الخدمة في المواعيد المناسبة، وتوفر العدد الكافي من موظفي الخدمة، والحرص على حل مشكلات الطلاب، والاحتفاظ بسجلات وملفات دقيقة. وكذلك توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الاستجابة وهى السرعة في تقديم الخدمة، والرد الفوري على الاستفسارات والشكاوى، والاستجابة السريعة لاحتياجات ورغبات الطلاب، وإعلام الطلاب بالمواعيد المحددة لتقديم الخدمة، والاستعداد الدائم للتعاون مع الطلاب. هذا بالإضافة إلى أن هناك فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد الأمان وهى شعور الطالب بالأمان، وإلمام موظفي الخدمات بالمعلومات الكافية، واللباقة وحسن الخلق في التعامل مع الطلاب، وسرية المعلومات الخاصة بالطلاب، ودعم وتأييد الإدارة العليا لموظفي الخدمة. وأخيراً توجد فجوة سالبة في بعض العناصر المكونة لبعد التعاطف وذلك من حيث الاهتمام بالطالب من الناحية الإنسانية، وتفهم احتياجات الطلاب، وإشعار الطلاب بأنهم موضع الاهتمام، وتقدير ظروف الطلاب والتعاطف معهم، والروح المرحة والصادقة في التعامل مع الطلاب.

١٢- التوصيات

في ضوء النتائج السابقة انتهى الباحث إلى مجموعة من التوصيات، ويمكن تلخيص أهم هذه التوصيات وذلك على النحو التالي:

١- أن يهتم المسئولين في جامعة الطائف بالتعرف على إدراكات وتوقعات الطلاب، وكذلك إدراكات القائمين لتوقعات الطلاب نحو الخدمة التعليمية التي تقدمها جامعة الطائف.

٢- العمل على إحداث نوع من التطابق بين إدراكات وتوقعات الطلاب والقائمين على تقديم الخدمة التعليمية، وذلك من خلال تحسين أبعاد جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف، حيث إذا تم تحسينها فان ذلك ينعكس أثره في تغيير إدراكات وتوقعات الطلاب.

٣- ضرورة تصميم وتنفيذ مجموعة من البرامج التدريبية التي تعمل على تحسين جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف، ويمكن أن يتم ذلك من خلال توجيه مجموعة من الدراسات المتخصصة نحو تنمية الشعور لدى الطلاب بالثقة في إدارة الجامعة ومقدمي الخدمة التعليمية، وكذلك أيضاً البرامج التي تركز على أنماط وسلوكيات التعامل مع الأنماط المختلفة مع الطلاب. هذا بالإضافة إلى تنمية المهارات السلوكية للعاملين بالشكل الذي يساهم في تحقيق الاستجابة السريعة لاحتياجات ورغبات الطلاب، والرد الفوري على استفسارات وشكاوى الطلاب، والسرعة في تقديم الخدمة التعليمية، والاستعداد الدائم للتعاون مع الطلاب وتقدير ظروفهم والتعاطف معهم.

٤ – توجيه نظر القائمين على تقديم الخدمة التعليمية في جامعة الطائف بضرورة تحسينها وذلك من خلال التركيز على بعض الجوانب من أهمها اختيار القائمين على تقديم الخدمة التعليمية الذين يتعاملون بصفة مباشرة مع الطلاب بحيث تتوافر فيهم الرغبة في المساعدة والتعاون والتعاطف مع الطلاب. وضرورة الاهتمام بمنافذ تقديم الخدمة التعليمية وذلك من حيث موقعها وتعددها. وكذلك أيضاً الاهتمام بالنواحي الإنسانية في تقديم الخدمة التعليمية للطلاب في جامعة الطائف.

١٣- البحوث المستقبلية المقترحة

بالرغم من أن الدراسة الحالية حاولت قياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف، إلا أن نطاق هذه الدراسة والأساليب المستخدمة فيها والنتائج التي توصلت إليها تشير إلى وجود مجالات لدراسات أخرى مستقبلية لا تقل أهمية في هذا الصدد. ومن بين هذه المجالات البحثية ما يلي:

١- يمكن قياس جودة الخدمة التعليمية في جامعة الطائف وذلك من خلال استخدام مقياس الأداء الفعلي SERVPERF.

٢- يمكن تطبيق مقياس الفجوة SERVQUAL على منظمات خدمية أخرى مثل المستشفيات، وذلك بغرض التعرف على ما يتوقعه المرضى لمظاهر جودة الخدمة الصحية المقدمة من المستشفيات وإدراكات الإدارة في هذه المؤسسات لهذه التوقعات. هذا بالإضافة إلى التعرف على الفجوة بين توقعات المرضى لمظاهر جودة الخدمة الصحية المقدمة من المستشفيات وبين إدراكاتهم لمستوى الأداء الفعلي لهذه الخدمة الصحية.

٣- يمكن تطبيق مقياس الفجوة SERVQUAL وذلك في ضوء بعض المتغيرات مثل نوع الكلية، ونوع الأفراد العاملين بها، ومستوى الخبرة، وغيرها.

١٤- المراجع العربية

١- ثابت عبد الرحمن إدريس، جمال الدين محمد المرسى، قياس جودة الخدمة وتحليل العلاقة بينها وبين كل من الشعور بالرضا والميل للشراء مدخل منهجي تطبيقي، مجلة التجارة والتمويل، كلية التجارة، جامعة طنطا، ١٩٩٣.

٢- ثابت عبدالرحمن ادريس، قياس جودة الخدمة باستخدام مقياس الفجوة بين الإدراكات والتوقعات: دراسة منهجية بالتطبيق علي الخدمة الصحية بدولة الكويت، المجلة العربية للعلوم الإدارية، جامعة الكويت، المجلد الرابع ، العدد الأول، نوفمبر، ١٩٩٦.

٣- محمود صادق بازرعة، بحوث التسويق للتخطيط والرقابة واتخاذ القرارات التسويقية، الطبعة الخامسة، دار النهضة العربية، ١٩٨٥.

١٥- المراجع الأجنبية

1- Asubonteng. P.. Mc Cleary. K.. & Swan. J.. SERVQUAL Revised: A Critical Review of Service Quality. The Journal of Services Marketing. Vol.10. No.6. 1996. PP.62-81.

2- Babakus. E.. and Boller. W.. An Empirical Assessment of SERVQUAL Scale. Journal of Business Research. Vol.. 24. May 1992. PP.253-268.

3- Berry et al.. Services Quality is Puzzle. Business Horizon. September- October. 1988. PP. 35- 43.

4- Berry. L.. Zeithaml. V.. Parasuraman. A.. Quality Counts in Service Too. Business Horizons. May-June. 1985. PP.44-52.

5- Bolton. R.. and Drew. J.. A Mulltistage Model of Customers> Assessment of Service Quality and Value. Journal of Consumer Research. Vol.17. No.4. 1991. PP.375-384.

6- Boulding W.. Staelin. K.. Zeithaml. V.. A Dynamic Process Model of Service Quality: From Expectations to Behavioral International. Journal of Marketing Research. Vol.30. February 1993. PP.7-27.

7- Brady. M.. Cronin. J. and Brand. R.. Performance- Only Measurement of Service Quality: A Replication and Extension. Journal of Business Research. Vol. 55. 2002. PP.17-31.

8- Buzzell. R.. and Cale. B.. The PIMS Principles Linking Strategy to Performance. New York. Free Press. 1987.

9- Carman J.. Consumer Perception of Service Quality: An Assessment of the SERVQUAL Dimensions. Journal of Retailing. Vol.66. No.1. 1990. PP.33-55.

10- Cronin J.. and Taylor. S.. Measuring Service Quality: A Re-examination and Extension. Journal of Marketing. Vol. 56. July 1992. PP.5-68.
11- Crosby. P.. Quality is Free. McGraw–Hill Book Company. New York. 1979. P.23.
12- Edris. A.. Thabit & Al-Ghais Mona. Education Service Quality As Perceived by Kuwaiti Consumer: An Application of the SERVPERF Scale. Middle East Business Review. Vol. 1. No.1. 1996. PP. 22-42.
13- Goetsch. D.. & Daric. S.. Introduction Total Quality. International Edition. Prentice Hall. New York. 1994. P. 2.
14- Gronroos. C.. A Service Quality Model and it>s Marketing Implications. European Journal of Marketing. Vol.18. No. 4. 1984. PP.31-44.
15- Gronroos. C.. Service Management and Marketing. Mass Achusetts: Lexington Books. 1990. P. 65.
16- Gronroos. C.. Service Management and Marketing: A Customer Relationship Management Approach. John Wiley & Sons. LTD. 2000.
17- Kotler. P.. Principles of Marketing. Prentice Hall. New York. 1980. P477.
18- Lehtinen. J. and Lehtinen. O.. Service Quality: A Study of Quality Dimension. Unpublished Working Paper. Service Management Institute. Helsinki. Finland. 1982. PP.210-240.
19- Lewis. R.. and Booms. B.. The Marketing Aspects of Service Quality. In Berry. L.. et. Al.. Emerging Perspectives on Service Marketing. Chicago. AM.A. 1993. PP.99- 107.
20- McAlexander. J.. Kaldenberg D.. & Koeing H.. Service Quality Measurement. Journal of Health Car Marketing. Vol. 14. No. 3. 1994. PP.34-40.
21- Norman. R.. Service Measurement. New York. John Wily. 1984. P32.
22- Parasurman. A.. Zeithaml. V.. and Berry. L.. A Conceptual Model of Service Quality and Its Implications for Future Research. Journal of Marketing. Vol. 49. Fall 1985. PP.41-50.
23- Parasurman. A.. Zeithaml. V.. and Berry. L.. Reassessment of Expectations as a Comparison Standard in Measuring Service Quality: Implications for Future Research. Journal of Marketing. Vol. 58. 1994. PP.111-124.
24- Parasurman. A.. Zeithaml. V.. and Berry. L.. SERVQUAL: A Multi- Items Scale for Measuring Consumer Perceptions of Services Quality. Journal of Retailing. Vol. 64. No.1. 1988. PP.12-40.
25- Phillip. G.. Hazlett. S.. The Measurement of Service Quality. International Journal of Quality & Reliability Management. Vol.14. No.3. 1997. PP.260-286.
26- Rao. A.. Carr. L.. Dambolena. L.. Kopp. R.. Martin. J.. Rafi. F.. & Schlesinger. P.. Total Quality Management: A Cross Functional Perspective. John Wily & Sons. 1996. P5.

27- Reymoso. J.. & Moores. B.. Towards the Measurement of Internal Service Quality. International Management. Vol. 6. No.3. 1995. PP.64-83.
28- Stanton. W.. Fundamentals of Marketing. 1981. In Cowell. Donald. The Marketing of Services. Butterworth – Heinemann Ltd. 1999. P.441.
29- Swan. J.. Camb. L.. Product Performance and Consumer Satisfaction: A New Concept. Journal of Marketing. April 1976.
30- Swiss. J.. Adopting Total Quality Management (TQM) to Government Public Administration. Review 52. (July – Aug.). 1992. P.356.
31 The America Society Public Administration. 53 Rd National Conference In Chicago. Illinois U.S.A. April 11-15. 1992. P.1.
32- Zeithaml. V. Service Quality. Profitability and the Economic Worth of Customers: What We Know and What We Need to Learn. Academy of Marketing Service. Vol. 28. No. 1. 2000. PP. 67-85.
33- Zeithaml. V.. and Berry. L.. Parasurman. A.. The Nature and Determinants of Customer Expectations of Service. Journal of Academy of Marketing. Science. Vol. 21. No. 1. 1993.
34- Zeithaml. V.. Berry. L. & Parasuraman. A. Communication and Control Process in the Delivery of Service Quality. Journal of Marketing. Vol. 52. No. 2. April. 1988. PP.35-48.

٣

العلوم الشرعية

جامعة الطائف

بيع كلب الصيد والحراسة بين الحظر والإباحة

(دراسة فقهية)

د . عبد الله عبيد عامر النفاعي

أستاذ مساعد - قسم الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الطائف

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (العلوم الشرعية)
المجلد الأول - العدد الثالث - جمادى الآخرة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الملخص

بيّن البحث بعد المقدمة وخطة البحث أهمية الاستفادة من اقتناء الكلاب والتي تتمثل في الكشف عن المواد المتفجرة وأعمال دوريات الشرطة ، وأعمال البحث الجنائي، والكشف عن المواد المخدرة ومساعدة رجال الدفاع المدني، وفض المظاهرات والتجمعات، والصيد وحفظ الحرث والماشية وغير ذلك من أمور تستفاد من اقتناء الكلاب.

وناقش البحث آراء الفقهاء في حكم نجاسة الكلب وانتهى إلى أن الراجح قول من قال بنجاسته. كما عالج البحث قصة حكم بيع الكلب تحت موضوع اشتراط طهارة المبيع. وانتهى إلى جواز بيع الكلب وإن كان نجساً وذلك إذا كانت الحاجة داعية إلى الاستفادة منه، والمصلحة طالبة له وخاصة لدى الحكومات أو ممن تجبرهم الظروف للاستعانة به.

وأما عن عمدة نقطة البحث الأساسية وهي حكم بيع كلب الصيد والحراسة فلقد انتهى إلى الأحكام التالية :

لا يجوز بيع كلب الصيد والحراسة إذا كان أسوداً بهيماً لورود النص فيه.

لا يجوز بيع كلب الصيد والحراسة إذا كان عقوراً للمفاسد المتحققة من اقتنائه.

يجوز بيع كلاب الصيد والحراسة وسائر ما يستفاد منه وذلك للحاجة أو الضرورة التي تبيح المحظور والحاجة تنزل منزلة الضرورة، أما الكلاب التي لم يحتج إليها ولم تكن هناك ضرورة لاقتنائها فلا يجوز لأن المحظور لا يباح في حال عدم الضرورة. والله أعلم.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد:

فلقد كرم الله تعالى الإنسان وميزه على سائر المخلوقات بنعم لا تعد ولا تحصى، وأرشده سبحانه وتعالى إلى ما ينفعه في الدارين. ومن ذلك أن أمره سبحانه بالتقرب من كل طيب والابتعاد عن كل خبيث مستقذر.

وقد انتشر في هذا العصر اقتناء كثير من الناس للكلاب والانتفاع بها في مجال الصيد والحراسة لحاجة ولغير حاجة وأصبح هذا الأمر ضرورياً عند البعض، ومنهم من يقوم بالمتاجرة في هذه الكلاب - بيعاً وشراءً - بأسعار باهظة الثمن؛ لاسيما إذا كان الكلب يتمتع بصفات قل وجودها في غيره كما هو الحال في الكلاب البوليسية التي تستخدم في أعمال دوريات الشرطة، والكشف عن المتفجرات، والمخدرات، وأعمال البحث الجنائي كتتبع الأثر، والتعرف على الجناة ومطاردتهم، وغيرها.

فأصبحت الحاجة ملحة لبيع واقتناء هذه الكلاب، وأصبح المجتمع في حيرة من أمره لمعرفة حكم بيع هذه الكلاب واستخدامها، فلهذا ولغيره أردت أن أشارك بهذا البحث المتواضع بعنوان (بيع كلب الصيد والحراسة بين الحظر والإباحة) لكي أحقق القول في هذه المسألة، ودراستها دراسة فقهية مقارنة بأسلوب علمي رصين، وأسأل الله عز وجل أن يلهمني الحق والصواب فيما أقول .

منهج البحث:

- الرجوع إلى المصادر الأصيلة الفقهية المعتمدة في كل مذهب.
- إذا كانت المسألة خلافية تتبعت الأقوال في المسألة مع استقصاء الأدلة والمناقشة لكل قول مع الترجيح.
- أخرج الآيات وأعزوها إلى سورها مع بيان أرقامها.
- استعنت في الاستدلال بالآيات والأحاديث، والرجوع إلى كتب التفاسير وشروح الحديث في ذلك.
- خرجت الأحاديث فإن كان في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بذكره عند أحدهما، وإن كان في غيرهما حرصت على تخريجه من كتب السنن والآثار، وأحيانا أذكر الحكم على الحديث، والتخريج يكون بذكر الجزء والصفحة، ورقم الحديث.
- لم أترجم للأعلام المذكورين في البحث خشية الإطالة.

خطة البحث:

وقد اشتملت خطة البحث على خمسة مطالب وخاتمة على النحو الآتي:

المطلب الأول: أهمية اقتناء الكلاب ودروها في الحراسة.

المطلب الثاني: آراء العلماء حول نجاسة الكلب.

المطلب الثالث: آراء الفقهاء في اشتراط طهارة المبيع.

المطلب الرابع: شرط الانتفاع بالمبيع.

المطلب الخامس: حكم بيع كلب الصيد والحراسة.

الخاتمة: وتشتمل على نتائج البحث.

الباحث

المطلب الأول
أهمية اقتناء الكلاب ودورها في الحراسة

يتمتع الكلب بصفات جسمانية وحسية قلما تجدها في غيره من الحيوانات الأخرى فمن ناحية الصفات الجسمانية فهو يتمتع بعضلات غاية في القوة مزروعة في جسم انسيابي، مما أكسبه القدرة على تحمل الصعاب والمشاق.

وبالنسبة للصفات الحسية [١] فقد اتصف بصفات حسية ميزته عن غيره بمزايا:

(أ) يتصف بالشجاعة والإقدام، ويهاجم المجرمين المسلحين إذا حَسُنَ تدريبه.

(ب) حاسة الشم لديه في غاية القوة، وهذا يرجع إلى تركيبه الأنفي والعصبي في مركز الحاسة في المخ، حيث مركز الشم العصبي بالمخ يحتوي على عدد ٢٢٥ مليون خلية عصبية مقابل مليون خلية فقط في مخ الإنسان، وفيها يتم تحليل واسع ودقيق لمختلف الروائح وتصنيفها وتمييزها.

(ج) حاسة السمع لديه قوية جداً تفوق الكثير من الكائنات الأخرى، حيث قد أثبت الفحص قدرته في استقبال حوالي ٣٥٠٠٠ تردد في الثانية، وعند الإنسان حاسة السمع لا تتجاوز في استقبالها ٢٠,٠٠٠ تردد في الثانية.

(د) قبوله للتلقين، وحسن التصرف:

حيث يقول الجاحظ في أهميته:

«وليس لحارس الناس ولحارس أموالهم بُدٌّ من كلب، وكلما كان أكبر كان أحب إليه ولا بد لأقاطيع المواشي من الكلاب، وإلا فإنها نهب للذئاب ولغير الذئب .. وقد صار اليوم عند الكلب من الحكايات وقبول التلقين وحسن التصرف في أصناف اللعب». [٢]

(هـ) تمتعها بقدر كبير من الذكاء، ساعد على تدريب الإنسان لها وتعليمها في الصيد قال تعالى:

﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ [٣]

يقول السعدي في تفسيره لهذه الآية:

«دلت هذه الآية على أمور:

أحدها: لطف الله بعباده ورحمته لهم، حيث وسّع عليهم طرق الحلال، وأباح لهم ما لم يذكوه مما صادته الجوارح. والمراد بالجوارح: الكلاب، والفهود، والصقر ونحو ذلك، مما يصيد بنابه، أو مخلبه.

والثاني: أنه يشترط أن تكون معلمة، مما يعد في العرف تعليماً، بأن يسترسل، إذا أرسل وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك لم يأكل». [٤]

ومما سبق من صفات وميزات للكلاب التي لا تتوفر في غيرها، حيث فاقت كثيراً من الأجهزة الحديثة لكشف الجريمة، دعت الحاجة لاستخدام الكلاب في الأعمال الأمنية، نذكر منها:[٥]

١- استخدام الكلاب في أعمال دوريات الشرطة:

وقد طبق نظام كلاب الدورية في المملكة المتحدة، ومنها انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، والعديد من دول العالم، وكان استخدامه في دوريات الحراسة الثابتة في المنشآت الإستراتيجية الهامة، ومحطات المواصلات المركزية، أو الدوريات المتحركة سواء الراجلة أو الراكبة.

٢- استخدام الكلاب في الكشف عن المواد المتفجرة: فقد أثبتت التجارب على الطائرات نجاح الكلب المدرب في اكتشاف المفرقعات المخبأة بالطائرة خلال ثلاث دقائق، وفي بعض الأحيان نجح في ذلك خلال أقل من دقيقة، وقد أثبت التطبيق الميداني أهمية الكلاب في هذا المجال الأمر الذي رفع حالات استدعائها للكشف عن المفرقعات بالطائرات إلى عدد ١٠٩٨ حالة في مدينة نيويورك خلال عام ١٩٨١م ونجحت في كشف ٢١ عبوة ناسفة.[٦]

وقد توصل التقدم التقني والتكنولوجي إلى اختراع أجهزة للكشف عن المواد المتفجرة إلا أن كبر حجمها، وطول استعمالها وقف عائقا أمام استخدامها، خصوصا في المطارات والقطارات حيث يتزايد أعداد المسافرين وأوقات الرحلات محدودة.

٣- استخدام الكلاب في أعمال البحث الجنائي:

فالكلب يقوم بالتعاون مع رجال البحث الجنائي في الكشف عن شخصية مرتكبي الجرائم من خلال اقتفاء أثر الجناة ومطاردة الهاربين الذين يخلفون على مسرح الجريمة بعض متعلقاتهم، كما يقوم رجال البحث الجنائي بعملية تعرف الكلب الشرطي على الجاني في عملية عرض قانوني، بعد أن يشم الكلب الشيء الذي خلفه الجاني بمكان الجريمة، حيث يستطيع الكلب أن يحدد الشخص الذي ينسب الشيء المتروك إليه.

٤- استخدام الكلاب الشرطية في الكشف عن المواد المخدرة.

فقد استغلت حاسة الشم القوية لدى الكلب في تدريبه على اكتشاف رائحة المخدرات فهو يعتبر مرشداً وعوناً لرجال مكافحة المخدرات لاستخراج وكشف المواد المخدرة من أماكنها حتى ولو كانت مدفونة في الأرض أو مخبأة في أكوام من المواد الأخرى.[٧]

٥- استخدام الكلاب في مساعدة رجال الدفاع المدني:

فتلعب الكلاب الشرطية المدربة على العديد من أعمال الإنقاذ دوراً مهماً في التدخل للإرشاد عن وجود أشخاص على قيد الحياة تحت الأنقاض، وكذلك الإرشاد عن أماكن القنابل التي لم تنفجر بعد.

٦- كما تستخدم الكلاب في عمليات فض المظاهرات والتجمعات:

وذلك من خلال مساعدتها في معاونة رجال الأمن في القبض على متزعمي التظاهر والشغب، وخلخلة صفوف المتظاهرين وإثارة الذعر والخوف بينهم، كما تستخدم في وقت المظاهرات بصفة خاصة في مجال الحراسة وتأمين المنشآت. (٨)

كما ينتفع بها في أشياء أخرى، منها:

١- الصيد: وهو ما كان معلما يصاد به فاقتناؤه لمن يصيد به مباح، لأن من الصيد ما لا يصيده جارح غير الكلب كالثعالب والأرانب فكانت الحاجة داعية إليه وإلى اقتنائه.

٢- حفظ الحرث: فكلب أصحاب الزروع، يحفظ زروع البشر من الوحش لا سيما في الليل مع قلة نوم الكلب وسرعة تيقظه، ولا يقوم غيره مقامه فدعت حاجة أصحاب الرزق إلى اقتنائه.

٣- حفظ الماشية: وهو الكلب الذي يطوف على الماشية إذا رعت يحفظها من صغار السباع، فدعت حاجة الرعاة إليه فجاز لهم اقتناؤه، وفي معنى أصحاب المواشي أصحاب الخيل والبغال والحمير.

أما البوادي وسكان الخيام في الفلوات فهم ينتفعون بالكلاب لتحرسهم من الطراق والوحش، فإن للكلاب عواء عند رؤية من لم يألفوه ينتبه به أربابها على الاستيقاظ وحراسة البيوت. (٩)

وينسب للإمام الحسن البصري - رحمه الله - عنه في الكلب عشر خصال محمودة، وذكر في الخصلة الثالثة: أنه لا ينام من الليل إلا قليلاً» (١٠)

مما يؤكد على أهميته في الحراسة.

المطلب الثاني
آراء العلماء حول نجاسة الكلب

يرى جمهور الفقهاء من الشافعية والحنابلة أن نجاسة الكلب نجاسة عينية بمعنى أنها لا تطهر أبداً وإن كان بعض العلماء يرون أن النجاسة العينية إذا استحالت طهرت. [١١]

ويرى أبو حنيفة أن نجاسته نجاسة حكمية وليست عينه نجسة، وهذا غير صحيح، لأن نجاسة الحكم هي التي تحال بتنجيس المحل على ما طرأ عليه من نجس، وقد تزول عن المحل بعد أن نجس، ونجاسة الكلب ليست لطروء نجاسة، ولا تزول عنه بغسل النجاسة، فدل على أن عينه نجسه. [١٢]

والراجح عند الحنفية هو القول بنجاسة الكلب.

جاء في البحر الرائق: «وقد اختلف في نجاسة الكلب، والذي صح عندي من الروايات في النوادر والآمالي نجس العين عندهما، [١٣] وعند أبي حنيفة ليست بنجس». [١٤]

أما المالكية فيرون طهارة الكلب.

يقول الحطاب بعد ذكر حديث الولوغ:

«واختلف هل الأمر على الوجوب أو الندب بناء على أن الأمر المطلق هل يحمل على الوجوب أو الندب، أو نقول هو للوجوب، ولكن هنا قرينة صارفة للأمر عن ظاهره وهي قيام الدليل على طهارة الكلب» [١٥].

وجاء في حاشية عميرة» «وذهب مالك إلى طهارة الكلب والخنزير، ولكن بغسل من ولوغهما تعبداً» [١٦].

ودليل الجمهور على النجاسة هو حديث أبو هريرة، وعبد الله بن مغفل - رضي الله عنهما -، أن الرسول ﷺ: «أمر إذا ولغ الكلب في الإناء أن يغسل سبع مرات» [١٧]، «إحداهن بالتراب» [١٨]، وفي رواية «أولاهنّ بالتراب» [١٩] وهذه الرواية أرجح، قال الحافظ ابن حجر: «ورواية أولاهن أرجح من حيث الأكثرية والأحفظية، [٢٠] ومن حيث المعنى أيضاً، لأن ترتيب الأخيرة يقتضي الاحتياج إلى غسلة أخرى لتنظيفه». [٢١]

ووجه الدلالة: «أن الحديث ظاهر في نجاسة الكلب، ولولا النجاسة لم تجز إراقته». [٢٢]

كما استدلوا بقول الرسول - ﷺ - في الهرة: «إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات». [٢٣]

فقد استدل الأصوليون بهذا الحديث وجعلوه مثالاً على أحد مسالك العلة .

يقول أبو الحسين البصري:

«وأما تنبيه النص فنحو أن يفرق النبي ﷺ بين شيئين ويذكر علة أحدهما فنعلم أن عكس تلك العلة قائم في الشيء الآخر، وأن العلة في نقيض حكم الشيء الأول مثاله امتناع النبي ﷺ من الدخول على قوم عندهم كلب، ودخوله على قوم عندهم هر، وقوله: إنها ليست بنجس، فدل ذلك على نجاسة الكلب وأنه هو العلة في امتناع دخوله على أربابه، ودل قوله في الهر إنها من الطوافين عليكم والطوافات على أن ذلك علة طهارة الهر، وأن كون الكلب ليس من الطوافين علينا مما يجوز أن يؤثر في نجاسته». (٢٤)

أما المالكية فقد استدلوا بحديث إنها ليست بنجس على طهارة الكلب لوجود العلة وهي التطواف وهي علة معلومة مناسبة، وهي مشقة التحرز، فيجب أن يعلق الحكم بها، وعليه فإن كل ما يكثر التطواف على الناس مما يشق التحرز منه فحكمه يأخذ حكم الهرة والكلب يكثر التطواف فدل ذلك على طهارته. (٢٥)

كما استدل على طهارة الكلب الجائز اتخاذه ؛ لأن ملابسته مع الاحتراز عنه مشقة شديدة فالإذن في اتخاذه إذن في مكملات مقصوده كما أن المنع من لوازمه مناسب للمنع؛ كما أنهم لم يسلموا أن حديث الولوغ يقتضي النجاسة لأنه تعبدي. (٢٦)

والراجح والعلم عند الله هو القول بنجاسته أما كون الكلب يكثر التطواف فيلحق بالهرة فغير صحيح لأن الكلب وإن كان كذلك إلا أنه مستثنى بالنص وجمهور الفقهاء على أن روثه وبوله كولوغه بل هو أخبث. (٢٧)

أما الظاهرية فيرون أن بوله وروثه كسائر النجاسات لأنهم لا يجرون القياس. (٢٨)

المطلب الثالث
آراء الفقهاء في اشتراط طهارة المبيع

بعد استعراضنا لآراء العلماء -رحمهم الله تعالى- حول نجاسة الكلب وتقرر لدينا أن الراجح هو القول بنجاسته بقي أن نقف على آراء العلماء في كون طهارة المبيع شرطاً في البيع أم لا؟

المتتبع لأقوال الفقهاء، يجد أنهم اختلفوا في هذا الموضوع على قولين:

القول الأول: وذهب إليه جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة ويرون أنه لا بد أن يشترط في المبيع أن يكون طاهراً. (٢٩)

واستدلوا على ذلك:

بنهيه تعالى عن أكل المال بالباطل بقوله - عز وجل - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ﴾. (٣٠)

ولأن ما كان كذلك لا تحصل به منفعة للمسلم أو تحصل به منفعة يسيرة فكأنه غير منتفع به أصلاً فأخذ العوض عنه من أكل المال بالباطل المناقض للتجارة، ألا ترى أنه أتى بعده بأداة الاستثناء فقال: "إلا أن تكون تجارة عن تراض" وهي موجبة لأن يكون ما بعدها مناقضاً لما قبلها في الاستثناء المتصل وكذلك هنا عند المحققين. (٣١)

واستدلوا بحديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فقيل «يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويتصبح بها الناس. قال: لا هو حرام، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: قاتل الله اليهود إن الله لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه». (٣٢)

ووجه الدلالة منه:

إن بيع كل نجاسة لا تدعو الضرورة إلى استعمالها، ولا تعم بها البلوى حرام كالخمر والميتة لحمها وشحمها ولحم الخنزير. (٣٣)

كما اختلف أصحاب هذا القول فيما تدعو الضرورة إلى استعماله، ورأوا أن النجاسة على قسمين:

مجمع عليه ومختلف فيه، وكل واحد على قسمين ما تدعو إليه الضرورة، وما لا تدعو الضرورة إليه، فالمجمع عليه الذي لا تدعو الضرورة إليه لا خلاف في منع بيعه، والانتفاع به، والذي تدعو الضرورة إليه مجمعاً عليه كان أو مختلفاً فيه فهل يجوز بيعه أم لا فيه خلاف.

والصور المختلف فيها: كل ما فيه منفعة مقصودة فلأجل مراعاة تلك المنفعة اختلف العلماء

فيه، إذ قد عُلم أنه إنما منع بيع النجس، لأنه لا منفعة فيه أصلاً، أو فيه منفعة منع الشارع منها فصار وجودها كالعدم؛ لأن المعدوم شرعاً كالمعدوم حساً. [٣٤]

القول الثاني: وذهب إليه الحنفية ويرون عدم اشتراط طهارة المبيع[٣٥] فهم يدللون على جواز البيع بإباحة الانتفاع دون الطهارة وبناءً عليه فقد أباحوا صحة بيع الكلاب والسرجين [٣٦]، وجلد الميتة قبل دبغها.

ويقول الإمام القرطبي -رحمه الله-: «اختلف في جواز بيع كل محرم نجس فيه منفعة: كالزبل والعذرة فمنع من ذلك الشافعي ومالك، وأجازه الكوفيون والطبري. وذهب آخرون إلى إجازة ذلك من المشتري، ورأوا أن المشتري أعذر من البائع لأنه مضطر». [٣٧]

ويفهم من كلامه - رحمه الله - أن النجس الذي فيه منفعة قد وقع فيه اختلاف بين العلماء وعليه فإنه إذا كان في الشيء أكثر من منفعة واحدة وحرم منه واحدة من تلك المنافع أنه ليس يلزمه أن يحرم منه سائر المنافع الأخرى، لا سيما إذا كانت الحاجة إلى المنفعة غير المحرمة كالحاجة إلى المحرمة فإذا كان الأصل هذا يخرج منه الخمر والميتة والخنزير، وبقيت سائر محرمات الأكل على الإباحة أعني أنه أن كان فيها منافع سوى الأكل فبيعت لهذا جاز. [٣٨]

ولقد اختلف الفقهاء في النجس الذي فيه منفعة حتى في المذهب الواحد فسبق أن ذكرنا أن المالكية يشترطون طهارة المبيع وكذلك الحنابلة.

إلا أننا نجد ابن وهب من أصحاب مالك يخالف المالكية ويجيز بيع الزيت النجس وكذلك ابن الماجشون يرى أنه لا بأس ببيع العذرة؛ لأنه من منافع الناس. [٣٩]

وفي المذهب الحنبلي: قال أبو الخطاب ويتخرج على جواز الاستصباح بها - أي شحوم الميتة- جواز بيعها. [٤٠]

ويقول ابن القيم - رحمه الله -:

«ومعلوم إن إبقاء النجاسة والاستصباح بها انتفاع خال عن هذه المفسدة وعن ملابستها باطناً وظاهراً، فهو نفع محض لا مفسدة فيه وما كان هكذا فالشريعة لا تحرمه؛ فإن الشريعة إنما تحرم المفاسد الخالصة أو الراجحة وطرقها وأسبابها الموصلة إليها». [٤١]

ويمكن مناقشة رأي الحنفية الذين يعللون جواز البيع بالانتفاع بما قرره ابن القيم - رحمه الله - من قاعدة عظيمة في هذا الشأن، وهي:

أنه ليس كل ما حرم بيعه حرم الانتفاع به، أو لا يؤخذ تحريم الانتفاع من تحريم البيع فالحمار والبغل يجوز بيعهما لمنفعة الظهر التي أبيحت لا لمنفعة اللحم المحرمة.

وكذلك لا يلزم من تحريم بيع الميتة تحريم الانتفاع بها في غير ما حرم الله كالوقيد [٤٢]، وإطعام الصقور وغير ذلك.

كجواز الانتفاع بالسرقين[٤٣] النجس في عمارة الأرض للزرع مع نجاسة عينه، كما يجوز بيعه لهذا الانتفاع.

فيظهر أن باب الانتفاع أوسع من باب البيع [٤٤] .

أما بالنسبة لأدلة الجمهور:

فاستدلالهم بالآية على أن فيها نهياً عن أكل أموال الناس بالباطل وأن النجس لا يكون فيه منفعة ومناقض للتجارة فيرد بأن كثيراً من النجاسات لها منافع عديدة خصوصاً في عصرنا الحاضر فأصبحت متقومة فجاز بيعها.

استدلالهم بالحديث غايته أن فيه تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام وليس فيه دلالة على نجاسة هذه الأشياء كما أنه لا يلزم من التحريم النجاسة [٤٥]، ولهذا فالسم حرام وليس بنجس، والخمر حرام وليس بنجس على القول الراجح.

والذي يظهر لي في هذه المسألة – والعلم عند الله – أنها تحتاج إلى قانون يوازن بين المصالح والمفاسد، فتعارض المصالح والمفاسد باب ذو أهمية كبرى، يتطلب دقة في النظر، وإحكام في أدوات التوازن والترجيح، فقلّ أن تجد المصالح الخالصة، التي لا تشوبها مفسدة والمفاسد الخالصة التي لا تخلو من مصلحة.

ويقول ابن القيم – رحمه الله –: «ومن أصول الشريعة أنه إذا تعارضت المصلحة والمفسدة قُدم أرجحها». [٤٦]

فبيع النجس إذا كانت الحاجة داعية إليه ولاستعماله، وكان مما تعم به البلوى، وكان متضمنا لتحصيل مصلحة، وفساده مغموراً بالمصلحة فالراجح جواز بيعه لذلك وعليه فيتجاوز عن اشتراط الطهارة في المبيع.

* وبالنسبة لبيع كلب الحراسة والصيد وهل الحاجة داعية إلى بيعه والانتفاع به فسوف يأتي تفصيله في المطلب الخامس.

المطلب الرابع
شرط الانتفاع بالمبيع

إن بعض الفقهاء - رحمهم الله تعالى - يعبرون عن شرط مالية المبيع بأن يكون المبيع منتفعاً به شرعاً، فسوف نورد تعريف المال حتى نعرف مدى انطباقه على المنافع.

١- عرفه الحنفية بأنه: «ما يميل إليه الطبع ويمكن إدخاره لوقت الحاجة».[٤٧]

والمالية تثبت بتمول الناس كافة، أو بعضهم، والتقوم يثبت بها بإباحة الانتفاع به شرعاً فيما يباح بلا تمول [٤٨].

٢- عرفه المالكية: « ما يقع عليه الملك، ويستبد به المالك عن غيره إذا أخذه من وجهه». [٤٩]

وبناءً عليه خرج ما لا يقبل الملك

يقول القرافي - رحمه الله -: « اعلم أن الأعيان منها ما لا يقبل الملك إما لعدم اشتماله على منفعة كالخشاش، أو منفعة محرمة كالخمر، والمرطبات المحرمة، أو منفعة تعلق بها حق آدمي كالحر فإنه لا يقبل الملك لغيره، لأنه أحق بنفسه من غيره، أو تعلق بها حق الله تعالى كالمساجد والبيت الحرام».[٥٠]

٣- وعرفه الشافعية:

«قال الشافعي، لا يقع اسم مال إلا على ما له قيمة يباع بها وتلزم متلفة، وإن قلت وما لا يطرحه الناس مثل الفلس وما أشبه ذلك». [٥١]

٤- وعرفه الحنابلة :

وهو أي المال شرعاً: «ما فيه منفعة أو لغير حاجة ضرورة». [٥٢]

فخرج ما لا نفع فيه أصلاً كالحشرات، وما فيه منفعة محرمة كالخمر، وما فيه منفعة مباحة للحاجة كالكلب، وما فيه منفعة تباح للضرورة كالميتة في حال المخمصة، وخمر لدفع لقمة غص بها.

ثم قال البهوتي: «وظاهر كلامه هنا كغيره أن النفع لا يصح بيعه مع أنه ذكر في حد البيع صحته، فكان ينبغي أن يقال هنا كون المبيع مالاً أو نفعاً مباحاً مطلقاً أو يعرف المال: بما يعم الأعيان والمنافع» [٥٣].

قلت ويظهر من التعريفات السابقة أن المال عند المالكية والشافعية والحنابلة يشمل الأعيان والمنافع والحقوق في حين أن الحنفية لا يعدون المنافع مالاً.

والتعريف الراجح من وجهة نظري للمال هو:

«كل ما يمكن حيازته والانتفاع به على وجه معتاد» [٥٤].

لأن تعريف الحنفية لا يستقيم وليس بسديد فهناك من الأموال ما لا يميل إليه الطبع ومع هذا

فهو مال كالأدوية، ومنها ما لا يمكن ادخاره كالفواكه والخضروات [٥٥].

كما أن تعريف الحنفية للمال يخرج المنافع فلا يعدونها مالاً، في حين أن الأعيان إنما تصير مالاً باعتبار الانتفاع؛ لأنه هو المقصود، وما لا منفعة فيه ليس بمال.

وأدل دليل على كون المنافع مالاً أن الشارع أجاز أن تكون المنفعة صداقاً وذلك في حديث سهل بن سعد قال: (جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت إني وهبت منك نفسي فقامت طويلا فقال رجل زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجة قال هل عندك من شيء تُصْدقها قال ما عندي إلا إزاري فقال إن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك فالتمِس شيئاً فقال ما أجد شيئا فقال التمس ولو خاتماً من حديد فلم يجد فقال أمعك من القرآن شيءٌ قال نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها فقال زوجناكها بما معك من القرآن)[٥٦]. والصداق لا يكون إلا مالاً لقوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [٥٧].

واحتج أبو حنيفة على قوله بوجوه: الأول: بالآية السابقة فإن الله تعالى شرط في حصول الحل أن يكون الابتغاء بالمال والمال اسم للأعيان لا للمنافع.

الثاني: قال تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [٥٨]. وذلك صفة الأعيان.

وأجاب الجمهور على الوجه الأول بآن الآية تدل على أن الابتغاء بالمال جائز، وليس فيه بيان أن الابتغاء بغير المال جائز أم لا؟ وعن الوجه الثاني: أن لفظ الإيتاء كما يتناول الأعيان يتناول المنافع الملتزمة [٥٩].

واحتج الإمام الشافعي – رحمه الله – على جواز جعل المنفعة صداقاً بأمور [٦٠]:

قوله تعالى في قصة شعيب ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾ [٦١].

أن التي وهبت نفسها، لما لم يجد الرجل الذي أراد أن يتزوج بها شيئا، قال عليه الصلاة والسلام: (هل معك شيء من القرآن قال نعم سورة كذا، قال زوجتكها بما معك من القرآن). [٦٢]

وجملة القول: أن المنافع هي المقصودة من المال، ويكاد يتفق الفقهاء – رحمهم الله – على أن ما لا منفعة فيه ليس بمال، والحنفية رأوا أن المال هو ما يميل إليه الطبع ويمكن ادخاره لوقت الحاجة والمالية عندهم تثبت بتمول الناس، والتقوم: يثبت بإباحة الانتفاع شرعاً فيما يباح بلا تمول في حين أن الجمهور يرون أن المال هو ما فيه منفعة مباحة لغير ضرورة.

وبناء على هذا الاختلاف نتج عنه اختلافهم في بيع الكلب، فرأى الحنفية جواز بيع كلب الحراسة والصيد لنفعهما ولانطباق شروط المال المتقوم عليه، ومنع الجمهور ذلك على ما سيأتي تفصيله في المطلب التالي.

المطلب الخامس
حكم بيع كلب الصيد والحراسة

ذكرنا في المطالب السابقة اختلاف الفقهاء - رحمهم الله تعالى - في اشتراط طهارة المبيع والانتفاع به، وقد ترتب على هذا الاختلاف اختلافهم في تأصيل مسألة الكلب عموماً، وكلب الحراسة على وجه الخصوص.

فقد بيّن ابن القيم - رحمه الله تعالى - [٦٣] الأصل الذي بني عليه اختلاف العلماء في بيع الكلب وهو:

أن ما كانت منافعه كلها محرمة لم يجز بيعه إذ لا فرق بين المعدوم حسا والممنوع شرعا.

وما تنوعت منافعه إلى محللة ومحرمة فإن كان المقصود من العين خاصة كان الاعتبار بها والحكم تابع لها فاعتبر نوعها وصار الآخر كالمعدوم.

وإن توزعت في النوعين لم يصح البيع؛ لأن ما يقابل ما حرم منها أكل مال بالباطل.

وعلى هذا الأصل مسألة بيع كلب الصيد والحراسة فإذا بني الخلاف فيها على هذا الأصل قيل في الكلب من المنافع كذا وكذا وعددت جملة منافعه ثم نظر فيها:

(أ) فمن رأى أن جملتها محرمة منع.

(ب) ومن رأى أن جملتها محللة أجاز.

(ج) ومن رآها متنوعة نظر هل المقصد المحلل أو المحرم فجعل الحكم للمقصود، ومن رأى منفعة واحدة منها محرمة وهي المقصود منع.

(د) ومن التبس عليه كونها مقصودة وقف أو كره.

وذكر ابن القيم - رحمه الله- بعد ذلك أن بناء بيع كلب الصيد على هذا الأصل أفسد البناء [٦٤].

*** آراء الفقهاء في بيع كلب الصيد والحراسة:**

تحرير محل النزاع:

تكاد تتفق آراء الفقهاء - رحمهم الله تعالى [٦٥] - على عدم جواز بيع كلب الحراسة العقور وذلك ؛ لأن مفسدته تربو على منفعته بما يقوم به من إيذاء للمارة وتخويف للصغار كما أن الرسول ﷺ قد أمر بقتله [٦٦].

وقال النووي -رحمه الله-:

«واتفق العلماء على جواز قتل الكلب العقور للمحرم والحلال واختلفوا في المراد به» [٦٧].

ويقول الزيلعي - رحمه الله: «لا يصح بيع الكلب العقور؛ لأنه لا ينتفع به فصار كالهوام المؤذية» [٦٨].

ويقول النفراوي – رحمه الله: «ولا بأس بقتل الكلب العقور» [٦٩].

وفي كشاف القناع: «أن الكلب العقور يجب قتله» [٧٠].

* أما بيع الكلب المعلّم الذي ينتفع به في الحراسة والصيد ويقبل التعليم فقد وقع فيه الخلاف بين العلماء – رحمهم الله تعالى – على أقوال:

القول الأول: ويرى أصحابه جواز بيعه لأنه ينتفع به وذهب لهذا القول الحنفية [٧١].

يقول الزيلعي – رحمه الله –: «ألا ترى أن الشرع أباح الانتفاع به حراسة واصطياداً فكذا بيعاً» [٧٢].

ويقول السرخسي – رحمه الله –:

«وإذا ثبت أنه مال متقوم وهو منتفع به شرعا جاز بيعه كسائر الأموال» [٧٣].

القول الثاني: وقد اختلفت الرواية عند المالكية، ففرق أصحاب مالك بين ما يجوز اتخاذه وبين ما لا يجوز اتخاذه.

يقول العلامة ابن رشد – رحمه الله –:

«وفرق أصحاب مالك بين كلب الماشية والزرع المأذون في اتخاذه وبين ما لا يجوز اتخاذه فاتفقوا على أن ما لا يجوز اتخاذه لا يجوز بيعه للانتفاع به وإمساكه..... واختلفوا في المأذون في اتخاذه فقيل هو حرام وقيل مكروه» [٧٤].

وجاء في الثمر الداني في تقريب المعاني:

«واختلف في جواز ما أذن في اتخاذه منها أي من كلاب الحراسة والصيد في جوازه ومنعه على قولين مشهورين» [٧٥].

القول الثالث: ويرى أصحابه منع بيع الكلب مطلقا وإليه ذهب الشافعية والحنابلة.

يقول الإمام النووي – رحمه الله:

«مذهبنا أنه لا يجوز بيع الكلب، سواء كان معلماً أو غيره، وسواء كان جرواً أو كبيرا ولا قيمة على من أتلفه» [٧٦].

وقال ابن قدامة – رحمه الله:

«ولا يجوز بيع الكلب أي كلب كان لا نعلم فيه خلافاً في المذهب[٧٧]»

ويقول المرداوي – رحمه الله:

«قوله ولا يجوز بيع الكلب، هذا المذهب مطلقاً، وعليه الأصحاب وقطعوا به» [٧٨].

سبب الاختلاف:

سبق وأن ذكرنا كلام للإمام ابن القيم رحمه الله في مقدمة هذا المطلب أصلّ فيه مبنى

اختلاف الفقهاء في هذه المسألة، وذكر سبب اختلافهم، ونذكر هنا إضافة لما سبق أن سبب اختلافهم كما ذكر ابن رشد رحمه الله هو: تعارض الأدلة[٧٩].

الأدلة والمناقشة:

مما سبق: سوف تنحصر الأدلة على فريقين ؛ لأن المالكية في بيع كلب الحراسة المأذون فيه لهم قولان وبالتالي من أجاز منهم بيعه فأدلته أدلة الحنفية ومن منعه فدليله دليل الشافعية و الحنابلة.

أولاً: أدلة القائلين بجواز بيع كلب الصيد والحراسة وما في حكمه:

استدل القائلون بالجواز بأدلة كثيرة، نذكر منها:

١- حديث جابر أن الرسول ﷺ: «نهى عن ثمن الكلب والسنور إلا كلب الصيد» [٨٠]. وبما أن الرسول ﷺ رخص في ثمن كلب الصيد فلفظ الرخصة يدل على الإباحة، ولا فرق في ذلك بين جميع أنواع الكلاب المعلم منها وغير المعلم [٨١].

كما أن هذا النص يتبين فيه تيسير انتساخ ما روى من النهي، وهذا لأنهم كانوا ألفوا اقتناء الكلاب، وكانت الكلاب فيهم تؤذي الضيوف والغرباء فنهوا عن اقتنائها فشق ذلك عليهم فأمروا بقتل الكلاب ونهوا عن بيعها تحقيقاً للزجر عن العادة المألوفة ثم رخص لهم بعد ذلك في ثمن ما كان منتفعاً به من الكلاب وهو كلب الصيد والحرث والماشية[٨٢].

ومما يدل على صحة هذا الاستثناء أن جابراً أحد من روى عن النبي ﷺ النهي عن ثمن الكلب، وقد رخص جابر لنفسه في ثمن كلب الصيد، وقول الصحابي صالح لتخصيص عموم الحديث عند من جعله حجة فكيف إذا كان معه النص باستثنائه والقياس[٨٣].

٢- أنه يباح الانتفاع به، ويصح نقل اليد فيه بالميراث والوصية والهبة، وتجوز إعارته وإجارته فجاز بيعه كالبغل والحمار [٨٤].

يقول السرخسي:

«وإذا ثبت أنه مال متقوم وهو منتفع به شرعاً جاز بيعه كسائر الأموال، وبيان كونه منتفعاً به أنه يحل الانتفاع به في حال الاختيار، ويجوز تمليكه بغير عوض في حالة الحياة بالهبة وبعد الموت بالوصية فيجوز تمليكه بالعوض أيضاً، وبهذا تبين أنه ليس بنجس العين فإن الانتفاع بما هو نجس العين لا يحل في الاختيار كالخمر ولا يجوز تمليكه قصداً بالهبة والوصية»[٨٥].

ويقول الكاساني - رحمه الله -:

«الكلب مال فكان محلاً للبيع كالصقر والبازي، والدليل على أنه مال أنه منتفع به حقيقة

مباح الانتفاع به شرعاً على الإطلاق فكان مالاً، ولا شك أنه منتفع به حقيقة والدليل على أنه مباح الانتفاع به شرعا على الإطلاق أن الانتفاع به بجهة الحراسة والاصطياد مطلق شرعا في الأحوال كلها فكان محلاً للبيع؛ لأن البيع إذا صادف محلاً منتفعاً به حقيقة مباح الانتفاع به على الإطلاق مست الحاجة إلى شرعه يقع سبباً ووسيلة للاختصاص القاطع للمنازعة إذ الحاجة إلى قطع المنازعة فيما يباح الانتفاع به شرعاً على الإطلاق لا فيما يجوز» (٨٦).

المناقشة:

(١) أما الجواب عما احتجوا به من الأحاديث والآثار فكلها ضعيفة باتفاق المحدثين، وهكذا وضح الترمذي والدارقطني والبيهقي ضعفها، ولأنهم لا يفرقون بين المعلم وغيره، بل يجوزون الجميع. (٨٧)

وقال البيهقي - رحمه الله - روي عن النبي ﷺ النهي عن ثمن الكلب جماعة منهم ابن عباس وجابر بن عبد الله وأبو هريرة ورافع بن خديج وأبو جحيفة اللفظ مختلف والمعنى واحد، والحديث الذي روي في استثناء كلب الصيد لا يصح وكأن من رواه أراد حديث النهي عن اقتنائه فشبه عليه (٨٨).

ويقول ابن القيم - رحمه الله -:

«ومما يدل على بطلان حديث جابر هذا وأنه خلط عليه أنه صح عنه أنه قال أربع من السحت ضراب الفحل وثمن الكلب ومهر البغي وكسب الحجام وهذا علة أيضا للموقوف عليه من استثناء كلب الصيد فهو علة للموقوف والمرفوع» (٨٩).

وقال ابن المنذر:

«لا معنى لمن جوز بيع الكلب المعلم، لأنه مخالف لما ثبت عن رسول الله - ﷺ - (٩٠).

وقال البيهقي: «الاسناد المذكور في كلب الصيد ليس ثابتاً في الأحاديث الصحيحة»(٩١).

(٢) أما استدلالهم بأن النهي عن ثمنها حين كان الأمر بقتلها فلما حرم قتلها وأبيح اتخاذ بعضها نسخ النهي فنسخ التحريم.

رد عليه: بأن هذه الدعوى باطلة ليس مع مدعي صحتها دليل ولا شبهة وليس في الأكثر ما يدل على صحة هذه الدعوى البته بوجه من الوجوه، ويدل على بطلانها أن أحاديث تحريم بيعها، وأكل ثمنها مطلقة عامة، وأحاديث الأمر بقتلها، والنهي عن اقتنائها نوعان نوع كذلك وهو المتقدم ونوع مقيد مخصص وهو المتأخر فلو كان النهي عن بيعها مقيداً مخصوصاً لجاءت به الآثار كذلك فلما جاءت مطلقة علم أن عمومها وإطلاقها مراد فلا يجوز إبطاله» (٩٢).

(٣) فينتج مما سبق أنه لا يصح استثناء كلب الصيد بوجه لضعف حديث جابر وغيره

(٤) استدلالهم بأنه يباح الانتفاع به.

اعترض عليه بوجهين:

أحدهما: أن الانتفاع بمنافع الكلب لا بعينه، وذلك لا يدل على مالية عينه كالآدمي ينتفع بمنافعه بالإجارة وهو ليس بمال.

والثاني: أن شعر الخنزير ينتفع به الأساكفه وليس بمال.

وأجيب عن **الأول:** بأن الانتفاع بمنفعة الكلب يقع تبعاً لملك العين لا قصداً في المنفعة: ألا تري أنه يُورَث والمنفعة وحدها لا تورث فجرى مجرى الانتفاع بمنافع العبد والأمة وجميع ما لا يؤكل لحمه.

وعن **الثاني:** بأن الخنزير محرم العين شرعاً فثبتت الحرمة في كل جزء وسقط التقوم والإباحة لضرورة الخرز لا تدل على رفع الحرمة فيما عداها كإباحة لحمه حال المخمصة، وإذا ثبت أن مناط الحكم الانتفاع ثبت في الفهد والنمر والذئب، بخالف الهوام المؤذية [٩٣] .

وأما قياس الكلب على البغل والحمار فمن أفسد القياس بل قياسه على الخنزير أصح من قياسه عليهما؛ لأن الشبه الذي بينه وبين الخنزير أقرب من الشبه الذي بينه وبين البغل والحمار، ولو تعارض القياسان لكان القياس المؤيد بالنص الموافق أصح وأولى من القياس المخالف له [٩٤].

وأما استدلالهم بجواز إجارته فهذا غير مسلّم لأنه حيوان محرم بيعه لخبثه فحرمت إجارته كالخنزير، كما أن قياسهم ينقض بضراب الفحل فإنها منفعة مباحة ولا يجوز إجارتها، ولأن إباحة الانتفاع لم تبح بيعه فكذلك إجارته، ولأن منفعته لا تضمن في الغضب، فإنه لو غصب غاصب مدة لم يلزمه لذلك عوض فلم يجز أخذ العوض عنها في الإجارة كنفع الخنزير» [٩٥].

ثانياً: أدلة القائلين بعدم جواز بيع كلب الصيد والحراسة:

وقد استدلوا بأدلة كثير، نذكر منها:

- ما ثبت في الصحيحين من الأحاديث الصريحة في تحريم اقتنائه، وأن اقتناءه ينقص أجر مقتنيه كل يوم، فلو كان مباحاً لكان اقتناؤه مباحاً.
- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (من اقتنى كلباً ليس بكلب ماشية أو ضارية نقص كل يوم من عمله قيراطان) [٩٦].
- حديث أبي مسعود الأنصاري أن رسول الله ﷺ (نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي، وحلوان الكاهن) [٩٧].
- حديث رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ قال: (كسب الحجام خبيث، وثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث) [٩٨].

جاء في عون المعبود: (وأما قوله ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث فمعناه المحرم، وقد يجمع الكلام بين القرائن في اللفظ، ويفرق بينهما في المعاني، وذلك حسب الأغراض والمقاصد فيها، وقد يكون الكلام في الفصل الواحد بعضه على الوجوب، وبعضه على الندب، وبعضه على الحقيقة، وبعضه على المجاز، وإنما يعلم ذلك بدلائل الأصول وباعتبار معانيها) [٩٩].

وفي صحيح مسلم عن رافع بن خديج عن رسول الله ﷺ قال: (ثمن الكلب خبيث ومهر البغي خبيث وكسب الحجام خبيث) [١٠٠].

يقول النووي - رحمه الله -:

"وأما النهي عن ثمن الكلب، وكونه من شر الكسب، وكونه خبيثاً، فيدل على تحريم بيعه، وأنه لا يصح بيعه، ولا يحل ثمنه ولا قيمة على متلفه سواء كان معلماً أم لا، وسواء كان مما يجوز اقتناؤه أم لا وبهذا قال جماهير العلماء" [١٠١].

٢- أنه لو جاز أكله لجاز بيعه، كما أن بيعه تابع للحمه، ولحمه حرام فبيعه حرام [١٠٢].

٣- ما تقرر في المطالب السابقة بأن الكلب نجس وبالتالي فلا يجوز بيعه لنجاسته.

المناقشة:

نوقشت أدلة القائلين بعدم الجواز بما يلي:

أن الاستدلال بحديث نقصان الأجر في غير محل النزاع، كما أنه دليل للمجيزين، حيث دل الحديث على استثناء كلب الماشية والضارية وهي في معنى الحراسة.

ما كل خبيث يحرم لما ورد في الثوم أنه خبيث، وفي كسب الحجام أنه خبيث، مع أنه لم يحرم واحد منهما [١٠٣].

وأجيب عن هذا: أن ما ثبت بنص أنه خبيث كان ذلك دليلاً على تحريمه، وما أخرجه دليل يخرج ويبقى النص حجة فيما لم يقم دليل على إخراجه كما هو الحكم في جل عمومات الكتاب والسنة يخرج منها بعض الأفراد بمخصص، وتبقى حجة في الباقي [١٠٤].

أن تحريم الخبائث لعلة الخبث، وإذا وجد خبيث غير محرم كان ذلك ناقضاً في العلة لا تخصيصا لها [١٠٥].

وأجيب عنه: أن أكثر العلماء على أن النقض تخصيص للعلة لا إبطال لها [١٠٦].

أن التسوية بين ثمن الكلب وبين مهر البغي، وحلوان الكاهن، وكسب الحجام في الحديث لا تحمل على جميع الكلاب بل يخرج منها المأذون فيه، ولو سلمنا أنه في عامة الكلاب فالنهي هنا محمول على الكراهة.

يقول الكاساني: "وما ورد من النهي عن كسب الحجام في الحديث عن رسول الله ﷺ ..... فهو محمول على الكراهة"[١٠٧].

أجيب عن هذا بأن المقاصد والأغراض تختلف ويترتب على ذلك اختلاف الحكم؛ فالخبيث في مهر البغي والكلب حرام؛ لأن الكلب نجس والزنا حرام، وبذل العوض عليه وأخذه حرام [١٠٨].

جاء في فيض القدير: «قال القاضي الخبيث في الأصل ما يكره لرداءته وخسته، ويستعمل للحرام من حيث كرهه الشارع واسترداده كما يستعمل الطبيب للحلال قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾[١٠٩] أي الحلال بالحرام والرديء من المال قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[١١٠] أي الدنيء من المال، ولما كان مهر الزانية، وهو ما تأخذه عوضاً عن الزنا حرام كان الخبيث المسند إليه بمعنى الحرام، وكسب الحجام لم يكن حراماً لأنه عليه الصلاة والسلام احتجم وأعطى الحجام أجرته كان المراد المسند إليه المعنى الثاني، وأما الأول فمبني على صحة بيع الكلب فمن صححه كالحنفية فسره بالدناءة، ومن لم يصححه كأصحابنا فسره بأنه حرام» [١١١].

أما كون النجاسة تمنع البيع فهذا لم يتفق عليه أحد من العلماء بل آراء العلماء مختلفة حول اشتراط طهارة المبيع فلا يلزم من النجاسة تحريم البيع.

الترجيح:

بعد عرض أدلة الفريقين والنظر فيها ومناقشتها ظهر لي ما يلي:

أولاً: أن كلب الصيد والحراسة إذا كان أسود بهيماً [١١٢] فهذا لا يجوز بيعه مطلقاً، وذلك لأن هذا الكلب يختص عن غيره من الكلاب بأمور:

أ- أنه يقتل بكل حال، لأنه شيطان دون غيره من الكلاب، لحديث الكلب الأسود شيطان. [١١٣]

ب- أنه لا يجوز اقتناؤه مطلقاً حتى للزرع والماشية والصيد. [١١٤]

ج- أن مروره بين يدي المصلي يقطع الصلاة دون غيره من الكلاب.

لحديث أبي ذر رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود. [١١٥]

ثانياً: عدم جواز بيع كلب الصيد والحراسة العقور، وذلك لأن مفسدته تربو على منفعته بما يقوم به من إيذاء للمارة، وتخويف للصغار.

ثالثاً: أما بيع الكلب المعلم غير الأسود والعقور، مما ينفع به في الصيد والحراسة وغيرها، كاستخدامه في الأمن كالكلاب البوليسية لأعمال دوريات الشرطة، والكشف عن شخصية مرتكبي

الجرائم، والكشف عن المواد المخدرة، والمتفجرة والاستعانة به في فض المظاهرات والتجمعات فالحاجة إليه قائمة، وهو مما عمت به البلوى وإن كانت أدلة المانعين قوية جداً، ولها وجاهتها إلا أنه يجوز للحاجة ما لا يجوز لغيرها.

يقول ابن تيمية - رحمه الله -: «إذا طبق الحرام الأرض، ولم يبق سبيل إلى الحلال، فإنه يباح للناس قدر الحاجة من المطاعم والملابس والمساكن، والحاجة أوسع من الضرورة» [١١٦].

وعليه فإنه يجوز بيع كلب الصيد والحراسة وما في حكمه في نطاق الحاجة فقط، وذلك في حين تعذر المشتري الحصول عليه إلا عن طريق البيع، أما إذا لم يكن هنا كحاجة قائمة فالراجح عدم جوازه وذلك مثل الذين اتخذوا بيع الكلب حرفة ومهنة يتاجرون بها لأخذ مكاسبها. والله أعلم.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج:

١- ينتفع بالكلب في غير الصيد والحراسة والماشية، في استخدامه في أعمال دوريات الشرطة، والكشف عن المجرمين والمتفجرات والمخدرات، وفض المظاهرات كما هو الحال في الكلاب البوليسية.

٢- ترجح لديّ القول بنجاسة الكلب، وأنه ليس من الطوافين، فلا يلحق بالهرة لأنه مستثنى بالنص.

٣- أن بيع النجس إذا كانت الحاجة داعية إليه ولاستعماله، وكان مما تعم به البلوى، وكان متضمناً لتحصيل مصلحة، وفساده مغموراً بالمصلحة فالراجح جواز بيعه ويتجاوز عن اشتراط طهارة المبيع.

٤- ترتب على شرط الانتفاع بالمبيع اختلاف الفقهاء رحمهم الله تعالى في بيع الكلب فرأى الحنفية جواز بيعه ورأى الجمهور عدم جوازه.

٥- أن كلب الصيد والحراسة إذا كان أسوداً بهيماً فهذا لا يجوز بيعه مطلقاً، وذلك لأنه يختص به أمور، منها:

أ- أنه يقتل بكل حال، لأنه شيطان دون غيره من الكلاب.

ب- أنه لا يجوز اقتناؤه.

ج- أن مروره بين يدي المصلي يقطع الصلاة.

٦- عدم جواز بيع كلب الصيد والحراسة العقور، وذلك لأن مفسدته تربو على مصلحته بما يقوم به من إيذاء للآخرين.

٧- أما بيع كلب الصيد والحراسة - غير العقور والأسود - مما ينتفع به كالكلاب البوليسية في الأمن والكشف عن المجرمين والمخدرات والمتفجرات.

فهذا جائز للحاجة والضرورة فقط، ولما تعم به البلوى، أما في غير الحاجة كمن قصد من البيع المتاجرة فهذا غير جائز ويدخل في النص الذي نهى عن أكل ثمنه.

والله أعلم

الهوامش والإحالات

١- انظر: القواعد الفنية للعمل الشرطي لمكافحة الجريمة، محمد فاروق (٣٦٥).

٢- الحيوان (١٧٨/٢).

٣- سورة المائدة، آية (٤).

٤- تفسير، السعدي (٢٢١/١).

٥- انظر: القواعد الفنية للعمل الشرطي، محمد فاروق (٣٦٨).

٦- المصدر السابق (٣٧١) نقلا عن استخدام الكلاب في كشف المواد المخدرة، مجلة الأمن، سلمان محمد السرتي (١١٧-١١٨).

٧- انظر: القواعد الفنية (٣٧٢).

٨- انظر: القواعد الفنية (٣٧٥).

٩- انظر: الحاوي الكبير (٣٧٩/٥)، ثمار القلوب، الثعالبي (٣٩٧/١)، الحيوان، الجاحظ (١٧٤/٢).

١٠- انظر: فضل الكلاب، على من لبس الثياب، المرزبان (٣٩/١).

١١- انظر: المجموع، النووي (٥٣٤/٢)، الحاوي الكبير، الماوردي (٣٠٥/١)، روضة الطالبين (٣٢/١)، حاشية قليوبي (٧٨/١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٥/٣)، شرح العمدة (٨٥/١)، كشاف القناع (١٨٣/١)، مجموع الفتاوى (٧٠/٢١)، واستحالة النجاسة العينية: كما لو أوقد بالروث فصار رماداً ؛ فإنه يكون طاهراً، وكما لو سقط الكلب في مملحة فصار ملحا. وقد اختلف العلماء - رحمهم الله تعالى - في طهارة النجاسة العينية إذا استحالت على قولين:

القول الأول: ويرى أنها تطهر وهو قول أبي حنيفة وأهل الظاهر وغيرهم.

القول الثاني: أنها لا تطهر وهو قول مالك وأحمد والشافعية. انظر: شرح منتهى الأرادات (١٥٠/١)، مجموع الفتاوى (٤٧٩/٢١) البحر الرائق (١٠٧/١) روضة الطالبين (٢٨/١).

١٢- انظر: الحاوي الكبير (٣٠٥/١)، البحر الرائق (١٠٧/١)، كتب ورسائل ابن تيمية (٤٧٨/٢١)، الاستذكار (١٦٤/١)، التمهيد (٢٧١/١٨).

١٣- أي عند صاحب النوادر والآمالي.

١٤- البحر الرائق (١٠٧/١)، المبسوط، السرخسي (٤٨/١).

١٥- مواهب الجليل (١٧٥/١)، وانظر: نيل الأوطار، الشوكاني، (٤/٩)، نهاية المحتاج (٤٧/١).

١٦- حاشية عميرة (٨٠/١)، شرح الزرقاني على الموطأ (٤٧٥/٤).

١٧- أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، (٢٣٤/١)، حديث (٢٧٩).

١٨- انظر: الخلاصة رقم الحديث (٢٢٤)، وقال ابن حجر: اسناده حسن التلخيص رقم (٣٥).

١٩- أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٤/١)، حديث (٢٧٩) وفي رواية وعفروه الثامنة في التراب، أخرجه مسلم، حديث (٢٨٠).

٢٠- أي حفظ الرواة لها.

٢١- انظر: الفتح ابن حجر حديث رقم (١٧٢).

٢٢- المجموع، النووي (٥٣٤/٢).

٢٣- أخرجه أبو داود في سننه (٢٠/١)، حديث (٤٢)، الدارمي (٢٠٣/١)، حديث (٧٣٦)، موطأ مالك (٢٢/١) حديث (٤٢)، سنن النسائي، المجتبى (٥٥/١) حديث (٦٨)، مسند أحمد (٢٩٦/٥) حديث (٢٢٥٨١)، (٣٠٩/٥)، حديث

(٢٢٦٨٩)، سنن البيهقي الكبرى (٢٤٥/١)، حديث (١٠٩٣)، (٢٤٦/١)، حديث (١٠٩٨)، الترمذي (١٥٣/١)، حديث (٩٢)، مصنف عبد الرزاق (١٠١/١)، حديث (٣٥٥) (٣٥٣)، المنتقى لابن الجارود (٢٦/١)، حديث (٦٠)، المستدرك على الصحيحين، النيسابوري (٢٦٣/١)، حديث (٥٦٧)، صحيح ابن خزيمة (٥٥/١)، حديث (١٠٤)، (١٠٢)، مسند اسحاق بن راهوية (٤٥٨/٢)، حديث (١٠٣٠)، وهذا الحديث مما صححه مالك واحتج به في الموطأ، وله شاهد بإسناد صحيح وقال الترمذي حديث صحيح. انظر: التحقيق في أحاديث الخلاف، ابن الجوزي (٧٩/١)، المحرر في الحديث، ابن قدامة (٨٨/١)، نصب الراية، الزيلعي (١٣٦/١).

٢٤- المعتمد في أصول الفقه (٤٤٨/٢)

٢٥- انظر: فيض القدير (١٤٧/٤) «بتصرف.

٢٦- انظر: شرح الزرقاني (٤٧٥/٤)، فتح الباري (٧/٥)، عمدة القاري (٣٩/٣-٤٣).

٢٧- انظر: المجموع (٥٣٤/٢، ٥٨٦)، المغني (٣٩/١) فتاوى الرملي (١٧٨/١)، مغني المحتاج (٢٧٦/٤).

٢٨- انظر: المحلى، ابن حزم (١٠٩/١-١١١).

٢٩- انظر: مواهب الجليل، الحطاب (٢٥٨/٤، ٢٥٩)، منح الجليل (٤٥٢/٤) بداية المجتهد (٩٥/٢)، شرح الزرقاني (٣٩٤/٤)، التمهيد (٤٢/٩)، المجموع، النووي (٢٢٤/٩) اختلاف الأئمة، ابن هبيرة (٤٠١/١، ٤٠٢)، كشاف القناع (١٥٤/٣)، الشرح الكبير، ابن قدامة (١٣/٤).

٣٠- سورة النساء آية (٢٩).

٣١- انظر: مواهب الجليل (٢٥٨/٤)، الفروق (٣٨٧/٣).

٣٢- اخرجه البخاري في صحيحه (٧٧٩/٢)، حديث (٢١٢١).

٣٣- انظر: مواهب الجليل (٢٥٨/٤)، سبل السلام، الصنعاني (٥/٢)، بداية المجتهد (٩٤/٢)، الحاوي الكبير (٣٨٣/٥).

٣٤- انظر: المصدر نفسه (٢٥٨/٤)، وانظر حول هذا الموضوع، الحاوي الكبير (٣٨٣/٥)، بداية المجتهد (٩٤/٢).

٣٥- انظر: حاشية ابن عابدين (٥٠/٥)، اختلاف الأئمة الفقهاء (٤٠١/١، ٤٠٢)، وانظر: اختلاف العلماء في بيع السرجين.

٣٦- انظر: حاشية ابن عابدين (٥٠/٥)، اختلاف الأئمة الفقهاء (٤٠١/١، ٤٠٢)، التمهيد (١٤٤/٤)، اختلاف العلماء ابن هبيرة (٢٩٩/١)، المجموع، النووي (٢١٨/٩)، الإنصاف، المراودي (٢٨٠/٤).

٣٧- انظر: عمدة القاري (٥٤/٢).

٣٨- انظر: بداية المجتهد (٩٥/٢).

٣٩- انظر: بداية المجتهد (٩٥/٢)، القوانين الفقهية (١٦٣/١).

٤٠- انظر: الكافي (٨/٢).

٤١- زاد المعاد (٧٥٠/٥).

٤٢- الوقيد هو: الحطب، وهو صيغة مبالغة، وهو مستعمل لغةً وقراءةً ويدل على اسم النار نفسها. انظر: لسان العرب ٢١٩/٧.

٤٣- هو الزبل انظر: عون المعبود (٢٢٠/١)، وقيل هو: رجيع ما سوى الإنسان. انظر: درر الحكام شرح غرر الحكام (٢/٤).

٤٤- انظر زاد المعاد (٧٥٠/٥).

٤٥- انظر: المحلى، ابن حزم (١١٨/١).

٤٦- زاد المعاد (٦٦٦/٥)، أعلام الموقعين (٢٥/٢).

٤٧- حاشية ابن عابدين (٥٠٩/٥)، غمز عيون البصائر، الحموي (٥/٤)، درر الحكام، على حيدر (١٠٠/١).
٤٨- الموافقات، الشاطبي (١٧/٢).
٤٩ - الفروق، القرافي (٣٨٣/٣).
٥٠- الأشباه والنظائر، السيوطي (٣٢٧/١).
٥١- انظر: المصدر السابق (٥٠/٥)
٥٢- كشاف القناع ١٥٢/٣).
٥٣- المصدر نفسه (١٥٣/٣).
٥٤- المدخل لدراسة الشريعة، زيدان (١٨٣).
٥٥- انظر: المدخل الفقهي، الزرقا (١١٤/٣).
٥٦- أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٧٣/٥)، حديث (٤٨٤٢).
٥٧- سورة النساء، أية (٢٤).
٥٨- سورة النساء، آية (٤).
٥٩- انظر: التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، الرازي (٣٩/١٠)، تبيين الحقائق، الزيلعي (١٤٦/٢).
٦٠- المصدر نفسه (٣٩/١٠).
٦١- سورة القصص، آية (٢٧).
٦٢- أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٧٢/٥)، حديث (٤٨٣٩).
٦٣- انظر: زاد المعاد (٧٦٧/٥ - ٧٦٨).
٦٤- انظر: زاد المعاد (٧٦٨/٥).
٦٥- انظر: أحكام القرآن، الجصاص (١٣١/٤)، تبيين الحقائق، الزيلعي (١٢٥/٤)؛ مواهب الجليل، الحطاب (٣٢١/٦)؛ شرح الرزقاني (٣٨٥/٣)؛ الاستذكار (١٥١/٤)؛ تفسير القرطبي (٣٠٣/٦)؛ أحكام القرآن، الشافعي (١٢٦/١)، الأم (٢١٣/٧) ؛ المغني ابن قدامة (٤٣/٢).
٦٦- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، (٨٥٨/٢)، حديث رقم (١٢٠٠).
٦٧- شرح النووي على صحيح مسلم (١١٤/٨).
٦٨- تبيين الحقائق (١٢٥/٤).
٦٩- الفواكه الدواني (٣٦٧/١).
٧٠- (٤٣٩/٢).
٧١- انظر: المبسوط (٢٣٥/١١- ٢٣٦)، أحكام القرآن، الجصاص (٣٠٨/٣)، بدائع الصنائع (١٤٣/٥).
٧٢- تبيين الحقائق (١٢٥/٤).
٧٣- المبسوط (٢٣٥/١١).
٧٤- بداية المجتهد (٩٥/٢).
٧٥- (٥١١/١) فقولٌ يرى أن اتخاذه حرام، والقول الآخر يرى أنه مكروه. أنظر: بداية المجتهد (٩٥/٢).
٧٦- المجموع (٢١٤/٩).
٧٧- الشرح الكبير (١٣/٤).
٧٨- الانصاف، المرداوي (٢٨٠/٤).
٧٩- بداية المجتهد (٩٥/٢).
٨٠- أخرجه النسائي « المجتبى» (٣٠٩/٧)، حديث (٤٦٦٨)، سنن الدار قطني (٧٣/٣)، حديث (٢٧٦، ٢٧٧)، سنن

البيهقي الكبرى (٦/٦)، حيث (١٠٧٩٤) وقال النسائي، حديث منكر، وقال مرة ليس بصحيح، وأشار البيهقي وغيره إلى أنه اشتبه على بعض الرواة هذا الاستثناء فظنه من البيع وإنما هو من الاقتناء. انظر: نصب الراية، الزيلعي (٥٣/٤)، جامع العلوم والحكم، (٤١٧/١). الدراية في تخرج أحاديث الهداية، ابن حجر (١٦١/٢).

٨١- انظر: تبيين الحقائق (١٢٦/٤).

٨٢- انظر: المبسوط، السرخسي (٢٣٥/١١).

٨٣- انظر: زاد المعاد (٧٧٠/٥).

٨٤- انظر: المبسوط (٢٣٥/١١)، زاد المعاد (٧٧/٥).

٨٥- المبسوط (٢٣٥/١١).

٨٦- بدائع الصنائع (١٤٣/٥).

٨٧- انظر: المجموع، النووي (٢١٤/٩)، تحفة الأحوذي (٤١٨/٤)، شرح السيوطي لسنن النسائي (١٨٩/٧).

٨٨- انظر: سنن البيهقي (٦/٦)، زاد المعاد (٧٧٠/٥).

٨٩- زاد المعاد (٧٧١/٥).

٩٠- المجموع (٢١٤/٩).

٩١- سنن البيهقي (٦/٦)، المجموع (٢١٤/٩).

٩٢- زاد المعاد (٧٣٣/٥).

٩٣- انظر: العناية شرح الهداية، البابرتي (٤٦٦/٩).

٩٤- انظر: زاد المعاد (٧٧٢/٥)، أضواء البيان (٥٣١/١).

٩٥- المغني، ابن قدامة (١٧٢/٤).

٩٦- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٨٨/٥)، حديث (٥١٦٣).

٩٧- أخرجه البخاري في صحيحه (٧٧٩/٢)، حديث (٢١٢٢).

٩٨- أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٦/٣)، حديث (١٣٤٢١)، والترمذي (١٥٧٤/٣)، حديث (١٢٧٥)، الدارمي (٣٥١/٢)، حديث (٢٦٢١)، ومسند أحمد (٢٧٨/١) حديث (٢٥١٢)، (١٥٨٥٠)، صحيح ابن حبان (٥٥٥/١١) حديث (٥١٥٢)، المستدرك على الصحيحين (٢٥٧/١)، حديث (٥٥٣)، سنن النسائي الكبرى (١١٣/٣)، حديث (٤٦٨٥)، سنن البيهقي (١٩/١)، حديث (٦٢)، ومسند الطيالسي (١٣٠/١)، حديث (٩٦٦)، ومسند أبي يعلي (٤٦٨/٤)، حديث (٢٦٠٠)، وقال الحاكم في مستدركه هذا حديث صحيح على شرط مسلم انظر: مقدمة فتح الباري (١٠٧/١) البدر المنير، ابن الملقن (٤٤٢/٦)، تحفة الأشراف، العسقلاني (٢٨٥/١٠)، ويقصد بحلوان الكاهن: هو ما يعطاه من الأجر والرشوة على كهانته. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤٣٥/١)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، الهروي (٢١٦/١)، غريب الحديث، لابن الجوزي (٢٣٩/١).

٩٩- عون المعبود (٢٠٩/٩)..

١٠٠- أخرجه مسلم في صحيحه (١١٩٩/٣)، حديث (١٥٦٨).

١٠١- شرح النووي على صحيح مسلم (٢٣٢/١٠).

١٠٢- انظر: أضواء البيان (٥٣٠/١).

١٠٣- انظر: شرح فتح القدير (١٢١/٧)، أضواء البيان (٥٢٩/١).

١٠٤- انظر: أضواء البيان (٥٢٩/١)، الأحكام للآمدي (٥٤/٢)، كشف الأسرار (٤٤٩/١) الفصول في الأصول، الجصاص (٢١٤/١)، إرشاد الفحول، الشوكاني (٢٤٨/١)

١٠٥- انظر: التوضيح في حل غموض التنقيح، عبيد الله البخاري (٧٨/١).

١٠٦- انظر: شرح الكوكب المنير، الفتوحي (٢٨٤/٤)، التقرير والتجبير، ابن أمير حاج. (٢٣٣/٣)، أضواء البيان (٥٢٩/١).

١٠٧- بدائع الصنائع (١٩٠/٤).

١٠٨- انظر: عون المعبود (٢٠٩/٩) (بتصرف).

١٠٩- سورة النساء، آية (٢).

١١٠- سورة البقرة، آية (٢٦٧).

١١١- انظر: فيض القدير (٣٣٩/٣).

١١٢- الأسود البهيم: هو الذي لا لون فيه سوى السواد على الصحيح من مذهب الحنابلة، وقيل: هو ما لا بياض فيه، وقيل لا لون فيه غير السواد وإن كان بين عينيه بياض أو نكتتان يخالفان لونه لم يخرج بهما عن اسم البهيم وأحكامه. انظر: الإنصاف، المراودي (١٠٦٩/٢).

١١٣- أخرجه مسلم في باب قدر ما يستر المصلي، حديث (٥١٠).

١١٤- وذلك لأننا أمرنا بقتله لأن اتخاذه معصية. انظر: المحلى، ابن حزم (٤٧٧/٧). وروي عن الحسن أنه كره صيد الكلب الأسود البهيم. انظر: مصنف أبي شيبه (٢٥١/٤) وأمره ﷺ بقتله يقتضي في ذلك القياس أن لا يجوز اصطياده على رأي من رأى أن النهي يدل على فساد المنهي عنه. انظر: بداية المجتهد (٣٣٤/١).

١١٥- أخرجه مسلم في صحيحه ٥٠- باب قدر ما يستر المصلي، حديث (٥١٠). وقد اختلف العلماء - رحمهم الله تعالى - في هذه المسألة على قولين:

(١) ذهب جمهور أهل العلم الحنفية والمالكية والشافعية أن الصلاة لا يقطعها شيء.

(٢) وذهب الإمام أحمد في الرواية المشهورة عنه أنه لا يقطع إلا الكلب الأسود البهيم وقال في قلبي شيء من المرأة والحمار.

انظر: الاستذكار (٨٤/٢)؛ التمهيد (١٦٧/٢١)؛ مسائل الإمام أحمد بن حنبل، رواية ابنه عبد الله (١١٥/١)؛ المغني، ابن قدامة (٤٣/٢)؛ شرح صحيح البخاري، ابن بطال (١٤٢/٢).

١١٦- مجموع الفتاوى (٣٣٩/٣).

ثبت المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أحكام القرآن، اسم المؤلف: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبوبكر، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥

٣. الإحكام في أصول الأحكام، علي الآمدي، الطبعة الأولى تحقيق: د. سيد الجميلي، دار النشر: دار الكتاب العربي، بيروت عام ١٤٠٤هـ.

٤. اختلاف الأئمة العلماء، الوزير أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة، تحقيق السيد يوسف أحمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٣ هـ.

٥. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد علي الشوكاني، تحقيق محمد سعيد البدري، الطبعة الأولى، دار النشر: دار الفكر بيروت، عام ١٤١٢هـ.

٦. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، اسم المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض. الطبعة الأولى، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م.

٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، اسم المؤلف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، د تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين، اسم المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد دار النشر: دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣م.

٩. الأم، محمد بن اديس الشافعي، الطبعة الثانية، دار النشر: دار المعرفة، بيروت عام ١٣٩٣هـ.

١٠. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، اسم المؤلف: علي بن سليمان المرداوي أبو الحسن، تحقيق: محمد حامد الفقي دار النشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

١١. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، اسم المؤلف: زين الدين ابن نجيم الحنفي، الطبعة الثانية، دار النشر: دار المعرفة - بيروت.

١٢. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، اسم المؤلف: علاء الدين الكاساني، دار النشر: دار الكتاب العربي، بيروت - ١٩٨٢، الطبعة الثانية.

١٣. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي أبو الوليد، دار النشر: دار الفكر، بيروت.
١٤. البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير الرافعي، عمر علي بن الملقن، تحقيق حمدي عبدالحميد السلفي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، االرياض، ١٤١٠ هـ
١٥. تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، اسم المؤلف: فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، دار النشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٣١٣هـ.
١٦. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، اسم المؤلف: محمد عبد الرحيم المباركفوري أبو العلاء، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٧. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، الحافظ المزي، تحقيق عبدالصمد شرف الدين، زهير الشاويش، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣ هـ .
١٨. التحقيق في أحاديث الخلاف، عبدالرحمن على محمد الجوزي، تحقيق مسعد السعدني، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥ هـ.
١٩. التقرير والتحبير في علم الأصول، اسم المؤلف: ابن أمير الحاج، دار النشر: دار الفكر، بيروت ١٤١٧هـ.
٢٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، اسم المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، دار النشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧.
٢١. التوضيح في حل غموض التنقيح، عبيد الله مسعود البخاري، تحقيق زكريا عميرات، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤١٦هـ.
٢٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق ابن عثيمين. دار النشر: الرسالة، عام ١٤٢١هـ.
٢٣. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبي منصور عبدالملك محمد إسماعيل الثعالبي دار المعارف القاهرة .
٢٤. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، اسم المؤلف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، الطبعة: السابعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
٢٥. الجامع لأحكام القرآن، اسم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب، القاهرة.

٢٦. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، اسم المؤلف: علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، الطبعة الأولى دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٢٧. الحيوان، عمر الجاحظ، تحقيق: عبد= السلام هارون. دار النشر: دار الجيل، بروت عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٨. خلاصة الأحكام، يحيى بن مري حسن الحزامي، مؤسسة الرسالة بيروت، عام ١٩٩٧ م .
٢٩. الدر المختار، اسم المؤلف: ابن الحصكفي، الطبعة الثانية، دار النشر: دار الفكر، بيروت ١٣٨٦.
٣٠. الدراية في تخريج أحاديث الهداية، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل، بيروت، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني دار النشر: دار المعرفة .
٣١. درر الحكام شرح مجلة الأحكام، علي حيدر ،تحقيق المحامي فهمي الحسيني دار الكتب العلمية بيروت.
٣٢. روضة الطالبين وعمدة المفتيين، اسم المؤلف: النووي، الطبعة الثانية، دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥ت.
٣٣. زاد المعاد في هدي خير العباد، اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط. الطبعة الرابعة عشرة دار النشر: مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت ١٤٠٧-١٩٨٦.
٣٤. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد أحمد الأزهر ي، تحقيق د. جبر محمد الألفي، الطبعة الأولى، وزارة الشوؤن الإسلامية الكويت ١٣٩٩ هـ .
٣٥. سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، محمد إسماعيل الصنعاني، تحقيق محمد عبدالعزيز الخولي، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٩ هـ
٣٦. سنن ابن ماجه، اسم المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار النشر: دار الفكر، بيروت.
٣٧. سنن أبي داود، اسم المؤلف: سليمان بن الأش تحقيق أحمد شاكر وآخرون عث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد دار النشر: دار الفكر بيروت.
٣٨. سنن البيهقي الكبرى، اسم المؤلف: أحد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا دار النشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤-١٩٩٤.
٣٩. سنن الترمذي، محمد عيسى الترمذي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٠. سنن الدارقطني، اسم المؤلف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني دار النشر: دار المعرفة، بيروت ١٣٨٦-١٩٦٦.
٤١. سنن الدارمي، اسم المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، الطبعة الأولى دار النشر: دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧.
٤٢. السنن الكبرى، اسم المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي،، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن الطبعة الأولى دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١-١٩٩١.
٤٣. شرح الزرقاني على موطأ مالك، محمد عبد الباقي الزرقاني، الطبعة الأولى، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت عام ١٤١١هـ.
٤٤. شرح السيوطي لسنن النسائي، السيوطي، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة ،مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦ هـ .
٤٥. شرح العمدة في الفقه، اسم المؤلف: أحمد بن عمر الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس،، تحقيق: د. سعود صالح العطيشان الطبعة الأولى دار النشر: مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٣.
٤٦. الشرح الكبير لابن قدامة، اسم المؤلف: ابن قدامة المقدسي، عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: ٦٨٢هـ)، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، عام ١٩٨٤م.
٤٧. شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه، محمد الفتوحي، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد، الطبعة الثانية، دار النشر: جامعة أم القرى- معهد البحوث العلمية، عام ١٤١٣هـ.
٤٨. شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن بطال القرطبي، تحقيق أبو تميم ياسر إبراهيم، الطبعة الثانية، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٢٣ هـ.
٤٩. شرح فتح القدير، اسم المؤلف: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السواسي، الطبعة الثانية، دار النشر: دار الفكر، بيروت.
٥٠. شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولى النهى، منصور يونس البهوتي، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.
٥١. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد حبان التميمي، الطبعة الثانية، دار النشر: الرسالة، بيروت عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٥٢. صحيح ابن خزيمة، اسم المؤلف: محمد بن اسحاق ابن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محد مصطفى الأعظمي دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٠-١٩٧٠.

٥٣. صحيح مسلم بشرح النووي، اسم المؤلف: أبو زكريا يحي بن شرف بن مري النووي، الطبعة الثانية دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٢.
٥٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، اسم المؤلف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٥. العناية شرح الهداية، اسم المؤلف: محمد بن محمد البابرتي (المتوفى: ٧٨٦هـ)، دار النشر:
٥٦. عون المعبود شرح سنن أبي داود، اسم المؤلف: محمد شمس الحق العظيم أبادي، الطبعة الثانية، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥.
٥٧. غريب الحديث، عبدالرحمن محمد بن الجوزي، تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت عام ١٤٠٥ هـ .
٥٨. غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر، لزين العابدين ابن نجيم المصري، أبو العباس شهاب الدين أحمد محمد الحموي الحنفي، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥ هـ.
٥٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد على حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
٦٠. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق يوسف النبهاني، الطبعة الأولى ، دار الفكر بيروت ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣ م .
٦١. الفروق، اسم المؤلف: أسعد بن محمد بن الحسين النيسابوري الكرابيسي، تحقيق: د. محمد طموم، الطبعة الأولى دار النشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٢هـ.
٦٢. الفصول في الأصول، أحمد الرازي الجصاص، تحقيق عجيل النشمي، الطبعة الأولى، دار النشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، عام ١٤٠٥هـ.
٦٣. فضل الكلاب على ممن لبس الثياب، محمد خلف المرزبان، تحقيق إبراهيم يوسف، دار الكتب المصرية ..
٦٤. الفواكه الدواني على رسالة أبن أبي زيد القيرواني، اسم المؤلف: أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي، دار النشر: دار الفكر، بيروت ١٤١٥.
٦٥. الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، اسم المؤلف: حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر التميمي الحنبلي (المتوفى: ١٢٢٥هـ)، دار النشر: بدون.
٦٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير، اسم المؤلف: عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الأولى، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٥٦.

٦٧. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً سعدي أبو جيب الطبعة الأولى، دار النشر: دار الفكر دمشق، عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٦٨. القواعد الفنية للعمل الشرطي لمكافحة الجريمة، محمد فاروق كامل، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعي، العين عام ١٤٢٥هـ.
٦٩. الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، عبد الله بن قدامة المقدسي، دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت.
٧٠. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية، أحمد عبدالحليم الحراني، تحقيق عبدالرحمن بن قاسم النجدي، الطبعة الثانية مكتبة ابن تيمية.
٧١. كشاف القناع عن متن الإقناع، اسم المؤلف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي،، تحقيق: هلال مصيلحي ومصطفى هلال دار النشر: دار الفكر، بيروت ١٤٠٢هـ.
٧٢. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزودي، اسم المؤلف: علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري ،، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٧٣. لسان العرب، اسم المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى، دار صادر - بيروت .
٧٤. المبسوط، شمس الدين السرخسي، دار النشر: دار المعرفة بيروت.
٧٥. المجموع، اسم المؤلف: النووي، دار النشر: دار الفكر، بيروت١٩٩٧م.
٧٦. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز ابن باز، الطبعة الثانية، جمع د. الشويعر. القصيم: دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.
٧٧. المحرر في الحديث، محمد أحمد عبدالهادي بن قدامة المقدسي، تحقيق: د. يوسف المرعشلي وآخرون دار المعرفة الطبعة الثالثة لبنان بيروت ١٤٢١ هـ
٧٨. المحلى، اسم المؤلف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي دار النشر: دار الآفاق الجديدة.
٧٩. المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقا. الطبعة العاشرة، دار النشر: دار الفكر، دمشق، مطبعة طربين، عام ١٣٨٧هـ.
٨٠. المدخل لدراسة الشريعة، اسم المؤلف: عبد الكريم زيدان، الطبعة الرابعة عشر، دار الرسالة: بيروت عام ١٤١٧هـ.
٨١. مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبدالله، لعبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق:

زهير الشاويش، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، عام ١٤٠١ هـ.
٨٢. المستدرك على الصحيحين، محمد عبد الله النيسابوري، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى عطا، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤١١هـ.
٨٣. مسند أبي داود الطيالسي، اسم المؤلف: سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، دار النشر: دار المعرفة، بيروت.
٨٤. مسند أبي يعلي، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد الطبعة ا لأولى، دار النشر: دار المأمون للتراث، دمشق ١٤٠٤-١٩٨٤م.
٨٥. مسند إسحاق بن راهويه، اسم المؤلف: اسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، الطبعة الأولى، دار النشر: مكتبة الإيمان المدينة المنورة ١٤١٢-١٩٩١
٨٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، اسم المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مؤسسة قرطبة، مصر، دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠١- ١٩٨١.
٨٧. المسند، اسم المؤلف: عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميد تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار النشر: دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة
٨٨. مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق الصنعاني، الطبعة الثانية، تحقيق: حبيب الأعظمي، دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت، عام ١٤٠٣هـ.
٨٩. المعتمد في أصول الفقه، محمد علي البصري، الطبعة الأولى، تحقيق خليل الميس، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت، عام ١٤٠٣هـ.
٩٠. مغني المحتاج إلي معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني دار الفكر بيروت.
٩١. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، اسم المؤلف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، الطبعة الأولى، دار النشر: دار الفكر، بيروت ١٩٨٤.
٩٢. مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد الرازي، الطبعة الأولى، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤٢١هـ.
٩٣. المنتقى من السنن المسندة، اسم المؤلف: عبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري، تحقيق عبد الله عمر البارودي الطبعة الأولى، دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٨-١٩٨٨..
٩٤. منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد عليش، دار النشر: دار الفكر، بيروت عام ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٩٥. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، محمد عبد الرحمن الحطاب، الطبعة الثانية، دار النشر: دار الفكر، بيروت عام ١٣٩٨هـ.
٩٦. موطأ الإمام مالك، اسم المؤلف: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار النشر: دار إحياء التراث العربي.
٩٧. نصب الراية لأحاديث الهداية، عبدالله يوسف الزيلعي، تحقيق، محمد يوسف البنوري، دار الحديث مصر، ١٣٥٧ هـ .
٩٨. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي دارالفكر للطباعة بيروت ١٤٠٤ هـ.
٩٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبوالسعادات المبارك الجزري، تحقيق طاهر الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت ١٣٩٩ هـ .
١٠٠. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار شرح منتقى الأخبار، محمد علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣ م.

٤

اللغة العربية وآدابها

جامعة الطائف

التنافي في اللغة العربية
قواعده ومظاهره وأسراره
(دراسة نحويّة صرفيّة)

د . محمد بن حمَّاد بن ساعد القرشي

أستاذ مساعد - معهد اللغة العربية - جامعة أم القرى

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (اللغة العربية وآدابها)
المجلد الأول - العدد الثالث - جمادى الآخرة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الملخص

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد

فهذا بحث عن (التنافي في اللغة العربية.قواعده ومظاهره وأسراره) يتألف من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

فالمقدمة اشتملت على تعريف التنافي ودوافع الكتابة فيه وأهميته.

والمباحث الثلاثة جاءت على النحو التالي:

المبحث الأول: (تنافي التضاد) ويُقصد به أن يكون بين العنصرين المتنافيين تضاد في الوظيفة أيًّا كان نوعه فإذا حلَّ أحد العنصرين على الكلمة امتنع الآخر.

المبحث الثاني: (تنافي الوفاق) ويُقصد به أن يكون بين العنصرين المتنافيين وفاق في الوظيفة، إذ يؤدي كلٌّ منهما الوظيفةَ نفسَها التي يؤديها الآخر فيستغني بواحد منهما عن الآخر.

المبحث الثالث: (تنافي الاختصاص) ويشيع في الأدوات، فإذا اختصت الأداة بمدخول معين فإنها تتنافى مع ماعداه وقد اشتمل كلٌّ مبحث من هذه المباحث الثلاثة على مجموعة من قواعد التنافي مع ذكر مظاهره وعِلَله وأسراره.

والخاتمة سجلتُ فيها أهم نتائج البحث ومنها.

- جمع قدر كاف من قواعد التنافي ومظاهره وأسراره التي نثرها العلماء في بطون كتب التراث بين دفتي هذا البحث.
- تعدد العلل الموجبة للتنافي في المسألة الواحدة من وجهة نظر النحاة واللغويين تمشيًا مع الأصل العام عندهم وهو (أن العلل لا تتزاحم).
- أرجعتِ الدراسةُ عِلَلَ التنافي بعد إنعام النظر في علل النحاة المتشعبة إلى ثلاث علل رئيسة (التضاد) و (الوفاق) و (الاختصاص) وبُنِيَت مباحثُ الدراسة على هذه العلل الثلاث .
- أهمية دراسة التنافي فهو يمثل الجانب السلبي لقرينه التضام في النحو .

المقدمة

الحمدُ للّه ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين سيدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ومَنْ سار على نهجهم إلى يوم الدين وبعد:

فإنَّ المتأمل في ألفاظ اللغة وتراكيبها يجد أنّه يعتريها ما يعتري أصحابها من الائتلاف والاختلاف، فمن النَّاس مَنْ ترتاح له النفس وينشرح له الصدر، وتألفُه ويألفُكَ، وتختلطُ به ويختلطُ بك، حتى لتشعر من عظيم هذا الإلف أنَّ نفسيكما غدت نفسًا واحدةً. وثَمَّ من النَّاس مَنْ لا ترتاح له النفس ولا ينشرح له الصدر، بل منهم مَنْ تنفر منه ويسوؤك رؤيته وتستثقله، وكأنَّ بينك وبينه ترَةً وثأرًا. وقد جاء في الحديث الصحيح: (الأرواحُ جنودٌ مُجنَّدة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف).

وكذلك ألفاظ اللغة وتراكيبها منها ما يأتلف مع غيره من الألفاظ فتجد اللفظةَ تأنس بالأخرى وتتآخى معها، بل تلازمها أحيانًا ولا تكاد تُرى وحدَها، كتلازم الجار والمجرور، والعاطف والمعطوف، والموصول وجملة الصلة، والمضاف والمضاف إليه ... وثَمَّ من ألفاظ اللغة وتراكيبها ما يختلف مع غيره ويتنافى معه ويتضادّ ولا يجتمع معه أبدا. كتنافي (أَلْ) والتنوين، و(يا) النّداء و(أَلْ)، والعوض والمعوض منه .... وهذا البحث سيتتبع هذا النوع الأخير من الألفاظ والتراكيب المتنافية وقد عنونتهُ بـ (التَّنافي في العربية، قواعده ومظاهره وأسراره).

وعلى الرّغم من شيوع مصطلح التَّنَافي عند النّحاة وذكرِهم قواعدَه وأسرارَه لم أجد –فيما اطلعتُ– تعريفًا له عندهم. ورجعتُ إلى المعاجم العربية للوقوف على معنى (التَّنافي) في اللغة فوجدتُ أنَّ مادة (نَفَي) وسائر الصيغ المشتقّة والمتفرعة منها يَجْمَعُ بينها معنى عامٌّ مشترك وهو: الطّردُ والإبعاد. وقد ذكر ذلك ابن فارس في معجمه حين قال: ((النون والفاء والحرف المعتلّ أُصَيلٌ يدلّ على تعرية شيء من شيء وإبعاده منه. ونَفَيتُ الشيءَ أنفيه نفيا، وانتفى هو انتفاءً، والنُّفَايَةُ: الرَّديُّ يُنْفَى. ونَفيُّ الرِّيح: ما تنفيه من التُّراب حتى يصير في أصول الحيطان. ونَفيُّ المطرِ: ما تنفيه الرِّيح أو ترشُّه. ونَفيُّ الماءِ: ما تطاير من الرِّشاء على ظهر المائح...))[1].

وقال الجوهريُّ: ((نَفَاه: طَرَده، تقول: نَفَيْتُه فانْتَفَى ونَفَى هو أيضا، يتعدّى ولا يتعدّى... وتقول: هذا يُنَافي ذاك، وهما يتنافيان. والنِّفْوَةُ بالكسر والنِّفْيَةُ أيضا: كلُّ ما نَفَيْتَ. والنُّفَايَةُ بالضم: ما نَفَيْتَهُ من الشيء لرداءته...))[2].

ووقفتُ على تعريف لمصطلح (التنافي) عند الشريف الجرجاني في كتابه (التعريفات) قال فيه: ((التّنافي: هو اجتماع الشيئين في واحدٍ في زمان واحد، كما بين السَّواد والبياض، والوجود والعدم))[3].

ووقفتُ أيضا على تعريف آخر لأبي البقاء الكفويّ قال فيه: ((التّنافي: هو يكون باعتبار اتّحاد المحلّ مع اختلاف الحال، سواء كان بطريق المضادّة، كالحركة مع السكون، أو بطريق المخالفة كالقيام مع القعود))[٤].

وهذا التّعريفان أقربُ إلى تعريف التنافي في الطبيعة، وأَخَصُّ منهما تعريف أستاذنا الدكتور: تمام حسان، فقد عرَّف التنافي بأنه علاقة عناديّة بين عنصرين لغويين إذا تحقق أحدهما امتنع الآخر[٥].

أمَّا ما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع فأمور منها:

١- لم أر أحدًا – فيما أعلم- أفرد هذه الظاهرة بدراسة مستقلة، وما ذكره النُّحاة من قواعد التنافي ومظاهره وأسراره جاء مفرَّقًا على أبواب النَّحو والصَّرف كلِّها، فأردتُ أن أجمع ما وقفتُ عليه من ذلك بين دفتي هذا البحث.

٢- أهمية التنافي فهو يمثِّل الجانب السَّلبي لقرينة التّضام، والمقصود بالتّضام علاقة اللفظ باللفظ داخل التركيب، وهذه العلاقة إمّا أن تكون علاقة تلازم أو علاقة تنافي كما ذكر أستاذنا الدكتور تمام حسان حين عرَّف التّضام بقوله ((أَنْ يستلزم أحدُ العنصرين التحليليين النحويين عنصرًا آخر فيُسمَّى التّضام هنا (التلازم)، أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويُسمَّى هذا التنافي))[٦].

ويقول في موضع آخر عن أهمية التنافي: ((التنافي قرينة سلبية على المعنى يمكن بواسطتها أَنْ نستبعد من المعنى أحد المتنافيين عند وجود الآخر. فإذا وجدنا (أَلْ) استبعدنا معنى الإضافة المحضة، وإذا وجدنا التنوين استبعدنا معنى الإضافة بقسميها، وإذا وجدنا المضمر استبعدنا نعته...))[٧] وهكذا يكون التنافي قرينة سلبية ينتفي بها أحد المعنيين لوجود الآخر.

٣- شيوع أخطاء التنافي لدى دارسي العربية من الناطقين بغيرها كإدخالهم (أل) على المضاف إضافة محضة، وتنوين المضاف، وإضافة الصفة إلى الموصوف، وإضافة الموصوف إلى الصفة ... وغيرها.

وقد كشفت الدّراسة التي أجرتها وحدةُ البحوث والمناهج في معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وكان عنوانها: (الأخطاء اللغويّة التحريرية لطلاب المستوى المتقدم بالمعهد) (٨) عن شيوع تلك الأخطاء لدى تلك الفئة من الدارسين. وأرجو أن يسهم هذا البحث في علاج تلك الأخطاء.

وقد اتبعتُ في بحثي هذا المنهج الاستقرائيَّ الوصفيَّ، فجمعتُ ما نثره النُّحاة واللغويون في مؤلفاتهم من قواعد التَّنافي ومظاهره ولا أزعم أنني استقصيتُ كلَّ ما قيلَ عن التَّنافي؛ لأن وقت

البحث وحجمه لا يتسعان لمثل هذا الاستقصاء، وحسبي أنني أبرزتُ هذه الظاهرةَ ووضعتُها في مكانها اللائق.

وأطلتُ الوقوف عند أسرار التّنافي وعِلَله، وهي كثيرة ولا تكاد تخلو مسألة من مسائل التّنافي من ذكرِ علّةٍ له، بل إن النُّحاة واللغويين يعللون أحيانًا للتّنافي في المسألة الواحدة بعلّتين أو أكثر، انطلاقًا من الأصل العام لديهم أنَّ العِلَلَ لا تتزاحم. ولكني حين أنعمت النَّظر في تلك العِلَلِ وجدتُها ترجع إلى ثلاث عِلَلٍ رئيسة وهي:

١- التّضاد بين المتنافيين، أي أنَّ كلاًّ منهما يؤدي وظيفة لغويةً أو نحويَّةً أو صوتيةً أو غيرها مضادّة لوظيفة الآخر.

٢- الوِفاق بين المتنافيين، إذ يؤدي كلٌّ منهما الوظيفةَ نفسَها التي يؤديها الآخر، فيُستغنى بأحدهما عن الآخر.

٣- الاختصاص، ويشيع في الأدوات فإذا كانت الأداة خاصة بمدخول معيَّن فإنها تتنافى مع ما عداه.

وأدرتُ البحث على هذه العلل الثلاث، فجاء في ثلاثة مباحث على النّحو التالي:

المبحث الأول: وعنوانه ((تنافي التَّضاد)).

المبحث الثاني: وعنوانه ((تنافي الوِفاق)).

المبحث الثالث: وعنوانه ((تنافي الاختصاص)).

ويتلو هذه المباحث خاتمة سجلت فيها أهم نتائج البحث.

وأودّ أَنْ أنبّه في هذه المقدمة إلى أنني استبعدت من هذا البحث التّنافي المعجميّ وهو ((يَرْجِعُ إلى أَنّ مفرداتِ المعجم تنتظمُ في طوائفَ يتواردُ بعضها مع بعض ويتنافرُ مع بعض آخر. فالأفعال طوائف تتواردُ كلُّ طائفة منها مع طائفة من الأسماء وتتنافر مع الأسماء الأخرى...

فمن غير المقبول أَنْ يُقال: ((فَهِمَ الحجرُ المسألةَ))؛ لأنَّ الفعل (فَهِم) يتطلب فاعلاً عاقلا، ولا أَنْ يُقال: ((انكسر الخيطُ))؛ لأن في الخيط من المرونة ما يحول بينه وبين الوصف بالكسر، ولا أَنْ يُقال: ((دهنتُ الهواءَ بزيد))؛ لأن الهواء لا يُدهن، وليس زيدٌ دِهانا...))[٩].

فما كان من التّنافي في هذه الأمثلة وما شاكلها أخرجتهُ من دائرة هذا البحث؛ لأنه أدخل في جانب المعجم وعسى أَنْ يقوم به بحث آخر.

وفي ختام هذه المقدمة أسأل الله التوفيق والسداد وأَنْ يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأَنْ ينفع به دارسي العربية سواء أكانوا من أهلها أم من الناطقين بغيرها.

المبحث الأول

تنافي التضاد

والمراد به في هذا البحث أن يكون بين العنصرين المتنافيين تضاد وتعاد أيًّا كان نوعه، بحيث لا يمكن معه الجمع بينهما، فإذا حَلَّ أحد العنصرين على الكلمة امتنع الآخر.

وقد أشار ابن جني إلى أَنَّ التّضاد في هذه اللغة جارٍ مجرى التّضاد عند أهل الكلام، فإذا ترادف الضّدان في شيء منها كان الحكم للطارئ ويزول الأول.

وسأعجل هنا بذكر مثالٍ لهذا النوع من التّنافي ذكره ابن جني في هذا المقام، وهو أَنَّ (لام التّعريف) إذا دخلت على المنوّن يُحذفُ لها تنوينُه؛ لأن اللاّم للتعريف، والتنوين للتنكير، فلمَّا ترادفا على الكلمة تضادّا فكان الحكم للطارئ وهو اللام[١٠].

وعقّب على هذا النوع من التّضاد في اللغة وربط بينه وبين التّضاد في الطبيعة قال: "وهذا جارٍ مجرى الضّدين المترادفين على المحل الواحد، كالأبيض يطرأ عليه السّواد، والساكن تطرأ عليه الحركة"[١١].

وبعد هذه المقدمة ننتقل إلى قواعدَ ومظاهرَ وأسرارِ هذا النوعِ من التنافي.

((التنافي بين "أَلْ" التعريف والتنوين))

((أَلْ)) حرف تعريف وهي علامة من علامات الاسم، واختلف فيها، فذهب الخليل بن أحمد[١٢]، وابن كيسان[١٣] إلى أَنَّ (أَلْ) بكمالها هي المعرِّف وهي بمنزلة (قد، وهَلْ) ثنائية اللفظ. وذهب الجمهور[١٤] إلى أن (اللام) وحدها هي المعرِّف، والهمزة وصل اجتلبت للابتداء بالساكن. وقد أشار ابن مالك في (الخلاصة) إلى هذين الرأيين:

قال:

أَلْ حرفُ تعريف أو اللاَّمُ فَقَطْ فَنَمطٌ عَرَّفْتَ قُلْ فيه: النَّمَطْ

والتنوين ((نون ساكنة زائدة تلحق الآخر لفظًا ووصلاً، لا خطًّا ووقفًا))[١٥]. وهو من خواصّ الاسم.

ولا يجوز أَنْ يُجمع بين هاتين العلامتين في الاسم، فإذا أدخلتَ (أَلْ) على الاسم المنوّن حذفتَ تنوينَه، وقد ذكر ابن جني علة التنافي بين هاتين العلامتين ذلك أَنَّ (أَلْ) للتعريف والتنوين للتنكير فتضادا، إذ لا يجتمع على الاسم تعريف وتنكير في وقت واحد، قال: ((لام التعريف إذا دخلت على المنوّن حُذِفَ لها تنوينه. كرجلٍ، والرجل، وغلام والغلام، ذلك أن اللام للتعريف، والتنوين من دلائل التنكير، فلمّا ترادفا على الكلمة تضادا، فكان الحكم لطارئهما وهو اللام))[١٦].

وقد يعترض معترضٌ على قول ابن جني: ((إن التنوين دليل التنكير)) بدخول التنوين على الأعلام وهي معارف. وقد فطن ابن جني لمثل هذا الاعتراض وأجاب عنه قال: ((فإذا كان الأمر كذلك: (أي: إذا كان التنوين دليلَ التنكير) فما بالهم نوَّنوا الأعلام كزيد وبكر؟

قيل: جاز ذلك؛ لأنها ضارعت بألفاظها النكرات؛ إذ كان تعرّفها معنويًّا لا لفظيًّا؛ لأنه لا لام تعريف فيها ولا إضافة))[١٧].

واحتاط الرّضيّ حين ذكر علة التنافي بين أَلْ والتنوين قال: ((وإنّما يسقط التنوين مع لام التعريف لاستكراه اجتماع حرف التعريف مع حرف يكون في بعض المواضع علامة للتنكير)[١٨].

فاحتاط بقوله: (في بعض المواضع) من التنوين اللاحق للأعلام.

((التنافي بين التنوين والإضافة))

التنوين والإضافة كلاهما دليلان على اسمية الكلمة، ولا يجتمعان على الاسم، تقول: (جاءني غلامٌ) بالتنوين، فإذا أضفتَ حذفتَ التنوين من (غلام) وقُلتَ: (جاءني غلامُ زيدٍ)، وكذلك تحذفُ من المضاف النّونَ التي تلي الإعراب، كنون المثنى وجمع المذكر السالم وما أُلحق بهما، تقول: ((هذان غلاما زيدٍ، وهؤلاء ضاربو عمرٍو، وهؤلاء بنو تميم)) . وقد أشار ابن مالك إلى هذه القاعدة في (الخُلاصة) قال:

نونًا تلي الإعـرابَ أو تنوينـا ممّا تُضيفُ احذف كطورِ سينَا

وقد علّلَ النُّحاة للتنافي بين التنوين والإضافة بثلاث علل:

الأولى: أن التنوين دليل التنكير، والإضافة موضوعة للتعريف أو التخصيص، فلو جوّزنا الجمع بينهما لأدّى ذلك أَنْ يجمع بين علامة تنكير وعلامة تعريف في كلمة واحدة، وهما ضدان لا يجتمعان. ذكر هذه العلةَ ابنُ جني[١٩] وابنُ الأنباري[٢٠].

الثانية: أَنَّ التنوين مؤذن بتمام الاسم وكماله، ويدلّ على الانفصال والإضافةُ مؤذنةٌ بالاتّصال؛ لأن المضاف على غاية الحاجة إلى المضاف إليه من بعده، ولو ألحقناه التنوينَ المؤذن بالانفصال لجمعنا بين الضّدين.

ذكر هذه العلةَ كثيرون منهم: الزّجاجي[٢١]، وابن جني[٢٢]، وابن الأنباري[٢٣]، والرَّضي[٢٤]، وابن هشام[٢٥]، والشاطبي[٢٦]، وخالد الأزهري[٢٧].

الثالثة: أَنَّ التنوين زيادة في الاسم، وكذلك الإضافة فلا يحتمل الاسم زيادتين.

ذكر هذه العلة المبردُ[٢٨]، ولا أعلم أحداً تبعه فيها.

((التنافي بين الجمع والتثنية))

القياس يأبى تثنية الجمع، فلا يُقال في نحو ((رِجَال)) ((رِجالان)). وعِلَّة التنافي بين الجمع والتثنية ذكرها ابن يعيش قال: ((الغرض من الجمع الدلالة على الكثرة، والتثنية تدلّ على القلة فهما معنيان متدافعان ولا يجوز اجتماعهما في كلمة))[٢٩]؛ لأنَّ مدلوليهما متضادان.

ثم ذكر ابن يعيش أنه جاء شيء من ذلك عن العرب، وأنه على تأويل الإفراد فقالوا: إبِلان، وغَنَمان، وجِمَالان، ذهبوا بذلك إلى القطيع الواحد وضموا إليه مثله فثنّوه[٣٠].

وذكر البغداديُّ أنَّ المراد من تثنية الجمع تضعيفه بجعله مثلين من نوعين فلا تدافع بين التثنية والجمع إلاَّ إذا توجَّها إلى مفرد[٣١].

والزمخشريّ[٣٢] قبلهما ذكر أنه قد يُثَنَّى الجمع على تأويل الجماعتين والفرقتين واستشهد بقول الشاعر:

لنَا إبِلانِ فيهما مَا علمتُمُ فَعَنْ أيِّها ما شِئْتُمُ فتنكَبُوا[٣٣]

ومنه الحديث: (مَثَلُ المنافقِ كالشَّاةِ العَائرةِ بين الغَنَمَين)[٣٤].

وقول الشاعر:

لأصبح الحيّ أوباداً ولم يجدوا عند التفرق في الهيجا جِمَالين[٣٥]

وقول أبي النجم: * بين رِمَاحَي مالكٍ ونَهْشَلِ *[٣٦].

وقيَّد الرضيُّ[٣٧] جواز التثنية باسم الجمع والجمع المكَسّر كما جاء في الشواهد المتقدمة. احترازاً من الجمع المصحَّح فلا يُثَنَّى؛ لئلا يجتمع فيه إعرابان بالحروف.

((تنافي جمع العَلَم المختوم بالتاء جمع مذكر سالما))

اشترط النّحاة[٣٨] في جمع العَلَم جمع مذكر سالما شروطًا. أحدها:

الخلو من تاء التأنيث، فلا يُجمع هذا الجمع من الأعلام نحو (طلحة)[٣٩] فلا يُقال فيه (طلحتون)؛ لئلا يجتمع فيه علامتان متضادتان: التاء علامة التأنيث، والواو والنون علامة التذكير. ولو حُذِفَت التّاء وقيل (طلحون) لالتبس بالمجرد منها.

قال المبرد: ((فأمّا (طلحة) فلو قُلتَ في جمعها (طَلْحتون) للزمك أَنْ تكون أنّثته وذكَّرته في حال، وهذا هو المحال))[٤٠].

ومن أجل تنافي اجتماع علامتي التأنيث والتذكير في جمع (طلحة) ونحوه عدلت العربُ عن جمعه بالواو والنون إلى جمعه بالألف والتَّاء فقالوا في جمعه (طَلَحَات)، ومنه قول عبيد الله بن قيس الرّقيّات:

رحم الله أعظمًا دفنوها بسجستان طَلْحة الطّلَحاتِ[٤١]

((التَّنافي بين أفعال الشروع وأَنْ المصدرية))

أفعال الشروع: ((جعل، وطفق، وأخذ، وعلق، وأنشأ))[٤٢] لا يقترن خبرها بأَنْ المصدرية، بل يجب تجرده عنها، وقد أشار ابن مالك إلى هذه القاعدة في (ألفيته) حين قال:

* وترْكُ أَنْ مع ذي الشروع وجبا *

فتقول: (أنشأ السائق يحدو – وطفق زيد يدعو – وأخذ الخطيب يتكلم)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾[٤٣].

ولا يجوز أَنْ تقول: (أنشأ السائق أَنْ يحدو) وكذا الباقي.

وعلّة[٤٤] المنافاة بين أَنْ وأفعال الشروع كون أَنْ تقتضي الاستقبال، وأفعال الشروع تدل على البدء في الفعل والأخذ فيه. فدلالةُ كلٍّ منهما مضادّة للآخر. ومن أجل ذلك تنافيا فلا يمكن الجمع بينهما.

((التنافي بين حذف المفعول والحصر))

المفعول به فضلة يجوز حذفه إذا دلَّ عليه دليل، وقد جاء حذفه في أكثر من موضع من قصة موسى عليه السَّلام في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾[٤٥].

ويمتنع حذف المفعول به إذا كان محصوراً نحو: (إنما ضربتُ زيدًا) فلا يقال فيه: إنما ضربتُ، قيل: لأن الحذف ينافي الحصر[٤٦]. وعلّة التنافي بينهما تضادّ مدلوليهما؛ إذ الحصر في المفعول الغرض منه إيقاع الفعل على مفعول مُعيَّن دون غيره وهو يتطلب ذكر المفعول. والحذف يتنافى مع هذا الغرض ويتضادّ.

((التَّنافي بين توكيد العامل وحذفه))

يقع المصدر مؤكِّدا لعامله أو مبيِّنًا لنوعه أو مبيِّنًا لعدده، وقد اتفقت كلمة النّحاة[٤٧] على جواز حذف عامل المصدر المبيِّن للنوع أو العدد، كقولك لِمَنْ قدم من سفر: (قدومًا مباركًا)، وكقولك: (بلى جلستين) جوابًا لمنْ قال لك: ما جلستَ؟.

أمَّا المصدر المؤكِّد لعامله فزعم ابن مالك أنه لا يحذف عامله، قال في الخلاصة:

*** وحذفُ عامل المؤكِّد امتنع ***

وذكر في (شرح الكافية الشافية) علة المنع قال: ((المصدرُ المؤكِّد يُقصد به تقوية عامله وتقرير معناه، وحذفه منافٍ لذلك))[٤٨] وبَسْطُ كلامه أن الغرض من المصدر المؤكِّد تقوية عامله وتقرير معناه، وهذا الغرض يستلزم ذكر العامل لا حذفه؛ إذ الحذفُ يتنافى مع غرض المصدر ويتضادّ معه.

((تنافي جملة الحال مع أحرف الاستقبال والماضي))

تأتي الحال جملة فعلية كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾[٤٩] وممَّا اشترطه النحاة[٥٠] في جملة الحال أَنْ تكون خاليةً من أحرف الاستقبال ((كالسين، وسوف، ولن))، فلا يُقال: جاء زيدٌ سيركب، ولا أقبلَ محمدٌ سوف يضحك، ولا دخل عمرو لن يقرأ. وعِلَّةُ التنافي بين جملة الحال وأحرف الاستقبال ظاهرة وهي: التَّناقض بين الدلالة الزمنية للجملة الحالية والدلالة الزمنية لأحرف الاستقبال، قال الرضيّ: ((ويشترط في المضارع الواقع حالاً خلوّه من حرف الاستقبال كالسين ولن ونحوهما؛ لتناقض الحال والاستقبال في الظاهر))[٥١].

ومن أجل هذا التناقض غَلَّط ابنُ هشام[٥٢] الحويفَّ في إعرابه جملة (سيهدين) من قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾[٥٣] حالاً؛ لتصدرها بحرف الاستقبال (السين).

ومن أجل تناقض الدّلالة الزمنية أيضاً منع البصريون[٥٤] وقوع الماضي حالاً لأن الماضي لِمَا انتهى، والحال لِمَا أنتَ فيه. لا تقول: ((جاء زيدٌ ضَحِكَ))، فإنْ جئْتَ معه بقد جاز؛ لأنَّ ((قد)) تُقَرِّبُه من الحال، فتقول: جاء زيدٌ قد ضحك.

وتأوّل البصريون ما ظاهره أَنَّ الماضي وقع حالاً دون (قد). كقوله تعالى: ﴿ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ ﴾[٥٥] تأوّلوه على إضمار (قد)، أي: قد حصرت صدورهم. وأجازه الكوفيون[٥٦] دون تأويل.

((تنافي النكرة والمبهم مع النُّدبة))

النُّدبة في اصطلاح النَّحاة هي: ((نداء المتفجع عليه (أي: المفقود حقيقة أو حكمًا) أو المتوجع منه))[٥٧].

نحو: ((وا زيداه))، ((وا معتصماه))، ((وا ظهراه)).

ولا تُنْدَبُ النَّكرةُ ولا ما أشبهها من المبهمات كالضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة التي لم تشتهر بجملة الصِّلة.

قال ابن مالك:

مَا للمنادَى اجْعَلْ لمندوب وَمَا نُكِّرَ لم يُنْدَبْ ولا مَا أُبْهِمَا

فلا يُقال: ((وا رجلاه)) ولا ((وأَنْتَاه)) ولا ((وا هذاه)). وعِلَّةُ تنافي هذه الأنواع مع النُّدبة أَنَّ الغرض من النُّدبة الحزنُ والنَّوحُ على المندوب، وبها يُخْبِرُ النَّادِبُ أنَّه قد ناله أمرٌ عظيم، ووقع في خطب جسيم. فلابُدَّ من ذكر المندوب بأشهر أسمائه وأحمد خصاله؛ ليكون عذراً له فيما أظهر من الحزن والجزع وغرضُ النُّدبةِ هذا يتنافى ويتضادّ مع المندوب النّكرة أوالمبهم؛ إذ لا

يقع بهما العذر للنّادب؛ لإبهامهما؛ إذ لا يُعلم بهما المندوب المتفجع عليه. قال سيبويه في باب: (مالا يجوز أَنْ يُندب): ((وذلك قولك: وا رَجُلاه، ويا رَجُلاه. وزعم الخليل –رحمه الله– ويونس أنَّه قبيح وأنَّه لا يُقَال. وقال الخليل –رحمه الله–: إنما قَبُحَ لأنّك أَبْهَمْتَ، ألا تَرى أنّك لو قلتَ: وا هذاه كان قبيحاً؛ لأنَّك إذا ندبتَ فإنما ينبغي لك أَنْ تفجَّعَ بأعرف الأسماء، وأَنْ تخصَّ ولا تُبهم؛ لأن النُّدبة على البيان))[٥٨].

وقال ابن عصفور: ((إذا قُلتَ: "يا رَجُلاه" لم يُعْلَمْ مَنْ المتفجع عليه، فصرتَ كمَنْ قال: يا مَنْ لا يعنيني أمره))[٥٩].

ومن أجل التّنافي بين المندوب المبهم والنُّدبة المبنيّة على البيان منع النّحاةُ نُدبةَ الموصول إذا لم يشتهر بجملة الصلة نحو: ((وا مَنْ ماتَ)) أو ((وا مَنْ ذهب)).

وأجازوا نُدبةَ الموصول المشتهر بجملة الصلة نحو:

((وا مَنْ حفر بئرَ زمزماه))، ((وا مَنْ قلع بابَ خيبراه)) لاشتهار الرّجلين[٦٠] بذلك.

((تنافي النعت والجملة الطلبية))

تقع الجملة نعتًا للنكرة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[٦١] واشترط النُّحاة في جملة النعت أَنْ تكون خبريةً[٦٢]؛ لأن مضمونها معلوم للسامع؛ لكونها حديثًا عن شيء قد وقع وحدث قبل التكلم بها، وبها يتخصّص المنعوتُ النكرةُ قبلَها، وذاك هو غرض نعت النّكرة. ومن أمثلة ابن مالك لها في (شرح الكافية)[٦٣]: (رأيت رجلاً يُرْجَى خيرُه)، و(عرفتُ امرأةً يَبْهرُ حُسْنُها).

واحترز النُّحاة بالشرط السابق من الجملة الطّلبيّة فإنه لا يُنعت بها.

قال ابن مالك في باب (النعت) في (الخلاصة):

وامنعْ هنا إيقاعَ ذاتِ الطَّلَبِ وإنْ أَتَتْ فالقولَ أَضْمِرْ تُصِبِ

فلا يُقال: مررتُ برجلٍ اضْرِبْهُ – أو برجلٍ لا تَشْتِمْهُ – أو برجلٍ هل ضربتَهُ؟

والعلَّةُ[٦٤] في تنافي النّعت مع الجملة الطلبيّة أن الغرضَ من النّعتِ إيضاحُ المنعوتِ وبيانُه أو تخصيصُه وتقريبه للسَّامع؛ ولذا لابُدَّ أَنْ يكون النعت معلوماً للسامع قبل التّكلم به، والجملة الطّلبيّة مجهولة للسامع لا يعلم مضمونها قبل التكلم بها؛ إذ إن المرادَ بها تحصيلُ شيءٍ غيرِ حاصلٍ ومن أجل هذا استحال النعت بها؛ لما فيه من الإبهام، أي أنّ مضمون الجملة الطّلبيّة ودلالتها تتضادّ مع الغرض من النعت.

أمَّا وقوع الجملة الاستفهامية نعتاً في قول الرَّاجز الذي يَصِفُ بالبخل قوماً نزل بهم ضيفا، فانتظروا حتى جَنَّ الظَّلامُ وجاءُوه بلبن مخلوطٍ بالماء يُشْبه الذَّئبَ في لونه؛ لكدرته وغبرته:

حتَى إذا جَنَّ الظَّلامُ واخْتَلَطْ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رأيتَ الذِّئبَ قَطْ؟[٦٥]

فهو مؤول[٦٦] عند النّحاة على حذف النَّعت، أي: ((جَاءُوا بِمَذْقٍ مَقُولٍ فيه هل رأيتَ الذئبَ قَطْ؟)).

وللعلة نفسها اشترط النّحاة في جملتي الصلة[٦٧] والحال[٦٨] أَنْ تكونا خبريتين لا إنشائيتين. أمَّا جملة الخبر فلا يُشترط فيها أَنْ تكون خبريةً فقد تأتي جملة طلبية على الراجح من مذاهب النُّحاة[٦٩]، نحو: ((زيدٌ اضْرِبْهُ)) و ((زيدٌ لا تَشْتُمْه)). والسِّرُّ في هذا ((أن الخبر حكمٌ، وأصله أَنْ يكون مجهولاً فيقصد المتكلم إلى إفادة السامع إيّاه بالكلام))[٧٠]، أي أَنَّ الغرض من الخبر لا يتضاد مع مضمون الجملة الطّلبيّة التي لا يُعلم معناها إلّا بعد التلفظ بها على عكس الغرض من النعت والصلة والحال.

((التَّنافي بين أفعال العلم واليقين وأَنْ الناصبة للمضارع))

أجمع النُّحاة على أَنَّ (أَنْ) الناصبة للمضارع تتنافى مع أفعال العلم واليقين فلا تقع بعدها، وإليك بعض نصوصهم:

قال المبرد: ((أمَّا ما كان من العلْم فإنَّ (أَن) لا تكون بعده إلّا ثقيلة؛ لأنه شيء قد ثبت واستقر، وذلك قولك: قد علمتُ أَنَّ زيدًا منطلق، فإنْ خَفَّفتَ فعلى إرادة التثقيل والإضمار، تقول: علمتُ أَنْ سيقومُ زيدٌ، تريد أَنَّه سيقوم ... ألا ترى أنه لا يصلح: علمتُ أَنْ يقومَ زيدٌ؛ لأَنَّ (أَنْ) الخفيفة إنما تكون لما لم يثبت نحو: خفتُ أَنْ تقوم يا فتى، وأرجو أَنْ تذهب إلى زيد؛ لأنه شيء لم يستقرّ))[٧١].

وقال الزّجاجي في أثناء حديثه عن (أَنْ): ((فإنْ وقع قبلها الأفعال التي تدلّ على ثبات الحال والتحقيق ارتفع الفعل هاهنا بعدها، وكانت مخففة من الثّقيلة، كقولك: (علمتُ أَنْ يقومُ زيدٌ) ترفع الفعل لاغير))[٧٢].

وقال أبو علي الفارسي: ((ولو قلتَ: (علمتُ أَنْ يقومَ زيدٌ) فنصبتَ الفعل بأَنْ لم يجز؛ لأن هذا من مواضع أَنَّ؛ لأنه ممّا قد ثبتَ واستقرّ))[٧٣].

وعلة التنافي – كما جاء في النصوص المتقدمة - بين أَنْ الناصبة للمضارع وأفعال العلم واليقين كونُ (أَنْ) لما لم يثبت ولم يستقرّ؛ لخلوها من التوكيد على حين أَنّ أفعال العلم واليقين دالة على الثبات والاستقرار والتحقيق. فتضادَّ مدلولُ (أَنْ) الناصبة للمضارع ومدلول أفعال العلم واليقين. ومن أجل ذلك تنافيا.

ومن ثَمَّ إذا وقعت (أَنْ) الخفيفة بعد أفعال العلم واليقين نحو قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾[٧٤] وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾[٧٥] حُكِمَ عليها بأنها المخففة

من الثقيلة لا الناصبة للمضارع، أي أَنَّ أصلها (أَنَّ) المشددة، (أَنْ + نَ) حُذِفَتْ نونها الأخيرة المتحركة للتخفيف، واسمها –عند النّحاة– ضمير محذوف، وخبرها الجملة بعدها، وفي ذلك يقول ابن مالك:

وإنْ تُخَفَّفْ أَنَّ فاسمها استكنْ والخبَرَ اجعلْ جُملةً من بعدِ أَنْ

وأنَّ المشددة، وأَنْ المخففة من الثقيلة يقعان بعد أفعال العلم واليقين ولا يتنافيان معها؛ لإفادتهما التوكيد والتحقيق، وهو معنًى يتفق مع معنى تلك الأفعال.

((التّنافي بين جمع الكثرة والتصغير))

لا يجوز تصغير جمع الكثرة على لفظه، وذكر الصّرفيون في تصغيره طريقتين:[٧٦]

الأولى: إن لم يكن لجمع الكثرة جمع قِلَّة من لفظه نحو (رِجَال – وجِفَان) رددتَه إلى واحده ثم صغَّرتَه وجمعتَه بالواو والنون إنْ كان مذكّرًا عاقلاً، وبالألف والتَّاء إنْ كان مؤنثاً أو غير عاقل، فتقول في تصغير (رِجَال): رُجَيْلُون، وفي تصغير (جِفَان): جُفَيْنات.

والثانية: إنْ كان لجمع الكثرة جمع قِلَّة من لفظه نحو (فِتيان وفِتْية) و (كِلاَب وأَكْلُب) فلك فيه وجهان: إنْ شئتَ رددتَه إلى جمع قلته وصَغَّرتَه على لفظ القلَّة، فتقول في تصغير (فِتيان): فُتَيَّة، وفي تصغير (كِلاَب): أُكَيْلِب، وإنْ شئتَ رددتَه إلى واحده وصغّرته ثم جمعته بالواو والنون أو الألف والتاء كما فعلتَ في النوع الأول. فتقول: (فُتيّون) و (كُلَيْبات).

وعلةُ امتناع تصغير جمع الكثرة على لفظه هي التنافي والتضادّ بين مدلولي جمع الكثرة والتصغير؛ إذ الأول يدلّ على الكثرة، والثاني يدلّ على القلّة.

قال المبردُ: ((فلو صغّرتَ ما هو للعدد الأكثر كُنْتَ قد أخبرتَ أنه قليلٌ كثير في حال، وهذا هو المحال))[٧٧].

وقال ابن يعيش: ((وإنما لم يصغّر جمع الكثرة على لفظه؛ لأنّه بناء يدلُّ على الكثرة، والتصغير إنما هو لتقليل العدد فلم يجز الجمع بينهما؛ لتضادّ مدلولهما وتناقض الحال فيهما؛ إذْ كُنْتَ مقللاً بلفظ التصغير، مُكثِّرًا بلفظ الجمع))[٧٨].

والعلة نفسها نجدها عند الرضيّ[٧٩] والأشمونيّ[٨٠] والسّيوطيّ[٨١].

((التنافي بين أحرف الإطباق وتاء الافتعال))

إذا كانت فاءُ (افتعل) أو (الافتعال) وما تصرف منها أحدَ أحرفِ الإطباق[٨٢] الأربعة: الصاد والضاد والطّاء والظّاء وجبَ إبدالُ التّاءِ طاءً نحو: (اصطبر، واضطرب، واطّرد، واظطلم) والأصل: (اصتبر، واضترب، واطترد، واظتلم) ولكنَّ العرب عدلتْ عن هذا الأصل ولم تقل (اصتبر، واضترب) كما قالت: (اقتتل واجتمع) وكذا الباقي.

وعلَّةُ هذا العدولِ التّنافي والتَّضادُ بين صفات تاء الافتعال وأحرف الإطباق قبلها؛ لأن التاء مهموسة غير مستعلية لا إطباق فيها، وأحرف الإطباق مجهورة مستعلية فيها إطباق. فكرهوا الاتيان بحرف بعد حرف يُضادّه ويُنافيه، فاختاروا حرفاً مستعليًا من مخرج التّاء وهو الطّاء، فجعلوه مكان التَّاء؛ لأنّه مناسبٌ للتّاء في المخرج، والصاد والضاد والظاء في الإطباق[٨٣]. أي أن دافعهم إلى إبدال تاء الافتعال طاءً بعد أحرف الإطباق هو إيجاد نوع من المقاربة والمجانسة بين أحرف الإطباق والحرف المبدل من تاء الافتعال؛ ولذا رُبَّما لم يبدلوا التّاء طاءً وتصرفوا فيها تصرفًا آخر مع مراعاتهم المجانسة.

((فمنهم مَنْ يقلب التَّاءَ إلى لفظ ما قبلها، فيقول: اصَّبر ومُصَّبِر، واضَّرب ومُضَّرِب، واظَّهر ومُظَّهِر، وقرأ بعضهم: ﴿أَن يُصَّلِحَا﴾[٨٤] يريد: يصطلحا.

ومنهم مَنْ إذا كانت الفاءُ ظاءً أبدل التَّاء طاءً، ثُمَّ أبدل الظاءَ طاءً، وأدغم الطّاء في الطاء، فيقول: اطّهر[٨٥] بحاجتي، وظلمته فاطّلم لي، وذلك لما بين الظّاء والطّاء من المقاربة في الإطباق والاستعلاء))[٨٦].

((التنافي بين الإمالة وأحرف الاستعلاء))

الإمالة: ((أَنْ تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء)) وهي لغة أهل نجد من تميم وأسد وقيس[٨٧].

والاستعلاء: صفة من صفات الحروف ومعناه: ((أَنْ تتصعد في الحنك الأعلى))[٨٨].

وأحرف الاستعلاء سبعة[٨٩]: الصّاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والخاء، والقاف، يجمعها قولك: ((قِظْ خُصّ ضغط)).

وهذه الأحرف السّبعة تمنع الإمالة إذا وقع حرف منها قبل الألف أو بعدها بضوابط ذكرها العلماء في مظانها[٩٠].

وعلةُ منعِ هذه الأحرفِ الإمالةَ ذكرها ابن يعيش، قال: ((لأن الصوت يستعلي عند النطق بها إلى أعلى الحنك، والإمالة تسفل، وكان بينهما تنافٍ، وهي مع ذلك إذا كانت بعد الألف كانت أدعى لمنع الإمالة منها إذا كانت قبله، لأنها إذا كانت بعد الألف كُنْتَ متصعِّدًا بالمستعلي بعد الانحدار بالإمالة، وإذا كَانت قبله كُنْتَ مُنحدراً بعد التَّصعُّد بالحرف، والانحدار أخفُّ عليهم من التَّصعُّد))[٩١].

فعلةُ التنافي بين أحرف الاستعلاء والإمالة التَّضادُ بين صفتي الاستعلاء والإمالة، إذ اللِّسان ينخفض بالإمالة ويتسفل، ويرتفع ويتصعد مع أحرف الاستعلاء. ويَشُقّ على اللّسان الانتقال من أحدهما إلى الآخر.

وامتناع الإمالة مع أحرف الاستعلاء يحقق تجانسًا صوتيًّا بين أحرف الاستعلاء التي يتصعّد اللّسان عند النطق بها إلى الحنك الأعلى والألف غير الممالة التي يستعلي اللّسان عند النطق بها إلى الحنك الأعلى. وقد أشار سيبويه إلى هذا التجانس بقوله: ((والألف إذا خرجتْ من موضعها استعلتْ إلى الحنك الأعلى ... فلمّا كانت الحروف مستعليةً وكانت الألف تستعلي وقربتْ من الألف، كان العملُ من وجه واحد أخفَّ عليهم))[٩٢].

المبحث الثاني

تنافي الوفاق

وأعني به أن يكون بين العنصرين المتنافيين اتّفاق في الوظيفة التي يؤديها كلٌّ منهما. أي أن كلَّ واحدٍ من المتنافيين يؤدي الوظيفةَ نفسَها التي يؤديها الآخر؛ ولكون اللغة تحرص على الإيجاز، وتتحاشى الإطنابَ غيرَ المفيد استغنت بأحد العنصرين عن الآخر في أداء تلك الوظيفة؛ إذ إن الجمع بينهما يغدو لا مبرر له ولا فائدة منه؛ لأنه ليس في أحدهما إلاّ ما في الآخر.

وسأعجل هنا أيضًا بذكر مثال لهذا النوع من التنافي؛ ليتضح المقصود. فمن أمثلته تنافي الإضافة المعنوية و (أَلْ). فنحن نقول: هذا غلامُ زيد، ولا نقول: هذا الغلامُ زيد. والسِّرُ في تنافي وامتناع دخول (أَلْ) على المضاف أن (أَلْ) تُكْسِبُ مدخولَها التعريفَ، والإضافة المعنوية تُكْسِبُ المضافَ التعريفَ أو التخصيص، فاتّفقت (أَلْ) المعرِّفة والإضافة في أداء وظيفة واحدة. واسْتُغْنِي بواحدٍ منهما عن الآخر، ولا يجوز الجمع بينهما؛ لأنه لا يجتمع تعريفان على الاسم الواحد.

وبعد هذه المقدّمة إليك – أخي الكريم- قواعدَ ومظاهرَ وأسرارَ هذا النوع من التنافي.

((تنافي اجتماع تعريفين على الاسم الواحد))

ومن مظاهر هذه القاعدة ما يأتي:

١- المعارف لا تضاف ولاتقبل ((أَلْ)) التعريف، فلا يُضافُ الاسم ولا يَقبل (أَلْ) إلاّ وهو نكرة، نحو: (غلام زيد) و (صاحب عمرو) و (الرّجل)؛ لأن الغرض من الإضافة تعريف المضاف، والغرض من ((أَلْ)) المُعَرِّفة تعريف مدخولها.

فإذا كان الاسمُ معرفةً تنافى مع الإضافة و ((أَلْ)) التعريف، ولم يقبلهما، وعِلَّةُ المنافاة أَنَّ الاسم المعرفة استغنى[٩٣] بتعريفه عن تعريف الإضافة و (أَلْ)، ولو أُضيفت المعرفة أو قبلت (أَلْ) التعريف لكان ذلك تحصيلاً للحاصل[٩٤]، ولأدّى إلى جمع تعريفين على الاسم الواحد، وأحدهما كافٍ عن الآخر، يقول ابن هشام: ((تقول: جاء الغلامُ، فإذا أُضفتَ قلتَ: جاءَ غلامُ زيدٍ، وذلك لأن الألف واللام للتعريف، والإضافة للتعريف، فلو قلتَ: (الغلامُ زيدٍ) جمعت على الاسم تعريفين وذلك لا يجوز))[٩٥].

وأشار ابن الشجري قبله إلى تنافي جمع تعريفين على الاسم الواحد في أثناء حديثه عن قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾[٩٦]، إذ فرّق بين الكاف والميم في (ذلكم) والكاف والميم في (وصاكم). وحكم عليها بأنها حرف خطاب في (ذلكم) لا يحكم لموضعه بشيء من الإعراب، وفي (وصَّاكم) ضمير خطاب موضعه نصب، ثم قال: ((ولو حكمتَ بأنَّه في (ذلكم) ضمير

وجب الحكم بأنَّه في موضع جَرّ بالإضافة، وأسماء الإشارة لا تصحُّ إضافتها؛ لأنَّ ذلك جمعٌ بين تعريفين، تعريف الإشارة وتعريف الإضافة))[٩٧].

وذكر ابن الأنباري أيضاً أن الأسماء المضمرة لا تضاف إلى ما بعدها؛ لأن الإضافة تُراد للتعريف، والمضمر في أعلى مراتب التعريف فَاسْتَغْنَى بتعريفه في نفسه عن تعريفِ غيرِه؛ لأن الكَحَلَ يُغني عن الكُحْل[٩٨].

ولكن قد يُسلب ما في المعرفة من تعريف وحينها تَجْرِي مَجْرَى النكرة فتضاف ويدخل عليها أَلْ –وذلك خاصّ بالأعلام- وقد ذكر الزمخشريُّ[٩٩] وغيره[١٠٠] أنَّه قد يُتأوّلُ العلمُ بواحدٍ من الأُمَّة المسمَّاة به، فلذلك من التأويل يَجْرِي مَجْرَى رجل وفرس، فَيُجْتَرأُ على إضافته وإدخال اللام عليه، قالوا: (مضرُ الحمراءِ – وربيعة الفرسِ – وأنمار الشاة)[١٠١]، وأنشدوا:

علا زيدُنا يومَ النَّقا رأسَ زيدكم بأبيضَ ماضي الشفرتينِ يمانِ[١٠٢]

ومن ذلك أيضاً قول ابن ميّادة:

رأيتُ الوليدَ بنَ اليزيدِ مباركا شديدًا بأحناءِ الخلافةِ كاهلُه[١٠٣]

أمَّا مالا يمكن تنكيره من المعارف فلا تجوز إضافته ولا إدخال (أَلْ) عليه.

٢- لا يجوز الجمع بين (يا) النِّداء والاسم المقترن (بأَلْ)، فلا يُقَال: (يا الرّجلُ، ويا الغلامُ، ويا العالم) وقد توصلت العربُ لنداءِ ما فيه (أَلْ) بلفظ (أيُّها) نحو: (يا أيُّها الرّجلُ) أو باسم الإشارة نحو: (يا هذا الرّجلُ).

واستثنى النُّحاةُ مسألتين[١٠٤] يجمع فيهما بين (يا) النِّداء و(أَلْ): الأولى: مع اسم الله تعالى. نحو (يا اللهُ)؛ لأن (أَلْ) فيه لازمة لا تنفك عنه فكأنها من بنية الكلمة، والثانية: مع الجُملِ المحكية، فَيُقَالُ فيمن اسمه (الرّجلُ منطلق): يا الرّجلُ منطلقٌ أَقْبِلْ.

وفيما عدا هاتين المسألتين لا يجوز الجمع بينهما إلاّ في ضرورة الشِّعر، كقول الشاعر:

فيا الغلامانِ اللّذانِ فَرَّا إيَّاكما أَنْ تعقبانا شَرًّا[١٠٥]

وقد أشار ابن مالك إلى هذه القاعدة في (الخلاصة) بقوله:

وباضطرارٍ خُصَّ جَمْعُ يا وأَلْ إلاّ معَ اللهِ ومَحْكِي الجُمَلْ

وعِلَّةُ التَّنافي بين (يا) النِّداء، والاسم المقترن بأَلْ عند البصريين[١٠٦] أَنَّ (يا) النِّداء تفيد التعريف، والألف واللام تفيد التعريف، ولا يجتمع تعريفان في كلمة واحدة؛ لحصول الاستغناء بأحدهما عن الآخر. يقول المبردُ: ((اعلم أن الاسم لا يُنادى وفيه الألف واللام؛ لأنَّك إذا ناديتَه فقد صار معرفةً بالإشارة بمنزلة هذا وذاك، ولا يدخل تعريفٌ على تعريف))[١٠٧].

وقريبٌ منه قول الزّجاجي: ((ولا يجوز أن تقول: يا الرّجلُ ويا الغلامُ ولا يا الراكبُ؛ لأنَّ النّداء يُعَرِّفُ المنادى بالقصد والإشارة، والألف واللام تُعَرِّفانه بالعهد، ولا يَتعرَّفُ الاسمُ من جهتين مختلفتين))[١٠٨].

ولم تُرْضِ هذه العِلَّةُ بعضَ النُّحاة؛ فأجازوا اجتماع التَّعريفين المتغايرين على المنادى، قالوا: والدّليل على ذلك أنك تقول: (يا زيدُ، ويا هذا، ويا عبدَ الله) فالمنادى في هذه الأمثلة على الترتيب معرفةٌ بالعلمية والإشارة والإضافة، وقَبِلَ أيضًا تعريفَ النِّداء؛ لاختلاف جهتي التعريف. ومن ثَمَّ قال هؤلاء النُّحاة إن عِلَّة التنافي بين يا النّداء وأَلْ في نحو: يا الرّجلُ ليست اجتماع التعريفين المتغايرين، بل اجتماع أداتي التعريف[١٠٩]؛ إذ إنَّ تعريف النِّداء بعلامة لفظية، وتعريف الألف واللام بعلامة لفظية، فاتفقت جهتا التعريف، فامتنع الجمع بينهما؛ لأن أحدهما كافٍ عن الآخر.

وهذه العِلَّةُ أقوى عندي من عِلّة البصريين؛ لأن علَّتَهم منقوضة –كما تقدم– باجتماع التعريفين في نحو: (يا زيدُ، ويا هذا، ...) ولذلك اضطروا إلى التأويل. فقال المبردُ[١١٠] في الأعلام أنّها تُنَكَّرُ ثُمَّ تُعَرَّفُ بحرف النّداء، وقال المازنيّ[١١١] في اسم الإشارة: يُنكَّرُ ثُمَّ يُجبر بحرف النّداء. ولا حاجة إلى ما ارتكبا كما قال الرّضيُّ[١١٢].

((تنافي اجتماع علامتي تأنيث في الاسم الواحد))

ومن مظاهر هذه القاعدة ما يأتي:

١- ما خُتِمَ بتاء التأنيث نحو (مُسْلِمَة) تحذف تاؤه عند جمعه بالألف والتاء، فيجمع على (مُسْلِمَات)، والأصل فيه؛ لأنه جمع مؤنث سالم أن يجمع على (مُسْلِمتَات) بتاءين، ولكن العرب عَدَلَتْ عن هذا الأصل؛ لئلا تجمع بين علامتي تأنيث؛ ولأنَّ كلَّ واحدة من التاءين تدلّ على ما تدلّ عليه الأخرى من التأنيث وتقوم مقامها، قال المبردُ: ((وإنَّما حُذِفَت التّاءُ من مُسْلِمَة؛ لأنها عَلَمُ التأنيث، والألف والتّاء في (مُسْلِمَات) عَلَمُ التأنيث، ومحالٌ أن يدخل تأنيثٌ على تأنيث))[١١٣].

وكان حذف التّاء الأُولى أَوْلَى؛ لأنَّ في الثّانية زيادة معنى؛ إذ الأُولى تدلّ على التأنيث فقط، والثانية تدلّ على التأنيث والجمع وهي حرف الإعراب، فلمَّا كان في الثّانية زيادة معنى كان تبقيتها وحذف الأُولى أَولى[١١٤].

ويرى الدكتور/ إبراهيم بركات أن القول الأكثر قُرباً من الواقع اللّغوي هو أنَّ التاء لم تحذف من (مسلمة) عند جمعها على (مسلمات). بل اتّخذت مكاناً في الكلمة المبنيّة للجماعة غير ما كانت عليه في الكلمة المبنيّة للواحدة، مؤدّاه إطالة الحركة بالفتحة للتفرقة العدديّة، فالحركة القصيرة بالفتحة قَبْل التاء في (مُسلمَة) دالة على الواحدة، والحركة الطويلة بالفتحة قَبْلَ التاء

في (مسلمَات) دالة على جماعة الإناث. والتّاء التي في المفردة هي نفسها التي في جمع الإناث وليست تاء الجمع غيرَ تاء المفردة، وكلٌّ منهما دالّ على التأنيث فقط دون الإشارة أو الدّلالة على مفرد أو جمع، بالرّغم من الخلاف بين التاءين أثناء الوقف، حيث يوقف على تاء المفردة بالهاء ويوقف على تاء الجمع بالتاء[١١٥].

وحاول الدكتور/إبراهيم أن يجد مبرراً لاختلاف التاءين عند الوقف عليهما، فذكر أَنَّ علة الوقف على تاء جماعة الإناث بالتاء ولا يوقف عليها بالهاء كتاء المفردة خوف الالتباس بالمندوب حال الوقف عليه بالهاء؛ إذ إنَّ التركيب البنيويّ لتاء جمع الإناث كتركيب الهاء مع الاسم المندوب، حيث يشتركان في أَنَّ قَبْلَ كلٍّ منهما حركةَ طويلة بالفتحة، فلو أَنَّ هذه التّاء قُلبتْ هاءً أثناء الوقف لالتبست بهاء النّدبة[١١٦].

وأرى أن هذه العلَّة التي ذكرها الدكتور/إبراهيم منقوضة بنحو: (قُضاة ودُعاة وغُزاة) فالتركيب البنيويّ لهذه الأسماء عند الوقف عليها كتركيب المندوب، وقد وقفت العرب عليها بالهاء ولم تقف عليها بالتاء.

٢- ما خُتِمَ بتاء التأنيث نحو: (مَكة، وبصرة، وكُوفة) إذا نُسِبَ إليها وكان المنسوبُ مؤنثاً قيلَ في النِّسبة إليها: (امرأةٌ مَكِّيَّة، وبَصْرِيَّة،وكُوفِيَّة). والأصلُ والقياسُ أن يُقالَ في النِّسبة إليها: (امرأةٌ مَكِّتِيَّة، وبَصْرَتِيَّة، وكُوفَتِيَّة)، بتاءين إحداهما قبل ياء النَّسب، والأخرى بَعْدَها، غير أن العرب لم تنطق بهذا الأصل وعَدَلت عنه؛ لأن فيه جمعًا بين علامتي تأنيث[١١٧]. ثُمَّ طردوا[١١٨] هذا الحكمَ في المنسوب المذكَّر، فقالوا: (رجلٌ مَكِّيٌّ وبَصْرِيٌّ وكُوفِيّ) مع انتفاء العِلّة فيه؛ إذ لا يجتمع فيه تاءان لو قيل: رَجُلٌ كُوفتيٌّ ونحوه.

٣- ما ختم بألف التأنيث الممدودة نحو (حمراء) و(صحراء) إذا جُمِعَ جمعَ مؤنث سالما فالقياس والأصل فيه أن يُقال: (حمراءات) و(صحراءات) غير أن العرب لم تنطق بهذا الأصل؛ لأن فيه جمعاً بين علامتي تأنيث في اسم واحد، فعدلتْ عن ذلك بقلب همزة التأنيث واوًا فقالوا: (حمراوات) و(صحراوات)، ثم حملوا المثنّى على جمع المؤنث السالم فقالوا في مثنّى (حمراء، وصحراء): (حمراوان وصحراوان).

أيضاً إذا نسبوا إلى ما فيه ألف التأنيث الممدودة وكان المنسوب مؤنثاً قالوا فيه (حَمْرَاوِيَّة وصَحْرَاوِيَّة) بقلب همزة التأنيث واوًا ولو أبقوها على الأصل لقالوا: (حَمْرَائِيَّة وصَحْرَائِيَّة)، وذلك لا يجوز عندهم لأن فيه جمعاً بين علامتي تأنيث[١١٩].

((تنافي اجتماع أداتين لمعنى واحد))

ومن مظاهر هذه القاعدة ما يأتي:

١- امتناع الجمع بين استفهامين. فإنْ وُجِدَ شيء من ذلك في كلام العرب فلابُدَّ أن تكون إحدى الأداتين خرجت عن بابها كما في قول الشاعر:

سائل فوارسَ يربوع بشَدَّتنا أَهَلْ رأونا بسفح القُفِّ ذي الأكَمِ[١٢٠]

قال ابن جني معلِّقًا على البيت: ((ألا ترى إلى دخول همزة الاستفهام على هل، ولو كانت على ما فيها من الاستفهام لم تلاقِ همزتَه؛ لاستحالة اجتماع حرفين لمعنى واحد، وهذا يدلُّ على خروجها عن الاستفهام إلى معنى الخبر))[١٢١] وتأوَّلَ هو وغيره[١٢٢] من النَّحاة (هل) في البيت بمعنى (قد).

٢- امتناع الجمع بين عاطفين. وفي ذلك يقول ابن السّراج: ((اعلم أَنَّ حروف العطف لا يدخل بعضها على بعض، فإنْ وجدتَ ذلك في كلام فقد أُخرج أحدهما من حروف النَّسق، وذلك مثل قولهم: (لم يقم عمرو ولا زيدٌ)، الواو نسق، ولا توكيد للنفي))[١٢٣].

يعني أن (لا) النافية وإنْ كانت عاطفةً بإجماع النحاة في نحو: (جاء زيدٌ لا عمرٌو) فإنها حين سبقتها واو العطف في المثال الذي ذكره أُخرجت عن العطف وتجردت للتوكيد والنفي؛ لتنافي اجتماع حرفي عطف.

ومن أجل هذا أيضاً ذهب ابن كيسان[١٢٤] وأبو علي الفارسي[١٢٥] أن (إمَّا) الثانية في نحو قولك: ((جاءني إمَّا زيدٌ وإمَّا عمرٌو)) ليست عاطفةً؛ لملازمتها الواوَ العاطفةَ، ولا يجتمع حرفان لمعنى. وقال ابن مالك معقِّبًا على مذهب ابن كيسان وأبي عليّ الفارسي: ((وبقولهما أقول تخلُّصًا من دخول عاطف على عاطف ...))[١٢٦].

٣- امتناع الجمع بين أداتي تعدية. فإذا تعدَّى الفعل بالهمزة أو التضعيف لم يُجمع بين واحدٍ منهما وحرف الجر؛ لأنَّ الغرضَ –كما ذكر ابن يعيش– تعديةُ الفعلِ، فبأيِّ شيء حصل أغنى عن الآخر، ولا حاجة إلى الجمع بينهما، فتقول: أدخلتُ زيدًا الدار، وأذهبتُ خالدًا، ودخلتُ بزيد الدار، وذهبتُ به، ولا يجوز: أدخلتُ بزيد الدار، ولا أذهبتُ به[١٢٧].

٤- امتناع توالي حرفي توكيد. ومن أجل ذلك أَخَّروا لام الابتداء إلى خبر إنَّ في نحو قولهم: ((إنَّ زيدًا لمنطلقٌ))، وكان حقُّها أَنْ تدخل في أول الجملة وصدرها، أي: أن الأصل أَنْ يقولوا: لَئِنَّ زيدًا منطلق.

قال ابن جني ذاكراً علَّةَ العدول عن هذا الأصل: ((فلمَّا كُرِه تلاقي حرفين لمعنى واحد –وهو التوكيد– أُخِّرَت اللام إلى الخبر فصار: إنَّ زيدًا لمنطلق))[١٢٨].

وللعلَّة نفسها لا يجوز أَنْ يلي (إنَّ) المؤكِّدةَ (أَنَّ) المؤكِّدةُ قال المبرد: ((واعلم أنه لا يحسن أَنْ يلي (إنَّ) (أَنَّ)؛ لأن المعنى واحد؛ كما لا تقول: لَئِنَّ زيدًا منطلق؛ لأن اللام في معنى إنَّ، فإن فصلتَ بينهما بشيء حسن واستقام، فقلتَ: إنَّ في الدار لزيدا))[١٢٩].

٥- امتناع الجمع بين حرفي استقبال . فلا يُجمع بين حرف من نواصب المضارع وأحد حرفي التنفيس، فلا يقال((سوف لن أذهبَ))؛ و((لن سأذهبَ))؛ لأن الجميع أدوات استقبال[١٣٠].

ولا يجمع بين نون التوكيد وحرف التنفيس، ومن ثَمَّ امتنع دخول نون التوكيد على الفعل المضارع المثبت المُجَاب به القسم إذا سُبِقَ بسوف، نحو قوله تعالى﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[١٣١].

قال السّيوطيُّ ذاكراً علَّة التنافي بين نون التوكيد وحرف التنفيس:

((لأنهما معًا يُخلصان للاستقبال، فكرهوا الجمع بين حرفين لمعنى واحد))[١٣٢].

((تنافي اجتماع إعرابين في الاسم الواحد))

من مظاهر هذه القاعدة ما يلي:

١- إذا نُسب إلى المثنّى نحو (مُسْلِمانِ) أو جمع المذكر السالم نحو (مسلمون) حُذِفَ منهما علامتا التثنية والجمع فلا يثبتان مع ياء النَّسب. وكذلك أيضاً إذا سُمِّي بهما وحُكِيَ إعرابهما قَبْلَ التَّسمية، فيُقال في النّسب إلى الجميع: (مُسْلِمِيّ)[١٣٣] بحذف علامتي التثنية والجمع كما يُنسب إلى المفرد، والتفريق بينها بالقرائن، ولا يجوز إبقاء علامة التثنية والجمع مع ياء النّسب، فلا يُقال: (مُسْلِمانيٌّ، ومُسْلِمونيٌّ).

وعِلَّةُ هذا التنافي كما ذكر سيبويه ((لئلا يكون في الاسم رفعان ونصبان وجَرَّان))[١٣٤]. أي: لئلا يجتمع في الاسم إعرابان،أولهما: بالحروف التي هي علامة التثنية والجمع، والثاني: بالحركات الأصليّة الكائنة على ياء النَّسب المشدّدة.

والعِلَّةُ نفسُها وباللفظ نفسه نجدها عند المبرد[١٣٥]، وهِيَ هِيَ عند النَّحاة المتأخرين مع اختلاف في العبارة، قال ابن يعيش: ((ولو أبقيتَهما (يعني علامتي التثنية والجمع)وقلتَ: مُسْلِمونيٌّ ومُسْلِمانيٌّ لجمعتَ في الاسم الواحد بين إعرابين أحدهما بالحروف والآخر بالحركات الكائنة على علامة النَّسب وذلك لا يجوز))[١٣٦].

وقال السّيوطيّ معللاً للتنافي: ((حذرًا من اجتماع إعرابين في اسم واحد))[١٣٧].

٢- ما احتجَّ به البصريون في ردِّ ما ذهب إليه الكوفيون من أَنَّ الأسماء السّتة معربة من مكانين[١٣٨] بالحروف والحركات التي قبلها فإذا قلتَ: ((هذا أَخُوك)) فهو مرفوع، والواو علامة الرفع والضّمة التي قبلها، وإذا قلتَ: ((رأيتُ أَخَاك)) فالألف علامة النّصب والفتحة التي قبلها، وإذا قلتَ: ((مررتُ بأخيك)) فالياء علامة الجرّ والكسرة التي قبلها.

إذْ ردَّ البصريون مذهب الكوفيين هذا وضعَّفوه محتجين ((بأن الإعراب إنما دخل في الكلام في الأصل لمعنًى – وهو: الفصل وإزالة اللّبس والفرق بين المعاني المختلفة بعضها من بعض من الفاعلية والمفعولية إلى غير ذلك – وهذا المعنى يحصل بإعراب واحد، فلا حاجة إلى أن يجمعوا بين إعرابين؛ لأن أحد الإعرابين يقوم مقام الآخر))[١٣٩].

((تنافي اجتماع خطابين في كلام واحد))

من مظاهر هذه القاعدة أن (أرأيتَكَ) تستخدم في لغة العرب بمعنى: أخْبرني[١٤٠]، نحو قولك: ((أرأيتَكَ زيدًا ما فعل؟)) وحينئذٍ تلزم التَّاءُ الإفرادَ والفتحَ أيًّا كان المخاطب، ويُخلعُ عنها الخطابُ إلى الكاف التي بعدها، والدليل على ذلك تغيّر الكاف تبعًا لاختلاف المخاطب، فيُقال في المؤنثة: ((أرأيتَكِ زيدًا ما فعل)) وفي المثنّى: ((أرأيتَكما زيدًا ما فعل)) وفي جمع المذكر: ((أرأيتَكم زيدًا ما فعل)) وفي جمع المؤنث: ((أرأيتَكُنَّ زيدًا ما فعل)) . ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾[١٤١].

وذكر ابن الشجريّ علّةَ إفراد التاء وفتحها في مثل هذا التركيب.

قال: ((إنما أُفرد الضمير في هذا النحو؛ لأنه لو ثُنِّي وجُمع فقيل: أرأيتُماكما، وأرأيتُموكم، وأرأيتُنَّكُنّ، كان ذلك جمعا بين خطابين، ولا يجوز الجمع بين خطابين))[١٤٢].

((تنافي اجتماع العوض والمعوض منه))

وهذه القاعدة من أشهر قواعد التنافي، ومظاهرها كثيرة لمن أراد الاستقصاء، وسأكتفي ببعض منها:

١- الميم المشددة اللاحقة بلفظ الجلالة في قولنا (اللَّهُمَّ) عوضٌ من (يا) النّداء عند البصريين[١٤٣] ومَنْ تابعهم[١٤٤]، ولذا لا يجوز عندهم الجمع بينهما، فلا يُقال: ((يا اللهُمَّ))، وسرُّ هذا التنافي توافقُ الأداتين في الوظيفة وكون إحداهما تُغني عن الأخرى في الدلالة على النّداء، فيُستفاد من قولك (اللهُمَّ) ما يستفاد من قولك (يا الله).

ومن ثَمَّ فالجمع بينهما غير مقبول إلاّ في ضرورة الشّعر، كقول الرّاجز:

إني إذا ما حدثٌ ألمّا أقولُ يا اللّهُمَّ يا اللَّهُمَّا[١٤٥]

وقد أخذ ابن مالك في (الخلاصة) برأي البصريين، فعند حديثه عن نداء لفظ الجلالة (الله) قال:

والأكثرُ اللّهُمَّ بالتعويضِ وشَذَّ يا اللَّهُمَّ في قريضِ

٢- التّاء اللاحقة بلفظتي الأب والأم حال النّداء في قولهم:

(يا أبتِ) و (يا أُمَّتِ) عوض من ياء الإضافة عند البصريين[١٤٦] وغيرهم[١٤٧]، قال المبرد: ((فمن ذلك قولهم: يا أبتِ لا تفعل، ويا أُمَّتِ لا تفعلي. فهذه الهاء إنما دخلت بدلاً من ياء الإضافة، والدليل على ذلك أنّك إنْ جئتَ بالياء حذفتَها فقلت: يا أبي لا تفعل، ويا أُمّي لا تفعلي))[١٤٨].

ولا يجمع بين التّاء والياء فلا يُقال: يا أبتي ويا أُمّتي.

وسرُّ هذا التنافي اتفاقُهما في الوظيفة وأحدهما يُغني عن الآخر في القيام بوظيفة الإضافة، وأمَّا قوله:

يا أبتي لازلت فينا فإنما لنا أملٌ في العيشِ مادمتَ عائشا[١٤٩]

فضرورة، وأخذ ابن مالك أيضًا في (الخلاصة) برأي البصريين قال:

وفي النِّدَا ((أَبَتِ، أُمَّتِ)) عَرَضْ وَاكْسِرْ أَو افْتَحْ ومن اليَّا التَّا عِوَضْ

وقوله: (واكسر أو افتح) يعني أنه يجوز في التاء في (يا أبتِ ويا أُمّتِ) الكسر والفتح. وبهما قُرِئَ[١٥٠] في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾[١٥١] ونظائرها.

٣- التاء اللاحقة ببعض الجموع كتاء (زنادقة، وجَحَاجِحَة، وبطارقة)[١٥٢] عوضٌ من الياء التي في (زناديق، وجَحَاجيح، وبطاريق) كما ذكر سيبويه[١٥٣] وغيره[١٥٤] من العلماء، ولا يجوز إخلاء الجموع منهما معًا ولا الجمع بينهما فلا يقال: (زناديقة، وجحاجيحة، وبطاريقة) وسرُّ التنافي بين التّاء والياء اتفاقهما في الدلالة على الجمعية. فيُستغنى بإحداهما عن الأخرى؛ إذ لا حاجة إليهما معًا.

٤-الألف التي قبل لام الكلمة في نحو (شآمي – ويماني) نسبةً إلى (الشَّأم) و(اليمن) عوض من إحدى ياءي النَّسب كما ذكر سيبويه[١٥٥] ومَنْ[١٥٦] تابعه؛ لأن القياس في النّسب إلى (الشّأم) شَأْمِيٌّ (بياء مشددة)، وإلى (اليمن) يَمَنِيٌّ، فخففوه بأن حذفوا إحدى الياءين وعوضوا منها ألف قبل لام الكلمة؛ ولذا لا يجوز الجمع بينهما فلا يُقال: (شآميٌّ، ويمانيٌّ)، وسرُّ المنافاة بينهما اتفاقهما في الدلالة على النسبة وإحداهما تغني عن الأخرى في أداء هذه الوظيفة.

٥- همزة الوصل في (ابن، واسم) ونظائرهما عوض عن اللام المحذوفة منهما. قال الجوهريّ: ((ابن. أصله بَنَوٌ، والذاهب منه واو ... والنِّسبة إلى ابن، بَنَوِيّ وبعضهم يقول: ابْنِيٌّ؛ لأن ألف الوصل عوض من الواو، فإذا حذفتها فلابُدَّ من ردّ الواو))[١٥٧].

ومثله اسم عند البصريين[١٥٨] فهو مشتق من السّمو، والذاهب منه واو؛ لأن تصغيره (سُمَيٌّ) قُلبتْ واوه ياءً وأدغمتْ في ياء التصغير. وإذا نسبتَ إليه قلتَ: سَمَويّ، وإنْ شئتَ (اسْمِيّ[١٥٩]، وهمزة الوصل في أوله عوض عن الواو المحذوفة من آخره.

((تنافي الضمير والوصف))

من قواعد النحاة الشهيرة أن المضمر لا يُوصَفُ، وما أحسنَ استثمارَ الشاعر هذه القاعدةَ النحويةَ حين قال متغزلاً:

أضمرتُ في القلب هوى شادن مُشْتَغِلٍ بالنّحو لا يُنْصِفُ
وصَفْتُ ما أَضْمَرْتُ يَومًا لَهُ فَقَالَ لي: المضْمَرُ لا يُوصفُ[١٦٠]

وقال الزَّجاجي: ((لو قُلْتَ: ضربتُهُ الكريمَ، أو مررتُ بهِ العاقلِ على النّعت لم يجز، فإنْ جعلته بدلاً جاز))[١٦١].

وعِلَّةُ التَّنافي بين الضمير والوصف ذكرها سيبويه إذْ قال: ((واعلم أَنَّ المضمر لا يكون موصوفًا، من قبل أنك تُضْمِرُ حين تُرى أَنَّ المُحَدَّثَ قد عَرَفَ مَنْ تَعني))[١٦٢].

وشَرْحُ كلامه أَنَّ المضمر لا يُوصفُ من أجل أن المتكلم لا يُضْمِرُ مِنَ الأسماءِ إلاّ ماكان معروفًا عند السَّامع، وحينئذٍ يستغني المضمرُ المعروفُ عن الوصف.

وقريبٌ من قولِ سيبويه قولُ المبرّد: ((المضمرُ لا يوصفُ؛ لأنه لا يُضْمرُ حتى يُعْرف))[١٦٣].

وقريبٌ منهما قولُ الزجاجيّ: ((واعلم أنّه يجوز أن تنعتَ الأسماءَ كُلَّها إلاّ المضمرَ فإنه لا يُنْعَتُ؛ لأنَّ الاسم لا يُضمر إلاّ بَعْدَ أَنْ يُعْرَفَ، فقد استغنى عن النَّعت))[١٦٤].

وقد بسط هذه العلَّةَ وزادها إيضاحًا الرّضيُّ إذْ قال:((اعلم أن المضمر لا يوصف...؛ لأن المتكلم والمخاطب منه أعرف المعارف، والأصل في وصف المعارف أَنْ تكون للتوضيح، وتوضيحُ الواضح تحصيلٌ للحاصل. ولم يُوصف الغائب؛ إمَّا لأن مفسِّره في الأغلب لفظيّ فصار بسببه واضحًا غير محتاج إلى التوضيح المطلوب في وصف المعارف في الأغلب، وإمَّا لحمله على المتكلم والمخاطب؛ لأنه من جنسهما))[١٦٥].

وخلاصة القول في علَّة التَّنافي بين الضمير والوصف أَنَّ الضميرَ لكونه أعرف المعارف استغنى بتعريفه عن الوصف الذي يُؤتى به لتوضيح المعارف.

وخالف الكسائيُّ[١٦٦] في ضمير الغائب فأجاز نعته نحو ((مررتُ بهِ المسكينِ)) . وأيده ابن مالك في (شرح التسهيل)[١٦٧] بشرط أن يكون النعت لمدح أو ذم أو ترحم.

((تنافي إضافة الشيء إلى نفسه))

الأصلُ في الإضافة مغايرة المضاف للمضاف إليه نحو (غلامُ زيدٍ) فالمضاف وهو (غلام) غير المضاف إليه وهو (زيد).

وإضافة الشيء إلى نفسه لا تصح[١٦٨]، فلا يُضاف اسم إلى مرادفه كـ (قمحُ بُرٌّ) و(ليثُ أسدٍ). ولا يُضاف موصوف إلى صفته كـ (زيدُ العاقلِ) و(رجلُ فاضلٍ).

وعِلَّةُ هذا الامتناع والتنافي هي اتّفاق المضاف والمضاف إليه في الماهيّة، فهما شيء واحد، أو عين واحدة، وليسا متغايرين. وما هو موجود في المضاف موجود في المضاف إليه، ومن ثَمَّ استغنى المضاف بما فيه عن المضاف إليه الذي هو نفسه.

قال أبو الفتح: ((الشيء لا يُضاف إلى نفسه، فإن قيل: ولِمَ لَمْ يضف الشيء إلى نفسه؟، قيل: لأن الغرض في الإضافة إنما هو التعريف والتخصيص، والشيء إنما يُعَرِّفه غيرُه؛ لأنه لو كانت نفسه تُعَرِّفه لما احتاج أبدًا أَنْ يُعَرَّفَ بغيره؛ لأن نفسه في حالي تعريفه وتنكيره واحدة، موجودة غير مفتقده، ولو كانت نفسه هي المُعَرِّفة له أيضًا لما احتاج إلى إضافته إليها؛ لأنه ليس فيها إلاّ ما فيه، فكان يلزم الاكتفاء به عن إضافته إليها))[١٦٩].

ومن أجل هذا التنافي منع البصريون[١٧٠] إضافة الشيء إلى نفسه، وأوجبوا فيما ظاهره أنه من إضافة الشيء إلى نفسه التأويلَ في المضاف أو المضاف إليه حتى يصيرَ أحدُهما غيرَ الآخر.

وأجاز الكوفيون[١٧١] إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان دون تأويل، واحتجوا بورود ذلك في كتاب الله وكلام العرب. ومن شواهدهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾[١٧٢]، والأصل: الحق اليقين، فأضاف الموصوف إلى الصفة، ومن ذلك قول العرب: (صلاة الأولى، ومسجد الجامع، وبقلة الحمقاء)[١٧٣]. وتأوّل البصريون هذه الشواهد وأمثالَها على حذف المضاف إليه، وإقامة صفته مقامه، فتأويل الآية عندهم: حقُّ الأمرِ اليقين، وتأويل أقوال العرب: صلاةُ الساعةِ الأولى، ومسجدُ المكانِ الجامع، وبقلةُ الحبّةِ الحمقاء.

المبحث الثالث

((تنافي الاختصاص))

تختصُّ بعض ألفاظ اللغة داخل التركيب بنوع معين من الكلم لا تتعداه إلى غيره، وتشيع ظاهرة الاختصاص في الحروف والأدوات، ويعرّفُ أستاذنا الدكتور/ تمام حسّان هذه الظاهرة قائلاً: ((الاختصاص: معناه أن يدخل الحرف على مدخول بعينه، وإنْ كان ذلك له بسبب لفظه لا بسبب معناه))[١٧٤].

أي أن اختصاص الحرف بمدخول معين يعود إلى لفظ ذلك الحرف وليس إلى المعنى الذي يؤديه الحرف. ومَثَّل بـ (لم) التي تَختَصُّ بالدخول على المضارع على الرّغم من أَنَّ معناها النفي، وهو معنى عام يمكن التعبير عنه بطرق مختلفة وتشاركها فيه (ما) النافية وهي ليست مختصة؛ لدخولها على الجملة الاسمية كما في قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾[١٧٥] وعلى الجملة المنسوخة ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾[١٧٦] وعلى الجملة الفعلية ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾[١٧٧].

ومتى كانت الأداة مختصةً بمدخول معين فإنها تتنافى مع ما عداه من أنواع الكلم. فإذا كانت (لم) تختصّ بالدخول على المضارع فإنها تتنافى مع الماضي والأمر، ومن باب أولى أن تتنافى مع الأسماء.

وإذا كانت حروف الجرّ مختصةً بالدخول على الأسماء فإنها تتنافى مع الأفعال ... وهكذا، وقد سَمَّيتُ هذا النوع من التنافي (تنافي الاختصاص)؛ لأنَّ عِلَّةَ التنافي فيه ترجع إلى اختصاص اللفظ بمدخول معين ودونك – الآن – ظواهر وأمثلة هذا النوع من التنافي.

الحروف التي تختص بالأسماء وتتنافى مع غيرها:

تختص حروف الجرّ بالدخول على الأسماء فلا تليها الأفعال ولا الحروف. ومن أجل هذا الاختصاص جعل النُّحاة قبول الكلمة للجرّ علامة على اسميتها. ومعنى ذلك أنّه حين نجد حرف الجرّ في تركيب ما، فإنَّ وجوده يتنافى ووقوعَ الفعل بعده، فنستبعد أَنْ يليه فعلٌ.

ومن أجل هذا التنافي بين حروف الجرّ والأفعال اختلف النحاة في فعلية (نعم وبئس)، لمجيئهما في بعض التراكيب مسبوقين بحرف الجرّ، كما في قول الأعرابي الذي بُشِّر بمولودة: ((والله ما هي بنعم الولد: نصرها بكاء، وبرُّها سرقة))[١٧٨]. وقول الآخر – وقد سار إلى محبوبته على حمار بطيء –: ((نعم السّيرُ على بئس العَيْر))[١٧٩].

فذهب الكوفيون[١٨٠] ماعدا الكسائي إلى أن (نعم وبئس) اسمان، لدخول حرف الجرّ عليهما. أي أنّهم أخذوا بظاهر التركيب، وأبقوا حرف الجرّ على اختصاصه فحكموا على ما بعده بالاسمية.

وذهب البصريون[١٨١] والكسائي[١٨٢] وجمهور النُّحاة المتأخرين[١٨٣] إلى أنّهما فعلان ماضيان لا يتصرفان. ولجأوا إلى التأويل؛ لدخول حرف الجرّ عليهما، وحرف الجرّ يتنافى مع الأفعال.

فأبقوا حرف الجرّ على اختصاصه ولكنهم جعلوه داخلاً على اسم محذوف، والتقدير في الأول: واللّهِ ما هي بولدٍ مقولٍ فيه نعم الولد، وفي الثاني: نعم السَّيرُ على عَيْرٍ مقولٍ فيه بئس العيرُ.

كما دخل حرف الجرّ على اسم محذوف في قول الشاعر:

واللّهِ ما ليلي بنامَ صاحبُه ولا مخالط اللَّيان جانبه[١٨٤]

وحين نجد حرف الجرّ في تركيب ما فإنَّ وجوده أيضاً يتنافى ووقوعَ الحرفِ بعده، إلاّ إن كان ذلك الحرفُ مؤولاً بالاسم، كما في قول مُزاحم العُقيلي:

غَدَتْ مِنْ عليه بعد ما تمَّ ظِمْؤُها تَصِلُّ وعن قيضٍ بزيزاءَ مَجْهَلِ[١٨٥]

فعلى في البيت اسم بمعنى فوق؛ ولذا دخلت عليه مِنْ الجارّة، أي: غدت من فوقه، ولو بقي (على) على أصله وحرفيته لتنافى ودخول مِنْ عليه؛ لأن حرف الجرّ لا يدخل على مثله.

وكقول قطريٍّ بن الفُجاءة:

ولقد أراني للرماح دَرِيئةً مِنْ عن يميني تارة وأمامي[١٨٦]

فعن في البيت اسم بمعنى جانب؛ ولذا دخلت عليه مِنْ الجارّة، أي: من جانب يميني.

وهناك من حروف الجرّ ما تضيق دائرة اختصاصه بالأسماء فلا يصلح للدخول على الأسماء كلّها، وإنما يختصُّ بنوع معين، كأحرف الجرّ التي تختصّ بجر الاسم الظاهر، وهي سبعة: (مُنْذُ، مُذْ، حتى، الكاف، الواو، رُبَّ، التاء) وقد جمعها ابن مالك في قوله:

بالظاهرِ اخْصُصْ مُنْذُ، مُذْ، وحتى والكافَ، والواوَ، ورُبَّ، والتّا

فهذه الأحرف السبعة[١٨٧] تختصّ بجر الاسم الظاهر، وتتنافى مع الدخول على الضمائر وهي من قبيل الأسماء، وقد أفرد سيبويه بابًا في الكتاب عن (ما لا يجوز فيه الإضمار من حروف الجرّ)[١٨٨]. ذكر فيه من هذه الأحرف: الكاف وحتى ومُذْ، ولكنه لا يخالف في البواقي كما ذكر الشاطبي[١٨٩]؛ إذ ذكر أحكام البواقي في مواضعها[١٩٠].

فتتنافى ((مُنْذُ، ومُذْ)) مع الضمير، فلا تجرانه[١٩١]، لا يُقال: ((مُنْذُه، ومُذْه)). قال سيبويه: ((استغنوا عن الإضمار في مُذْ بقولهم: مُذْ ذاك؛ لأنَّ ذاك اسم مبهم))[١٩٢].

ومُنْذ كمُذْ؛ لأنها أصلها[١٩٣].

وتتنافى "حتى" مع الضمير، فلا تجرّه، لا يُقال: ((حتَّاك وحتَّاه)).

ذكر ذلك سيبويه في معرض حديثه عن إلى حين قال: ((وهي أعمُّ في الكلام من حتى، تقول: قمتُ إليه، فجعلته منتهاك من مكانك، ولا تقول: حتَّاه))[١٩٤].

وتابعه كثيرون[١٩٥]، وأجاز الكوفيون والمبرد[١٩٦] جَرَّها للضمير.

وذكر سيبويه علةَ التنافي بين حتى وجرّها للضمير، قال: ((استغنوا عن الإضمار في حتى بقولهم: رأيتهم حتى ذاك ... وبالإضمار في إلى، إذا قال: دعه إليه؛ لأن المعنى واحد))[١٩٧].

أي: أنَّ العرب استغنت عن جَرّ حتى للضمير بجرها لاسم الإشارة المبهم في قولهم: حتى ذاك، وبجرّ إلى للضمير؛ لأن معنى إلى انتهاء الغاية مثل حتى.

ورُبَّما جاءت "حتى" داخلة على الضمير وجارّة له في الشِّعر، ومنه قول الشاعر:

فلا واللهِ لايُلفِي أُناسٌ فتًى حتَّاك يا ابن أبي زيادِ[١٩٨]

وقول الآخر:

أتت حتَّاك تقصد كلَّ فج تُرَجِّي منك أَنَّها لا تخيبُ[١٩٩]

وتتنافى الكاف مع الضمير، فلا تجرّه[٢٠٠]، لا يُقال: ((كَهُ، وكَكَ، وكِي)) خلافًا لأبي العباس المبرد[٢٠١].

وعلة التنافي بين الكاف وجَرِّها للضمير أَنَّ العرب استغنت عن جرّها للضمير بجرّ مثل وشبه له، قال سيبويه: ((استغنوا بقولهم مثلي وشبهي عنه[٢٠٢]، فأسقطوه))[٢٠٣].

ورُبَّما جاءت الكاف جارّة للضمير في الشِّعر للضرورة، قال سيبويه:

((إلاّ أن الشّعراء إذا اُضطُروا أضمروا في الكاف فيجرونها على القياس))[٢٠٤].

ومنه قول العجاج:

خلَّى الذّنابات شمالا كثبا وأُمَّ أوعال كها أو أقربا[٢٠٥]

وقول رؤبة:

فلا ترى بعلا ولا حلائلا كَهُ ولاكَهُنَّ إلاّ حاظلا[٢٠٦]

وتتنافى واو القسم وتاؤه مع الضمير فلا يجرّانه[٢٠٧]، يُقال:واللهِ وتاللهِ، ولا يقال: (وَهْ) ولا (تَهُ) ونحو ذلك.

فإذا أرادت العرب التكنية عن المحلوف به والإتيان بضميره أتوا بباء القسم التي هي أصل حروف القسم؛ لأنها تجرّ الظاهر والمضمر. قال أبو علي الفارسي في معرض الحديث عن واو القسم: ((وإنما تستعمل مع الاسم المظهر، فإذا كَنَّيْتَ عن المحلوف به رددتَ الباء فقلت: به لأفعلنَّ)) [٢٠٨].

أي: أن علة تنافي واو القسم وتائه مع الضمير هي استغناء العرب بجرّ الباء لضمير المحلوف به عن جَرِّهما له.

وتتنافى "رُبَّ" مع الضمير فلا تدخل عليه باقياً على تعريفه، فإذا سُلب منه التعريف دخلت عليه، نحو قولهم: ((رُبَّه رجلا)).

فالهاء في رُبَّه ضمير مبهم لا يدل على معيّن، فهو نكرة في المعنى ودليل ذلك أن مفسِّره لا يكون إلاّ نكرةً؛ إذ لا يقال: رُبَّه زيدًا.

وحكى أبو حيان[٢٠٩] رأيين للنحاة في هذا الضمير: مذهب الفارسي[٢١٠] وكثير من النّحاة أنه معرفة وجرى مجرى النكرة في دخول رُبّ عليه لمّا أشبهها في أنه غير معيَّن. وذهب بعض النحويين إلى أنه نكرة وهو اختيار الزمخشري[٢١١] وابن عصفور[٢١٢].

وعندي أن الرأيين متقاربان.

وجَرّ (رُبَّ) لهذا الضمير المبهم لا يختص بالضرورة وليس بالقليل ولا الشّاذ[٢١٣].

ويلزم هذا الضمير الإفراد والتذكير عند البصريين[٢١٤] فيقال: رُبّه رجلا، ورُبّه امرأةً، ورُبّه رجلين، ورُبَّه رجالاً، ورُبَّه امرأتين، ورُبَّه نساءً.

وأجاز الكوفيون[٢١٥] فيه التثنية والجمع والتأنيث.

ثُمَّ إن تلك الأحرف السَّبعة التي تختص بجرّ الاسم الظاهر، منها ما يضيق دائرة اختصاصه، فيختصّ بنوع معين من الأسماء الظاهرة ويتنافى مع سائرها، وقد أشار ابن مالك إلى تلك الأحرف وما تختص به في (الخلاصة) قال:

واخصصْ بمُذْ ومُنْذُ وقتًا وبرُبْ منكَّرًا، والتاء للّه ورَبْ

فمُذْ ومُنْذُ لا يجرّان إلاّ أسماء الزمان[٢١٦]، كقولك: ما رأيته مُذْ يومِ الجمعة، وما رأيته مُنْذُ يومين.

وتتنافى مُذْ ومُنْذُ مع سائر الأسماء الظاهرة، فلا تدخلان عليها.

وتختصّ ((رُبَّ)) بجرّ النكرة[٢١٧]، كقولك: ((رُبَّ رجلٍ عالم لقيت))، وتتنافى مع المعرفة، فلا تدخل عليها، لا يُقال: رُبَّ زيد لقيتُ، وما جاء من قولهم: (رُبَّه رجلاً) فقد تقدّم الاعتذار عنه بأن هذا الضمير الذي دخلت عليه (رُبّ) أشبه النكرة؛ لكونه مبهما.

وتاء القسم تختصّ بلفظ الجلالة (الله)، نحو قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ﴾[٢١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾[٢١٩] ولا تجرّ سواه عند سيبويه[٢٢٠] وكثير من النحويين[٢٢١].

وحكى الأخفش[٢٢٢] تَرَبِّي وتَرَبِّ الكعبة، وحكى بعضهم[٢٢٣]: تَالرحمنِ وتَحَيَاتِكَ، وذلك شاذ.

وتتنافى تاء القسم مع سوى هذه الألفاظ، ونلحظ أنَّه كلَّما ضاقت دائرة الاختصاص اتّسعت دائرة التنافي.

التنوين:

التنوين من خواصّ[٢٢٤] الاسم وعلامة من علاماته، وهو: ((نون ساكنة زائدة تلحق الآخر لفظاً ووصلاً، لا خَطًّا ووقفا)) [٢٢٥].

كقولك: ((رَجُلٌ، صَهٍ، جوارٍ، مسلماتٍ، حينئذٍ)).

ويتنافى التنوين مع الفعل والحرف فلا يُنَوَّنان. واعترض بعضُ[٢٢٦] النحاة على كون التنوين من خواصّ الاسم؛ بأن هناك نوعين[٢٢٧] من التنوين لا يختصّ بهما الاسم، فيكونان فيه وفي الفعل والحرف.

الأول: تنوين الترنم: وهو اللاحق للقوافي المطلقة، أي: التي آخرها حرف مدّ، عوضًا عن مدّة الإطلاق في لغة[٢٢٨] تميم وقيس.

وقد لحق هذا التنوينُ الاسمَ والفعلَ في قول جرير:

أقلي اللّومَ عاذلَ والعتابَنْ وقولي إنْ أصبتُ لقد أصابَنْ[٢٢٩]

ولحقَ الحرفَ في قول النابغة:

أزفَ التَّرحلُ غيرَ أنَّ ركابَنا لمّا تزلْ برحالنا وكأَنْ قَدِنْ[٢٣٠]

الثاني: التنوين الغالي، وأثبته الأخفش[٢٣١]، وهو: اللاحق للقوافي المقيَّدة، أي: التي يكون فيها الرَّويُّ حرفًا صحيحًا ساكنا.

وسمَّاه غاليًا من الغلو وهو الزّيادة؛ إذ إنَّ هذا التنوين زيادة على وزن البيت.

لحق هذا التنوينُ الاسمَ في قول رؤبة بن العجاج:

وقاتمِ الأعماقِ خاوي المخترقْنْ[٢٣٢]

ولحقَ الفعلَ في قولِ امرئ القيس:

أَحارِ بنَ عمرٍو كأني خَمِرنْ ويعدو على المرء ما يأتمرْنْ[٢٣٣]

ولحقَ الحرفَ في قول رؤبة بن العجاج:

قالتْ بناتُ العَمِّ يا سلمى وإنِنْ كان فقيرًا مُعْدِمًا قالتْ وإنِنْ[٢٣٤]

وبعد النَّظر في أقوال العلماء في هذه المسألة أجدني أميل إلى ما ذهب إليه المراديُّ[٢٣٥] وابن هشام[٢٣٦] وغيرهما[٢٣٧]، مِنْ أَنَّ تنوين الترنّم والغالي نونان زِيدَتا في الوقف وليسا من أنواع التنوين في شيء؛ لمغايرتهما التنوينَ من عدّة أوجه: ((ثبوتهما مع أَلْ، وفي الفعل والحرف، وفي الخط والوقف، وحذفهما في الوصل)) [٢٣٨].

فإطلاق التنوين عليهما مجاز لا حقيقة، ويؤيد ذلك أَنَّ سيبويه في الكتاب حين عرض لمّا يُسمِّيه بعض النّحاة (تنوين الترنم) لم يُسَمِّه تنوينًا، بل سمَّاه نونًا، قال: ((وأمَّا ناسٌ كثير من بني تميم فإنه يُبدلون مكان المدَّة النّون ...))[٢٣٩] ثم ذكر شواهد على ذلك.

وقال أبو الحجاج يوسف بن معزوز[٢٤٠]: ((ظاهر قول سيبويه في الذي يُسمّونه تنوين الترنم أنه ليس بتنوين، وإنّما هو نون تتبع الآخر عوضاً عن المدّة))[٢٤١].

نخلص من هذا إلى أن التنوين كلَّه من خواصّ الاسم ويتنافى مع الفعل والحرف. وما دخل عليهما في الشواهد السابقة ليس تنوينًا عند التحقيق كما أسلفت.

أدوات النّداء:

وهي: ((يا، أي، الهمزة، أَيَا، هَيَا، آ (بالمد)، "وا" التي تستعمل في النّدبة)) . كلّها تختصّ بالدخول على الأسماء[٢٤٢]، ومن أجل هذا جعل النّحاة قبول الكلمة للنداء علامةً على اسميتها.

ويتنافى النِّداء مع النوعين الآخرين للكلمة وهما الفعل والحرف، فإنْ باشرتْ أداة النّداء أحد هذين النوعين، كالفعل في قوله تعالى:﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾[٢٤٣] في قراءة الكسائي[٢٤٤] وغيره[٢٤٥].

وقول ذي الرّمة:

ألا يا اسْلمي يا دار مَيّ على البلى ولازال منهلاً بجرعائك القطرُ[٢٤٦]

وكالحرف في قوله تعالى:﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ ﴾[٢٤٧].

فلابُدَّ من التأويل؛ للتنافي بين (يا) النّداء ومدخولها في هذه الشواهد، وقد تأوّلها العلماء بأحد تأويلين:

الأول: أن تكون أداة النّداء خرجتْ عن معناها الأصلي وهو النّداء إلى معنى آخر وهو التنبيه.

هذا الرأي أخذ به الأخفش[٢٤٨] وأبو علي الفارسي[٢٤٩] وابن جني[٢٥٠] وأبو حيان[٢٥١].

الثاني: أَنْ تكون أداةُ النّداء باقيةً على أصلها، ويكون المنادى محذوفًا، تقديره في الآيتين السابقتين: يا قوم، أو يا هؤلاء، وفي بيت ذي الرّمة: ألا يا هذه اسْلمي.

هذا الرأي أَخذ به الفراء[٢٥٢] وأبو جعفر النّحاس[٢٥٣] وابن خالويه[٢٥٤] وابن الشّجري[٢٥٥] وابن الأنباري[٢٥٦] وابن مالك[٢٥٧] والرّضي[٢٥٨].

((أل)) التعريف:

تختصّ (أَلْ) التعريف بالدّخول على الأسماء[٢٥٩]، ومن أجل ذلك جعل النحاة قبول الكلمة (أَلْ) التعريف علامة على اسميتها، وتتنافى "أل" التعريف مع قسمي الكلمة الآخرين وهما: الفعل والحرف، فلا تدخل عليهما.

ويعلل ابن يعيش اختصاص "أل" بالاسم بقوله: ((وإنما كان التعريف مختصًا بالاسم؛ لأن الاسم يحدّث عنه، والمحدّث عنه لا يكون إلاّ معرفةً، والفعل خبر، وقد ذكرنا أن حقيقة الخبر أن يكون نكرة، ولا يصحّ أيضًا تعريف الحرف؛ لأنه لمّا كان معناه في الاسم والفعل صار كالجزء منهما، وجزء الشيء لا يوصف بكونه معرفة ولا نكرة، فلذلك كانت أداة التعريف مختصةً بالاسم))[٢٦٠].

ومن أجل التنافي بين "أل" التعريف والأفعال حكم النُّحاة[٢٦١] على (أل) الداخلة على الفعل المضارع في بعض أشعار العرب بأنها موصولةٌ بمعنى الذي وليستْ مُعَرِّفةً، كقول الفرزدق:

ما أنت بالحكم التُرضى حكومتُه ولا الأصيلِ ولا ذي الرأي والجدلِ[٢٦٢]

وقول ذي الخرَق الطُّهَويّ:

يقولُ الخنى وأبغضُ العجم ناطقًا إلى ربّنا صوتُ الحمارِ اليُجدّعُ[٢٦٣]

وقوله أيضاً:

ويُستخرج اليربوعُ من نافقائه ومن جُحره بالشِّيحة اليتقصّعُ[٢٦٤]

الإسناد:

يختصُّ الاسم بالإسناد إليه[٢٦٥]، أي: الإخبار عنه، كقولك ((زيدٌ قائمٌ)) و ((قام زيدٌ)) فأخبرتَ عن زيد في المثالين بالقيام، وكلُّ ما صحَّ الإخبار عنه فهو اسم.

قال ابن هشام: ((وهذه العلامةُ أنفع العلامات المذكورة للاسم، وبها استدل على اسمية التاء في (ضربتُ)، ألا ترى أنها لا تقبل (أَلْ)، ولا يلحقها التنوين، ولا غيرهما من العلامات التي تذكر للاسم سوى الحديث عنها فقط))[٢٦٦].

أما الفعل والحرف فيتنافيان مع الإسناد إليهما، فالفعل يُسندُ ولا يُسند إليه، أي: يُخبر به ولا يُخبر عنه.

قال ابن السَّراج في الإخبار عن الفعل: ((ولايجوزُ أَن تقول: ذهب يقوم، ولا يقوم يجلس[٢٦٧].

وقال أبو علي الفارسي: ((ولو أُسند إلى الفعل شيء فقيل: ضحِكَ خرجَ، أو كتبَ ينطلقُ وما أشبه ذلك لم يكن كلامًا))[٢٦٨].

والحرف لا يُخبر به ولا يُخبر عنه قال ابن السَّراج: ((الحرفُ: مالا يجوز أَنْ يُخبر عنه كما يُخبر عن الاسم، ألا ترى أنك لا تقول: إلى منطلقٌ، كما تقول: الرجل منطلقٌ ... ولا يجوز أَنْ يكون خبرًا، لا تقول: عمرٌو إلى))[٢٦٩].

فإنْ ورد إسناد إلى غير الاسم فعلى تأويل الاسم كقولهم:

(تسمعُ بالمُعَيْدِيّ خيرٌ من أن تراه)[٢٧٠].

فظاهر هذا المثل أن الفعل (تسمعُ) مخبرٌ عنه بـ (خير). ولم يصح فيه ذلك إلاّ لتأويله بالاسم (فتسمع) منسبك مع أَنْ المحذوفة بمصدر، والأصل: أَنْ تسمع، أي: سماعك، فحذفتْ (أَنْ)، وحَسَّنَ حذفَها وجودُها في (أَنْ تراه)، وقد رُوي أَنْ تسمَع على الأصل))[٢٧١].

الحروف التي تختص بالفعل وتتنافى مع غيره:

أدوات الشرط تقتضي الأفعال وتختص[٢٧٢] بها دون غيرها، فلا يجوز أَنْ تليها الأسماء؛ والعلةُ في ذلك كما ذكر ابن يعيش: ((أن الشرط لا يكون إلاّ بالأفعال؛ لأنك تعلّق وجود غيرها على وجودها، والأسماء ثابتة موجودة ولا يصلح تعليق وجود شيء على وجودها ولذلك لا يلي حرف الشرط إلاّ الفعل))[٢٧٣].

وهذا هو السِّر في أَنَّ العرب التزمت الفعل بعدها، تقول: ((إنْ جئتني أكرمتك)) فقد شُرط الإكرام بالمجيء، والمجيء ليس موجودًا وقت التكلم ويحتمل أَنْ يُوجدَ وألاّ يُوجدَ.

ومن أجل هذا تتنافى أدوات الشرط مع الجملة الاسمية فلا تدخل عليها، فلا يقولون: إنْ زيدٌ أبيضُ فأكرمه؛ وذلك لأن الجملة الاسمية تفيد الثبوت، وقد علمنا أَنَّ الشرط إنما يكون بما ليس في الوجود، ويحتمل أن يوجد وألاّ يوجد[٢٧٤].

ومن أجل هذا التنافي بين أدوات الشرط والجملة الاسمية رأينا جمهور النّحاة يصرون على تقدير فعل مضمر إذا ولي أداة الشرط اسم مرفوع نحو قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾[٢٧٥] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾[٢٧٦] وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[٢٧٧].

فارتفاع الاسم عند جمهور[٢٧٨] النَّحاة بفعل مضمر يفسره المذكور بعده وتقديره: وإنْ استجارك أحد من المشركين استجارك، وكذلك نظائره.

واستدل[٢٧٩] هؤلاء النَّحاة على أن العرب قالت: ((إنْ زيدٌ جاءك فأكرمه)) ونيتها إضمار فعل بعد أداة الشرط أَنَّ الفعل المفسِّر قد جاء مجزومًا بعد الاسم الواقع بعد أداة الشرط في بعض أشعارهم، ومنه قول عدي بن زيد:

متى واغلٌ يَنْبُهم يُحَيُّو ... هُ وتُعْطَفْ عليه كأسُ السَّاقي[٢٨٠]

ومنه قول كعب بن جُعيل:

صعدةٌ نابتةٌ في حائرٍ ... أينما الرّيحُ تُميلُها تَمِلْ[٢٨١]

فَجَزْمُ الفعلين (يَنْبُهم) في البيت الأول، و (تُميلُها) في الثاني، لا يكون إلاّ على أنهما مفسِّران لفعل الشّرط المحذوف الرافع لـ (واغل) في البيت الأول، و (الرّيح) في الثاني.

ولا يصحّ أَنْ نجعل هذين الفعلين خبرين عن (واغل) و (الرّيح) على قول مَنْ[٢٨٢] يجيز إعراب الاسم الواقع بعد أداة الشّرط مبتدأ؛ إذ لا يكون ثَمَّة مقتضٍ لجزمهما.

ومن الأدوات التي تختص بالدخول على الأفعال وتتنافى والنوعين الآخرين للكلمة أدوات العرض والتحضيض، يقول سيبويه: ((وأمَّا ما يجوز فيه الفعل مضمرًا ومظهرًا، مقدّمًاومؤخرًا، ولا يستقيم أَنْ يُبتدأ بعده الأسماء فهلاّ، ولولا، ولوما، وألا))[٢٨٣] . ويقول ابن الشّجري: ((وأمَّا التحضيض فإنه داخل في حيز الأمر ... واختصاصه بالفعل كاختصاص الشرط بالأفعال، تقول: هلاّ أكرمت زيدا، ولولا تعطي جعفرًا، وفي التنزيل:﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ ﴾[٢٨٤].

وقال عنترة:

هَلاَّ سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالك إنْ كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي[٢٨٥]

ومن أجل اختصاص هذه الأدوات بالأفعال وتنافيها والدخول على الأسماء رأينا النّحاة يضمرون فعلاً بعدها إنْ وليتها الأسماء، يقول الزمخشري: ((وإنْ وقع بعدها اسمٌ منصوبٌ أو مرفوعٌ كان بإضمار رافع أو ناصب))[٢٨٦].

أي: من الأفعال . ومن الشواهد على مجيء الاسم بعدها، وهو على إضمار فعل قول جرير:

تَعُدّون عقر النِّيبِ أفضلَ مجدكم بني ضَوْطَرى لولا الكَميَّ المقَنَّعَا[٢٨٧]

فالناصب للكميّ فعل مضمر بعد لولا، تقديره: لولا تعدّون الكميَّ، أو لولا عددتم، وإنْ شئتَ قدّرتَ: لولا عقرتم أو تعقرون، بدلالة (العَقْر) عليه.

ومنه قول الشاعر:

الآن بعد لَجَاجَتي تَلْحونني هَلاّ التّقدمُ والقلوبُ صِحَاحُ[٢٨٨]

وقع الاسم المرفوع (التّقدمُ) بعد (هَلاّ)، وهو فاعل لفعل مضمر تقديره عند ابن عقيل[٢٨٩] والمالقي[٢٩٠] هَلاّ وُجِدَ أو حدث التّقدمُ،وهو عند المرادي[٢٩١] على إضمار (كان) التّامة.

وقد تلي حروفَ التحضيض جملةٌ اسمية كقول الشاعر:

ونبئتُ ليلى أرسلت بشفاعة إليَّ فهلاّ نفسُ ليلى شفيعُها[٢٩٢]

وهو شاذ نادر، وخرَّجه ابن مالك[٢٩٣] وغيره[٢٩٤] على إضمار كان الشانية، وجعلِ الجملة المذكورة خبرها، والتقدير: فهلاّ كان الأمر والشأن نفس ليلى شفيعها.

والذي ألجأ النُّحاةَ إلى إضمار فعل بعد أدوات التحضيض في الشواهد المتقدمة ما ثبت لديهم من اختصاص تلك الأدوات بالأفعال وتنافيها مع الأسماء.

ومن الحروف التي تختص بالدّخول على الأفعال وتتنافى مع غيرها حروفٌ تضيق دائرة دخولها على الأفعال، فتختصّ بالدّخول على الأفعال المضارعة دون غيرها. تلك هي الحروف العوامل، الناصبة والجازمة للمضارع.

فالحروف الناصبة للمضارع ((أَنْ، لَنْ، كي، إذن)) تتنافى مع الماضي والأمر من الأفعال

وتتنافى مع الأسماء، فلا يجوز أَنْ تلي الأسماءُ هذه الحروفَ، بل إنَّه لا يجوز لك الفصل[٢٩٥] بين الناصب والمضارع بالاسم، قال سيبويه في (باب الحروف التي لا تقدَّم فيها الأسماءُ الفعلَ): ((فمن تلك الحروف الحروفُ العوامل في الأفعال الناصبةُ، ألا ترى أنك لا تقول: جئتك كي زيدٌ يقولَ ذاك، ولا خِفتُ أَنْ زيدٌ يقولَ ذاك، فلا يجوز أَنْ تفصل بين الفعل والعامل فيه بالاسم))[٢٩٦].

والحروف الجازمة للمضارع: ((لَمْ، لَمّا، لا الناهية، لام الأمر)) كالنَّاصبة له في تنافيها مع الماضي والأمر من الأفعال، وتنافيها مع الأسماء.

قال ابن السراج: ((من الحروف ما يدخل على الأفعال فقط، ولا يدخل على الأسماء، وهي التي تعمل في الأفعال فتنصبها وتجزمها نحو ((أَنْ)) في قولك: أريد أَنْ تذهبَ، فتنصب، و((لم)) في قولك: لم يذهبْ، فتجزم، ألا ترى أنه لا يجوز أَنْ نقول: لم زيد، ولا: أريد أَنْ عمرو[٢٩٧]))[٢٩٧].

ولا يجوز لك أيضاً الفصل بين الجازم والمضارع بالاسم، قال سيبويه: ((وممّا لا تقدّم فيه الأسماءُ الفعلَ الحروفُ العواملُ في الأفعال الجازمةُ ... ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول: لم زيدٌ يأتِك، فلا يجوز أن تفصل بينها وبين الأفعال بشيء، كما لا يجوز أَنْ تفصل بين الحروف التي تجر وبين الأسماء بالأفعال؛ لأن الجزم نظير الجرّ))[٢٩٨].

وتختص ((قد)) و((حرفا الاستقبال)) السين وسوف بالأفعال.

أمَّا قد فتدخل على الماضي، كقولك: قد قامَ زيدٌ، وعلى المضارع كقولك: قد يصدق الكذوب. وأمَّا السين وسوف فيختصان بالمضارع ويخلِّصانه للاستقبال، نحو قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ... ﴾[٢٩٩] وقوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[٣٠٠].

وتتنافى قد مع الأمر من الأفعال فلا تدخل عليه، وتتنافى السين وسوف مع الماضي والأمر من الأفعال فلا تدخل عليهما.

وتتنافى ثلاثتها مع الأسماء فلا يدخلن عليها، قال سيبويه: ((ولو قلتَ: سوف زيدًا أضرب لم يحسن، أو قد زيدًا لقيتُ لم يحسن؛ لأنها إنما وضعت للأفعال))[٣٠١].

وقال ابن يعيش: ((اعلم أن قد من الحروف المختصة بالأفعال ولا يحسن إيلاء الاسم إيّاه، وهو في ذلك كالسين وسوف))[٣٠٢].

ماعدا القسم فقد يلي قد، ويُفصل به بينها وبين الفعل، ومنه قول الشاعر:

أخالدُ قد واللهِ أُوطِئْتَ عُشوةً وما العاشق المظلوم فينا بسارق[٣٠٣]

وتختصّ الأفعال أيضًا ببعض اللواحق أو اللواصق التي تتصل بها، فتكون تلك اللواصق علامةً على فعلية ما اتصلت به، وفي ذلك يقول ابن مالك:

بتا فعلتُ وأتتْ ويا افعلي ونون أقبَلَنَّ فعلٌ ينجلي

وهذه اللواصق كما ذكرها الناظم هي:

١- تاء (فعلتُ)، والمراد بها: تاء الفاعل نحو ((ضربتُ، وضربتَ، وضربتِ)) فكلّ ما لحقته هذه التاء فهو فعل، وتتنافى هذه التاء مع الاسم والحرف فلا تدخل عليهما.

٢- تاء التأنيث الساكنة نحو: ((أتتْ هند)) فهذه التاء علامة على فعلية ما اتصلت به، وتتنافى هذه التاء مع الاسم والحرف أيضًا.

وبهاتين العلامتين (أعني تاء الفاعل وتاء التأنيث الساكنة) ردَّ النحاةُ على مَنْ[٢٠٤] زعم حرفية (ليس وعسى)؛ لقبولهما تاء الفاعل، كقولك: ((لستُ قائمًا))، و ((عسيتُ أنْ أقوم))؛ وقبولهما تاء التأنيث الساكنة. كقولك: ((ليستْ هندٌ قائمةً))، و ((عستْ هندٌ أنْ تقوم)).

ولو كانا حرفين ما قبلا هاتين العلامتين؛ لمنافاة الحرف لهما.

وبالعلامة الثانية (أعني تاء التأنيث الساكنة) ردَّ البصريون[٢٠٥] على الكوفيين اسمية (نِعْمَ وبئسَ)؛ لأنك تقول: ((نعمت المرأةُ هند، وبئست المرأة دعد)) . ولو كانا اسمين ما قبلا هذه العلامة، لمنافاة الاسم لها.

وقد يعترض معترضٌ بأن تاء التأنيث لا تتنافى مع الحرف، فقد دخلتْ على (رُبَّ، وثُمَّ) في قولهم: رُبَّت وثُمَّت.

والجواب عن ذلك أن هذه التاء المتصلة بهذين الحرفين مغايرةٌ لتاء التأنيث الساكنة الداخلة على الأفعال لفظًا ومعنًى. أمَّا لفظًا فهذه التاء الداخلة على رُبَّت وثُمَّت الأكثر فيها الفتح، وتلك (أعني الداخلة على الأفعال) ساكنة في الأصل، لا تتحرك إلاّ لعلة كالتقاء الساكنين ونحوه.

أمَّا معنًى فالتاء في (رُبَّت وثُمَّت) لحقت لتأنيث الحرف، لا لتأنيث شيء آخر، ألا ترى أنك تأتي بهذه التاء وإنْ كان المجرور مُذكَّرًا، تقول: ((رُبَّتَ رجلٍ أهنتُ)) كما تقول: ((رُبَّتَ امرأةٍ أكرمت))، على حين أن التاء اللاحقة للأفعال تدلّ على تأنيث الفاعل نحو ((أتتْ هند))، ولا تقول: أتتْ زيد[٢٠٦].

ولا تلحق تاء الفاعل وتاء التأنيث الساكنة من الأفعال إلاّ الماضي، وتتنافى مع المضارع والأمر؛ لاستغناء المضارع عنها بتاء المضارعة، واستغناء الأمر بياء المخاطبة[٢٠٧].

٣- ياء افعلي، وهي ياء المخاطبة التي تدخل على الأمر كقولك (اضربي). وتدخل على المضارع نحو ((تضربين)) . وتتنافى مع الماضي ومع الاسم والحرف، فلا تدخل عليهن.

٤- نون أقبلَنَّ، والمراد بها نون التوكيد ثقيلةً كانت أو خفيفةً، فتدخل على الأمر كقولك: اكْتبَنَّ، وعلى المضارع كقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[٢٠٨].

وقد تدخل على الماضي قليلاً إنْ كان مستقبل المعنى كقول الشاعر:

دامَنَّ سعدُكِ إنْ رحمتِ مُتيّمًا لولاكِ لم يكُ للصبابةِ جانحا[٣٠٩]

وتتنافى مع الاسم والحرف فلا تدخل عليهما إلاّ ما ورد ضرورةً من دخولها على اسم الفاعل تشبيهًا له بالمضارع في مثل قول رؤبة بن العجاج:

* أقائِلُنَّ أحضروا الشهودا *[٣١٠]

وقوله أيضًا: * أشاهِرُنَّ بعدنا السُّيوفا *[٣١١]

ما يختص بالحرف ويتنافى مع غيره:

الحرف لا يختصّ بعلامة تميزه عن غيره، بل علامتهُ أنّه لا يقبل شيئاً من علامات الأسماء ولا من علامات الأفعال.

يقول المراديّ: ((كلُّ ما لا يقبل شيئًا من علامات الاسم، ولا من علامات الفعل فهو حرف،فترك العلامة علامة له))[٣١٢].

ويقول السّيوطي: ((الحرف لا علامة له وجودية، بل علامته ألاّ يقبل شيئًا من خواصّ الاسم، ولا من خواصّ الفعل))[٣١٣]. أي أنَّ علامة الحرف سلبية، وهي كونه يتنافى مع علامات الأسماء والأفعال، فلا يقبل الجرَّ ولا التنوين، ولا يُنادَى، ولا تدخل عليه الألف واللام، ولا يقبل الإسنادَ ولا التثنيةَ ولا الجمع، ولا تدخل عليه اللواصق التي تدخل على الفعل ((كتاء التأنيث، وتاء الفاعل، وياء المخاطبة، ونون التوكيد))، ولا يتصرف تصريف الفعل ... إلى آخره.

الخاتمة

أودّ أن أسجل هنا أهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي:

- جَمْعُ قواعدِ التّنافي ومظاهره وأسراره التي نثرها العلماء في بطون كتب التراث بين دفتي هذا البحث ما استطعتُ إلى ذلك سبيلا، ولستُ أزعم أنني بلغتُ حدَّ الاستقصاء في ذلك.
- تَتَعَدَّدُ العللُ الموجبة للتّنافي في المسألة الواحدة أحيانًا من وجهة نظر النّحاة واللغويين. وهذا يتمشى مع المبدأ اللغويّ العام لديهم وهو: (أن العلل لا تتزاحم).
- كثرةُ العللِ التي التمسها النُّحاة واللغويون لمسائل التَّنافي، فلا تكاد تخلو مسألةٌ من ذكرِ علَّةٍ أو أكثرَ موجبةٍ للتَّنافي.
- اهتديتُ –بتوفيق الله– بعد إنعام النظر في علل التّنافي إلى أنها تَرْجِعُ إلى ثلاثِ عللٍ رئيسة: (التَّضاد)، (الوِفاق)، (الاختصاص).
- في (تنافي الاختصاص) كلَّما ضاقَتْ مساحةُ اختصاصِ الأداة اتّسعت مساحةُ التّنافي، والعكس صحيح.
- اتِّخاذُ النُّحاةِ بعض قواعد التَّنافي دليلاً يستأنسون به ويرجِّحون به رأيًا على آخر.
- أهمية دراسة التَّنافي فهو يُمَثِّلُ أحدَ شِقَّي قرينة التّضام في النّحو.
- في البحث بعض التحليلات الدقيقة والنتائج الجزئية التي لا تخفى على قارئه.

وأخيرًا لقد بذلتُ في هذا البحث جهدي وطاقتي فإنْ أكن وُفقتُ فيه فذلك فضل من الله، وإنْ تكن الأخرى فذلك مبلغي من العلم.

وأسأل الله ألاّ يحرمني الأجر في الحالين، وأن يغفر لي ولوالدي والمؤمنين والمؤمنات. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش والتعليقات

(١) مقاييس اللغة لابن فارس. (باب النون والفاء وما يثلثهما) ٥/٥٢٣.

(٢) الصّحاح. مادة (نَفَي) ٦/٢٥١٣-٢٥١٤، وانظر أيضًا اللِّسان لابن منظور. مادة (نَفَي)١٥/٣٣٦ – ٣٣٧.

(٣) انظر ص ٦٧.

(٤) الكليات ٢/١٠٠ – ١٠١.

(٥) البيان في روائع القرآن ص١٥١.

(٦) اللغة العربية، معناها ومبناها. ص٢١٧.

(٧) المصدر السابق ص٢٢١.

(٨) هذه الدّراسة قام بها أساتذة من معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى وهم: الدكتور: البدراوي زهران، والأستاذ/ علي يونس، والأستاذ/ محمد حامد سليمان، والأستاذ/ فؤاد رواش، والأستاذ/ حسن يوسف، والأستاذ/ هاشم الإمام، وكان مشرفًا على هذه اللّجنة د. تمام حسان. وقد نُشِرت هذه الدراسة عن وحدة البحوث والمناهج بالمعهد.

(٩) انظر البيان في روائع القرآن. د. تمام حسان ص١٥٥-١٥٦.

(١٠) انظر: الخصائص ٣/٦٢.

(١١) المصدر نفسه ٣/٦٢.

(١٢) انظر: الكتاب ٣/٣٢٤.

(١٣) انظر: رأيه في همع الهوامع ١/٢٧١.

(١٤) انظر: الارتشاف لأبي حيان ٢/٩٨٥ ، وهمع الهوامع ١/٢٧٢.

(١٥) انظر: الارتشاف ٢/٦٦٧ ، وأوضح المسالك لابن هشام ١/١٤ ، وهمع الهوامع ٤/٤٠٥.

(١٦) الخصائص ٣/٦٢.

(١٧) المصدر السابق ٣/٢٤٠.

(١٨) شرح الرضي على الكافية ١/٨٧.

(١٩) الخصائص: ٣/٢٤٠.

(٢٠) الإنصاف: ٢/٤٩٣.

(٢١) الجُمل: ٦٤.

(٢٢) الخصائص ٣/٢٤٠.

(٢٣) الإنصاف ٢/٤٩٣.

(٢٤) شرحه على الكافية ١/١٨٠.

(٢٥) شرح قطر النّدى: ٣٢٤.

(٢٦) المقاصد الشافية: ٤/٥.

(٢٧) شرح التصريح على التوضيح ٢/٢٤.

(٢٨) المقتضب ٤/١٤٣.

(٢٩) شرح المفصل ٤/١٥٣.

(٣٠) المصدر السابق ٤/١٥٣.

(٣١) انظر خزانة الأدب ٧/٥٦٥.

(٣٢) انظر المفصل: ١٨٦.

(٣٣) البيت لشعبة بن قمير، شاعر مخضرم، والشاهد فيه: تثنية اسم الجمع (إبلان). وانظر البيت في المفصل: ١٨٦، وشرح الرضي على الكافية ٣٦٣/٣، وخزانة الأدب ٥٦٤/٧.

(٣٤) تمام الحديث: ((تَعِيرُ إلى هذه مرّةً وإلى هذه مرَّة)) ، وهو في صحيح مسلم، (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم). انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٨/١٧.

(٣٥) البيت لعمرو بن عَدّاء الكلبي، شاعر إسلامي، والشاهد فيه: تثنية الجمع المُكَسَّر (جمالين) فثنَّى الجمال؛ لأنه جعلها صنفين: صنفاً لترحلهم يحملون عليها أثقالهم، وصنفاً لحربهم. وانظر البيت في المفصل: ١٨٧، وشرح الرضي على الكافية ٣٦٣/٣، وخزانة الأدب ٥٧٩/٧.

(٣٦) من أرجوزة أبي النّجم التي أولها × الحمدُ لله العلي الأجلِ ×. والشاهد فيه: تثنية الجمع المُكَسَّر (رِمَاح). انظر البيت في المفصل: ١٨٧.

(٣٧) انظر شرحه على الكافية ٣٦٣/٣.

(٣٨) انظر الارتشاف لأبي حيان ٥٧٢/٢، وهمع الهوامع ١٥١/١.

(٣٩) أجاز الكوفيون جمع (طلحة) جمع مذكر سالما، انظر مذهبهم والرّد عليهم في الإنصاف لابن الأنباري ٤٠/١ فما بعدها.

(٤٠) المقتضب ٨/٤، وانظر أيضاً الإنصاف ٤١/١، وشرح الرضي على الكافية ٣٧٣/٣، وهمع الهوامع ١٥٢/١، وشرح التصريح على التوضيح ٧٠/١.

(٤١) البيت من قصيدة في رثاء طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، واخْتُلِفَ فيه سبب تسميته (طلحة الطَّلَحَات) فقيل:كان في أجداده جماعة يسمون بطلحة، فأضيف إليهم؛ لأنه كان أكرمهم، وقيل: كان في زمانه جماعة اسم كلّ واحد منهم (طلحة) فعلاهم بالكرم...

انظر شرح المفصل لابن يعيش ٤٧/١، وانظر البيت أيضاً في المقتضب ١٨٨/٢، والإنصاف ٤١/١، والارتشاف ١٨٤١/٤ وغيرها.

(٤٢) انظر هذه الأفعال في شرح التسهيل لابن مالك ٣٨٩/١، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٩٨/١.

(٤٣) الأعراف: ٢٢.

(٤٤) انظر هذه العلّة في شرح التسهيل لابن مالك ٣٩٠/١، وشرح شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك: ١٠٠، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣١٠/١، وشرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري ٢٠٦/١.

(٤٥) القصص: ٢٣.

(٤٦) انظر شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري ٣١٤/١.

(٤٧) انظر أوضح المسالك لابن هشام ٢١٦/٢، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٥١١/١.

(٤٨) ٦٥٧/٢.

(٤٩) يوسف: ١٦.

(٥٠) انظر الأصول لابن السّراج ٢١٦/١، وشرح المفصل لابن يعيش ٦٦/٢، وشرح التسهيل لابن مالك ٣٥٩/٢، والارتشاف لأبي حيان ١٦٠٢/٣، وأوضح المسالك لابن هشام ٣٥٠/٢، وهمع الهوامع للسيوطي ٤٢/٤...

(٥١) شرح الرّضيّ على الكافية ٤٣/٢.

(٥٢) انظر أوضح المسالك ٣٥٠/٢، والمغني ٣٩٨/٢.

(٥٣) الصافات: ٩٩.

(٥٤) انظر الإنصاف لابن الأنباري. المسألة (٣٢)، ٢٥٢/١ فما بعدها.

وانظر أيضاً المقتضب للمبرد ١٢٣/٤، ١٢٤، والأصول لابن السّراج ٢١٦/١، وشرح المفصل لابن يعيش ٦٦/٢، ٦٧.

(٥٥) النساء: ٩٠.
(٥٦) انظر رأيهم في الإنصاف. المسألة (٣٢)، ٢٥٢/١.
(٥٧) انظر ارتشاف الضرب لأبي حيان ٢٢١٥/٥، وشرح ابن عقيل على الألفية ٢٥٨/٢.
(٥٨) الكتاب ٢٢٧/٢.
(٥٩) شرح جمل الزّجاجيّ ١٢٨/٢.
(٦٠) الأول: عبد المطلب جَدّ النبيّ صلى الله عليه وسلم، والثاني: علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وانظر الجملتين في شرح الرضيّ على الكافية ٤٢٢/١.
(٦١) البقرة: ٢٨١.
(٦٢) انظر مثلاً شرح الرضيّ على الكافية ٢٩٩/٢، وهمع الهوامع ١٧٤/٥.
(٦٣) ١١٥٩/٣.
(٦٤) انظر هذه العلة في شرح الرّضيّ على الكافية ٢٩٩/٢، وحاشية الشيخ محيي الدين على شرح ابن عقيل ١٨٥/٢ بتصرف.
(٦٥) قال البغدادي: ((هذا الرّجز لم ينسبه أحدٌ من الرواة إلى قائله، وقيل: قائله: العجّاج)) الخزانة ١١٢/٢، وهو كثير الدوران في الكتب النحويّة. انظر مثلاً أمالي ابن الشجري ٤٠٧/٢، وشرح التسهيل لابن مالك ٣١١/٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٥٣/٣، وشرح الرضي على الكافية ٣٠١/٢، وشرح ابن عقيل على الألفية ١٨٥/٢.
(٦٦) انظر تأويلهم هذا في شرح التسهيل لابن مالك ٣١١/٣، وشرح الرضي على الكافية ٣٠١/٢، وهمع الهوامع ١٧٤/٥.
(٦٧) انظر همع الهوامع ٢٥١/١.
(٦٨) المصدر السابق ٤٢/٤.
(٦٩) لم يخالف في هذا إلاّ ابن الأنباري. انظر رأيه في شرح ابن عقيل على الألفية ١٨٤/٢، وهمع الهوامع ١٤/٢.
(٧٠) حاشية الشيخ محيي الدين على شرح ابن عقيل ١٨٥/٢.
(٧١) المقتضب ٧/٣.
(٧٢) الجُمل في النحو: ١٩٧.
(٧٣) الإيضاح: ١٢٩.
(٧٤) المزمل: ٢٠.
(٧٥) طه: ٨٩ ، قال السَّمين: ((العامّة على (يرجعُ) بالرفع ؛ لأنها المخففة من الثقيلة ويدلّ على ذلك وقوع أصلها وهو المشددة في قوله: (ألم يروا أنّه لا يكلمهم) الأعراف: ١٨٤. وقرأ أبو حيوه والشافعي وأبان بنصبه جعلوها الناصبة، والرؤية على الأولى يقينية وعلى الثانية بصرية. الدّر المصون ٩٠/٨ ، ٩١)).
(٧٦) انظر الكتاب ٤٩١/٣، وشرح المفصل لابن يعيش ١٣٢/٥، وشرح شافية ابن الحاجب للرضيّ ٢٦٦/١، والارتشاف لأبي حيان ٣٨٤/١-٣٨٥.
(٧٧) المقتضب ١٥٧/٢.
(٧٨) شرح المفصل ١٣٣/٥.
(٧٩) شرح الشافية ٢٦٧/١.
(٨٠) انظر شرحه على الألفية ١٣٠/٤.
(٨١) همع الهوامع ١٤٦/٦.
(٨٢) الإطباق: (أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له) انظر سر صناعة الإعراب لابن جني ٦١/١.
(٨٣) انظر سر صناعة الإعراب ٢١٧/١، ٢١٨، وشرح المفصل لابن يعيش ٤٦/١٠، ٤٧ ، وشرح شافية ابن الحاجب للرّضي ٢٢٦/٣.

(٨٤) من الآية ١٢٨ من سورة النساء، وهي قراءة عاصم الجحدريّ. انظر المحتسب لابن جني ٢٠١/١.
(٨٥) اطّهر بحاجتي: استخف بها وجعلها وراء ظهره، والأصل (اظتهر). انظر اللّسان مادة (ظهر) ٥٢٢/٤.
(٨٦) انظر سر صناعة الإعراب لابن جني ٢١٨/١.
(٨٧) الكتاب ١١٧/٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/٣، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي ٤/٣، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٠/١.
(٨٨) سرّ صناعة الإعراب لابن جني ٦٢/١.
(٨٩) الكتاب ١٢٨/٤، وشرح الشافية للرضي ١٤/٣، والنشر في القراءات العشر ٢٠٢/١.
(٩٠) الكتاب ١٢٨/٤-١٣٠، وشرح المفصل لابن يعيش ٥٨/٩-٦١، وشرح الشافية للرضي ١٥/٣-١٩.
(٩١) انظر شرح المفصل ٦٠/٩.
(٩٢) الكتاب ١٢٩/٤.
(٩٣) انظر الإنصاف لابن الأنباري ٦٩٧/٢.
(٩٤) انظر شرح الرضي على الكافية ٢١٠/٢.
(٩٥) شرح قطر النّدى ص٣٢٥.
(٩٦) الأنعام: ١٥١.
(٩٧) أمالي ابن الشجري ٧٦/١.
(٩٨) الإنصاف ٦٩٧/٢.
(٩٩) انظر المفصل ص١٢.
(١٠٠) كابن يعيش، انظر شرح المفصل ٤٤/١، والرضي، انظر شرح الكافية ٢٥٧/٣.
(١٠١) مضر وربيعة وأنمار هم أبناء نزار، أُضيف كلٌّ منهم إلى ما ورثه عن أبيه، قالوا: مضر ورث الذّهب، وربيعة ورث الخيل، وأنمار ورث الغنم. انظر شرح المفصل لابن يعيش ٤٤/١.
(١٠٢) البيت بدون نسبة وهو في المفصل للزمخشري ص١٢، وشَرْحِه لابن يعيش ٤٤/١، وشرح الرضي على الكافية ٣٦٨/١، ٢٠٩/٢، ٢٥٧/٣، والخزانة للبغدادي ٢٢٤/٢.
(١٠٣) البيت في المفصل للزمخشري ص١٣، وشَرْحِه لابن يعيش ٤٤/١، والإنصاف لابن الأنباري ٣١٧/١، وشرح الرضي على الكافية ٣٦٩/١، ٢٥٧/٣ ، وهمع الهوامع للسيوطي ٧٧/١ ، والخزانة للبغدادي ٢٢٦/٢.
(١٠٤) انظرهما في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٤١/٢-٢٤٢، وهمع الهوامع ٤٧/٣-٤٨.
(١٠٥) لم أقف على نسبة البيت وهو في شرح ابن عقيل ٢٤١/٢، وهمع الهوامع ٤٧/٣.
(١٠٦) انظر الإنصاف لابن الأنباري ٣٣٧/١.
(١٠٧) المقتضب ٢٣٩/٤.
(١٠٨) الجُمل ص١٥٠.
(١٠٩) انظر شرح الرضيّ على الكافية ٣٧٤/١، وهمع الهوامع ٤٧/٣.
(١١٠) انظر رأيه في شرح الرضيّ على الكافية ٣٧٤/١.
(١١١) انظر المصدر السابق ٣٧٤/١.
(١١٢) انظر شرحه على الكافية ٣٧٤/١.
(١١٣) المقتضب ٦/١، وانظر هذه العلة أيضاً في الإنصاف لابن الأنباري ٢٠/١، وشرح التصريح على التوضيح ٢٩٧/٢.
(١١٤) الإنصاف لابن الأنباري ٤٣/١.
(١١٥) انظر التأنيث في اللغة العربية ص ٦٥ – ٦٦.

(١١٦) المرجع نفسه ص ٦٣.
(١١٧) انظر هذه العِلَّة في شرح المفصل لابن يعيش ١٤٤/٥، وشرح شافية ابن الحاجب للرّضيّ ٦/٢، وهمع الهوامع ١٥٥/٦، وشرح التصريح على التوضيح ٣٢٨/٢.
(١١٨) انظر شرح شافية ابن الحاجب للرّضيّ ٦/٢.
(١١٩) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١٥٠/٤ بتصرف.
(١٢٠) البيت لزيد الخيل، وهو من شواهد المقتضب ٤٤/١،والخصائص ٤٦٣/٢، وأمالي ابن الشجري ١٠٨/٣، والأشباه والنظائر ٦٧٤/١.
(١٢١) الخصائص ٤٦٢/٢.
(١٢٢) كالمبرد في المقتضب ٤٤/١، وابن الشجريّ في الأمالي ١٠٨/٣، والسيوطيّ في الأشباه والنظائر ٦٧٤/١.
(١٢٣) الأصول ٥٩/٢.
(١٢٤) انظر رأيه في المغني لابن هشام ٥٩/١، والجنى الداني للمراديّ ص٥٢٩.
(١٢٥) انظر رأيه في الإيضاح ص٢٢٤، والمغني ٥٩/١، والجنى الدانيّ ص٥٢٩ وغيرها.
(١٢٦) شرح الكافية الشافية ١٢٢٦/٣.
(١٢٧) شرح المفصل ٦٥/٧، وانظر أيضاً الأشباه والنظائر ٦٧٣/١.
(١٢٨) الخصائص ٣١٤/١، وانظر أيضاً شرح الرضي على الكافية ٣٥٧/٤، والأشباه والنظائر ٦٧٧/١.
(١٢٩) المقتضب ٣٤٣/٢.
(١٣٠) الأشباه والنظائر ٦٧٣/١.
(١٣١) الضحى: ٥.
(١٣٢) همع الهوامع ٣٩٩/٤.
(١٣٣) انظر الكتاب ٣٧٢/٣، والمقتضب ١٦٠/٣، وشرح المفصل لابن يعيش ١٤٤/٥، وارتشاف الضرب ٦٠٩/٢، وهمع الهوامع ١٥٥/٦ وغيرها.
(١٣٤) الكتاب ٣٧٢/٣.
(١٣٥) المقتضب ١٦٠/٣.
(١٣٦) شرح المفصل ١٤٤/٥.
(١٣٧) همع الهوامع ١٥٥/٦.
(١٣٨) انظر هذه المسألة في الإنصاف لابن الأنباري، المسألة الثانية ١٧/١، وشرح المفصل لابن يعيش ٥٢/١، وشرح الرضيّ على الكافية ٧٧/١، وغيرها.
(١٣٩) الإنصاف لابن الأنباري ٢٠/١.
(١٤٠) انظر معاني القرآن للفراء ٣٣٣/١.
(١٤١) الأنعام: ٤٠.
(١٤٢) الأمالي ١٣/٢، وانظر أيضًا الأشباه والنظائر للسيوطيّ ٦٨٠/١ وقد حكى هذه القاعدة (عدم الجمع بين خطابين) عن أبي علي في (التذكرة).
(١٤٣) انظر المسألة (٤٧) في الإنصاف لابن الأنباري ٣٤١/١، ويرى الكوفيون أن الميم المشددة في (اللّهُمَّ) بقية من جملة محذوفة، والأصل: يا اللّه أُمَّنا بخير. وقال أبو حيان عن قولهم هذا: إنه سخيف لا يحسن أَنْ يقوله مَنْ عنده علم. الارتشاف ٢١٩١/٤.
(١٤٤) منهم على سبيل المثال ابن الشجريّ. انظر الأمالي ٣٤٠/٢، والرّضيّ. انظر شرحه على الكافية ٣٨٣/١، وابن عقيل. انظر شرحه على الألفية ٢٤٢/٢.

(١٤٥) البيت في المقتضب ٢٤٢/٤ برواية (دعوتُ) مكان (أقول)، وأمالي ابن الشجريّ ٣٤٠/٢، والإنصاف ٣٤١/١، وشرح الرضي على الكافية ٣٨٤/١، وشرح ابن عقيل ٢٤٢/٢، والخزانة ٢٩٥/٢، وقال البغدادي عنه: ((وهذا البيت من الأبيات المتداولة في كتب العربية ولا يُعرف قائله ولا بقيته، وزعم العيني أنه لأبي خراش... وهذا خطأ)).

(١٤٦) انظر رأيهم في الكتاب ٢١١/٢، والارتشاف ٢٢٠٨/٤، ويرى الكوفيون أَنَّ التاء للتأنيث وياء الإضافة مقدرة بعدها. انظر رأيهم هذا في شرح الرضيّ على الكافية ٣٩١/١.

(١٤٧) منهم ابن الشجريّ. انظر الأمالي ٣٤١/٢، والمراديّ. انظر شرحه على الألفية المسمى ((توضيح المقاصد والمسالك)) ٣١٦/٣، وابن عقيل. انظر شرحه على الألفية ٢٥٢/٢.

(١٤٨) المقتضب ٢٦٢/٤.

(١٤٩) البيت غير معروف القائل، وهو في شرح المرادي للألفية ٣١٧/٣ ، وشرح الأشموني للألفية ١٢١/٣.

(١٥٠) قرأ ابن عامر وحده (يا أبتَ) بفتح التاء، وقرأ الباقون (يا أبتِ) بكسر التاء. انظر السبعة في القراءات ص٣٤٤.

(١٥١) مريم: ٤٤.

(١٥٢) الزنادقة جمع زنديق وهو القائل ببقاء الدهر، فارسيّ معرب. اللِّسان. مادة (زندق) ١٤٧/١٠.

والجحاجحة جمع جَحْجاح وهو السّيد الكريم، اللِّسان مادة (جحح) ٤٢٠/٢.

والبطارقة جمع بطريق وهو قائد الروم. اللِّسان مادة (بطرق) ٢١/١٠.

(١٥٣) الكتاب ٢٩٣/١-٢٩٤، ٣٨/٢، ٤٢٢/٣.

(١٥٤) منهم المبرد. انظر المقتضب ١٠٥/١، وابن الشجريّ. انظر الأمالي ٣٤/٣ والرّضيّ. انظر شرح شافية ابن الحاجب ١٨٨/٢، والجوهريّ. انظر الصّحاح مادة (جحح) ٣٥٧/١، ومادة (زندق) ١٤٨٩/٤.

(١٥٥) الكتاب ٣٣٧/٣.

(١٥٦) منهم ابن الشجري. انظر الأمالي ١١٥/٢، والرّضيّ. انظر شرح شافية ابن الحاجب ٨٣/٢، والسيوطيّ. انظر الهمع ١٧٥/٦.

(١٥٧) الصِّحاح مادة (بنا) ٢٢٨٧/٦.

(١٥٨) انظر المسألة الأولى في الإنصاف ٦/١-١٦.

(١٥٩) انظر الصّحاح مادة (سما) ٢٣٨٣/٦.

(١٦٠) البيتان لعلي بن داود القرشيّ الأسديّ ت ٦٤٥هـ. انظرهما في بغية الوعاة للسيوطي ١٦٦/٢، والأشباه والنظائر ٢٢٦/٢.

(١٦١) الجُمل في النّحو ص١٦.

(١٦٢) الكتاب ١١/٢.

(١٦٣) المقتضب ٢٨٤/٤.

(١٦٤) الجُمل في النّحو ص١٦.

(١٦٥) شرح الرّضي على الكافية ٣١٠/٢.

(١٦٦) انظر رأيه في شرح التسهيل لابن مالك ٣٢١/٣، وشرح الرضيّ على الكافية ٣١٠/٢.

(١٦٧) ٣٢١/٣.

(١٦٨) انظر الخصائص لابن جني ٢٤/٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/٣، وأوضح المسالك لابن هشام ١٠٧/٣-١٠٨، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤٧/٢-٤٨، وشرح الأشموني ٢٥٥/٢...

(١٦٩) الخصائص ٢٤/٣.

(١٧٠) انظر الإنصاف لابن الأنباري، المسألة ٦١، ٤٣٦/٢ فما بعدها.

(١٧١) المصدر السابق ، المسألة ٦١، ٤٣٦/٢ فما بعدها.

(١٧٢) الواقعة: ٩٥.

(١٧٣) بقلة الحمقاء: هي الرِّجلة، وإنما وُصفت بالحمق مجازًا؛ لأنها تَنْبُتُ في مجاري السيول فتقطعها. انظر حاشية الصبّان على الأشموني ٢٥٦/٢.

(١٧٤) الخلاصة النّحوية ص٨٠.

(١٧٥) النمل: ٨١.

(١٧٦) آل عمران: ٦٧.

(١٧٧) يس: ٦٩.

(١٧٨) انظر هذا القول في الإنصاف لابن الأنباري ٩٩/١، وشرح التسهيل لابن مالك ٥/٣، وشرح ابن عقيل ١٥٠/٢، وغيرها.

(١٧٩) المصادر السابقة.

(١٨٠) انظر معاني القرآن للفراء ١٤١/٢، والإنصاف لابن الأنباري ٩٧/١، والتبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين للعكبري: ٢٧٤ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٢٧/٧ ، وشرح التسهيل لابن مالك ٥/٣ ، وشرح ابن عقيل ١٥٠/٢.

(١٨١) انظر الكتاب ١٧٩/٢، والمقتضب ١٤٠/٢، والإنصاف لابن الأنباري ٩٧/١، والتبيين للعكبري: ٢٧٤، وشرح المفصل لابن يعيش ١٢٧/٧، وشرح ابن عقيل ١٥٠/٢.

(١٨٢) انظر رأيه في الإنصاف لابن الأنباري ٩٧/١.

(١٨٣) منهم الزمخشري، انظر رأيه في المفصل: ٢٧٢، وابن عصفور، انظر رأيه في المقرب ٦٥/١، وابن مالك، انظر رأيه في شرح التسهيل ٥/٣ وصرّح به أيضاً في الخلاصة قال:

فعلان غيرُ متصرِّفين نِعْمَ وبئسَ رافعان اسمينِ

والسيوطي، انظر رأيه في هَمع الهوامع ٢٥/٥.

(١٨٤) البيت بدون نسبة، وهو من شواهد الخصائص لابن جني ٣٦٦/٢، والإنصاف لابن الأنباري ١١٢/١، وشرح التسهيل لابن مالك ٦/٣، والخزانة للبغدادي ٣٨٨/٩. والشاهد فيه: دخول حرف الجرّ (الباء) في الظاهر على الفعل (نام). وتأوّله النّحاةُ على أَنَّ (الباء) داخلة على اسم محذوف، والتقدير: والله ما ليلي بليلٍ مقولٍ فيه (نامَ صاحبُه).

(١٨٥) يصف الشاعرُ قطاةً طارت من فوق فرخها الصغير تلتمس الماء بعد أن بلغ بها العطش كلّ مبلغ، وهو من شواهد الكتاب ٢٣١/٤، والمقتضب ٥٣/٣، وشرح التسهيل لابن مالك ١٤٠/٣، وشرح الرضي على الكافية ٣٢٣/٤، وشرح ابن عقيل ٢٩/٢، وهمع الهوامع ٢١٩/٤ وغيرها.

(١٨٦) يصور الشاعر شجاعته في مواضع القتال، وأنَّ رماح الأعداء تَتَناوشه من كلّ جانب فهو كالدريئة التي يُصوب إليها. وهو من شواهد شرح المفصل لابن يعيش ٤٠/٨، وشرح التسهيل لابن مالك ١٤٠/٣، وشرح الرضي على الكافية ٣٢٣/٤، وشرح ابن عقيل على الألفية ٣٠/٢، وهمع الهوامع ٢١٩/٤، والخزانة للبغدادي ١٥٨/١٠، وغيرها.

(١٨٧) انظر هذه المسألة في أوضح المسالك لابن هشام ١٦/٣، وشرح ابن عقيل على الألفية ١٣/٢، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي ٥٦٨/٣ وغيرها.

(١٨٨) ٣٨٣/٢.

(١٨٩) المقاصد الشافية ٥٧٠/٣.

(١٩٠) ذكر أن التاء لا تجر سوى لفظة (الله). الكتاب ٥٩/١، ورُبَّ لا تجر إلاّ النكرة. الكتاب ٤٢٧/١، والواو خاصة بالقسم. الكتاب ٢١٧/٤، ومنذُ أصل مُذْ. الكتاب ١٩٤/٤.

(١٩١) انظر الكتاب ٣٨٣/٢، شرح الكافية الشافية لابن مالك ٧٩١/٢، شرح ابن عقيل على الألفية ١٣/٢، المقاصد الشافية للشاطبي ٥٦٨/٣.

(١٩٢) الكتاب ٣٨٣/٢.

(١٩٣) المصدر السابق ١٩٤/٤.

(١٩٤) المصدر السابق ٢٣١/٤.

(١٩٥) منهم ابن السّراج:(الأصول) ٤٢٦/١، والزمخشري: (المفصل): ٢٨٤، وابن مالك: (شرح الكافية الشافية) ٧٩١/٢، والرضي: (شرح كافية ابن الحاجب) ٢٧٦/٤، وابن هشام: (المغني) ١٢٣/١، والشاطبي: (المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية) ٥٦٩/٣، والسيوطي: (همع الهوامع) ١٦٦/٤.

(١٩٦) انظر رأي الكوفيين والمبرد في: شرح الكافية للرضي ٢٧٦/٤، والارتشاف لأبي حيان ١٧٥٥/٤، والجنى الداني للمرادي: ٥٤٢ ، والمغني لابن هشام ١٢٣/١ ، ولم أجد رأي المبرد في (المقتضب) ولا في (الكامل).

(١٩٧) الكتاب ٣٨٣/٢.

(١٩٨) البيت بدون نسبة، وهو من شواهد شرح الرضي على الكافية ٢٧٧/٤، والارتشاف لأبي حيان ١٧٥٦/٤، والجنى الداني للمرادي: ٥٤٤، وشرح ابن عقيل على الألفية ١٤/٢، والمقاصد الشافية للشاطبي ٥٨٢/٣، والخزانة للبغدادي ٤٧٤/٩، وورد في بعضها برواية: (يا ابن أبي يزيد).

(١٩٩) البيت بدون نسبة، وهو من شواهد المغني ١٢٣/١، وهمع الهوامع ١٦٦/٤.

(٢٠٠) انظر في هذه المسألة الكتاب ٣٨٣/٢، والمفصل للزمخشري: ٢٨٩، والمقرب لابن عصفور ١٩٤/١، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٩٧١/٢، وشرح الرضي على الكافية ٣٢٦/٤.

(٢٠١) انظر رأيه في المقتضب ٢٥٥/١، وشرح الرضي على الكافية ٣٢٦/٤.

(٢٠٢) الضمير في (عنه) يعود إلى الكاف وجرّها للضمير.

(٢٠٣) الكتاب ٣٨٣/٢.

(٢٠٤) الكتاب ٣٨٤/٢.

(٢٠٥) يصف الراجزُ حمارَ وحش وأُتُنَه أراد أن يرد الماء فرأى الصّياد فهرب بأتنه، وأم أوعال: هضبة في ديار بني تميم. والشاهد فيه دخول الكاف على الضمير في قوله (كها) للضرورة، وهو من شواهد الكتاب ٣٨٤/٢، والمفصل: ٢٨٩، وشرح الرضي على الكافية ٣٢٦/٤، والارتشاف ١٧١٠/٤.

(٢٠٦) يصف الراجزُ حمارَ وحش وأُتُنه، والحاظل: المانع من التزويج كالعاضل، يعني أن هذا الحمار يمنع أُتُنَه من حمار آخر يريدهن.

وهو من شواهد الكتاب ٣٨٤/٢، والمقرب لابن عصفور: ١٩٤/١، وشرح التسهيل لابن مالك ١٦٩/٣، وشرح ابن عقيل على الألفية ١٧/٢، والمقاصد الشافية للشاطبي ٥٨١/٣، وهمع الهوامع للسيوطي ١٩٦/٤، والخزانة للبغدادي ١٩٥/١٠.

(٢٠٧) انظر الأصول لابن السّراج ٤٣٠/١، والمفصل للزمخشري: ٢٨٦، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٤٧٤/١، وشرح الرضي على الكافية ٣٠٠/٤، والجنى الداني للمرادي: ١٥٤، وهمع الهوامع للسيوطي ٢٣٥/٤-٢٣٦.

(٢٠٨) الإيضاح: ٢٠٢.

(٢٠٩) الارتشاف ١٧٤٧/٤.

(٢١٠) انظر رأيه في الإيضاح: ٢٠١.

(٢١١) انظر رأيه في المفصل: ٢٨٦.

(٢١٢) انظر رأيه في المقرب ٢٠٠/١.

(٢١٣) انظر الارتشاف ١٧٤٧/٤، وذهب ابن مالك في (الخلاصة) إلى أن جَرّ (رُبّ) للضمير قليل قال:

وما رووا من نحو رُبَّه فتى نزر.....

وقال ابن عقيل: ((إنّ عنى بالقلة بالنسبة إلى جَرّ الظاهر فذلك صحيح)) ، المساعد على تسهيل الفوائد ٢٨٩/٢.

(٢١٤) انظر رأي البصريين في أمالي ابن الشجري ٤٧/٣.

(٢١٥) انظر رأي الكوفيين في المصدر السابق.

(٢١٦) انظر الكتاب ٢٢٦/٤، والمقتضب ٣٠/٣، ١٤٣/٤، والمفصل: ٢٩٠، والمقرب ١٩٥/١، والجنى الداني: ٥٠٣، وشرح ابن عقيل على الألفية ١٤/٢، والمقاصد الشافية للشاطبي ٥٧٢/٣.

(٢١٧) انظر الكتاب ٤٢٧/١، ١٠٨/٢، والمقتضب ٤٨/٢، والإيضاح للفارسي: ٢٠١، والمفصل للزمخشري: ٢٨٦، والمغني لابن هشام ١٣٦/١، وشرح ابن عقيل على الألفية ١٥/٢، والمقاصد الشافية للشاطبي ٥٧٣/٣.

(٢١٨) يوسف: ٩١.

(٢١٩) الأنبياء: ٥٧.

(٢٢٠) الكتاب ٥٩/١.

(٢٢١) منهم: المبرد: (المقتضب) ٣٢٠/٢، ١٧٥/٤، وابن السّراج: (الأصول) ٤٣٠/١، وأبو علي الفارسي: (الإيضاح): ٢٠٣، والزمخشري: (المفصل): ٢٨٦، والرضي: (شرحه على الكافية) ٣٠٠/٤، وأبو حيان: (الارتشاف) ١٧١٧/٤، والمرادي: (الجنى الداني): ٥٧، والشاطبي: (المقاصد الشافية) ٥٧٠/٣.

(٢٢٢) لم أجد رأيه في معاني القرآن. وانظره في المفصل للزمخشري: ٢٨٦، وشرح الرضي على الكافية ٣٠٠/٤، والجنى الداني للمرادي: ٥٧.

(٢٢٣) انظر هذا الرأي في الجنى الداني: ٥٧، وشرح ابن عقيل على الألفية ١٥/٢، وهمع الهوامع ٢٣٥/٤.

(٢٢٤) انظر الجُمل للزّجاجي: ٢ ، والإيضاح للفارسي: ٧١، والمفصل للزمخشري: ٦، والكافية لابن الحاجب: ٦٠، وأوضح المسالك لابن هشام ١٤/١، وشرح الأشموني بحاشية الصبّان ٣٤/١ وغيرها.

(٢٢٥) انظر الارتشاف لأبي حيان ٦٦٧/٢، وأوضح المسالك لابن هشام ١٤/١، وهمع الهوامع ٤٠٥/٤، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل ١٩/١، مع اختلاف يسير في بعض القيود.

(٢٢٦) منهم أبو حيان. انظر منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك ٣/١-٤ ، وابن عقيل. انظر شرحه على الألفية ٢٥/١.

(٢٢٧) انظر هذين النوعين من التنوين في: سر صناعة الإعراب لابن جني ٥٠١/٢، والارتشاف لأبي حيان ٦٧٠/٢-٦٧١، وأوضح المسالك لابن هشام ١٥/١-١٨، وشرح ابن عقيل ٢٣/١-٢٤، وهمع الهوامع ٤٠٧/٤-٤٠٨.

(٢٢٨) انظر نسبة تنوين الترنم لهاتين القبيلتين في الكتاب ٢٠٦/٤، وسر صناعة الإعراب لابن جني ٥٠١/٢، وشرح الأشموني ٣٥/١.

(٢٢٩) انظر البيت في سر صناعة الإعراب لابن جني ٥٠١/٢، وشرح التسهيل لابن مالك ١١/١، وشرح الرضي على الكافية ٤٨/١، وأوضح المسالك لابن هشام ١٦/١، وشرح الأشموني ٣٥/١، وهمع الهوامع ٤٠٧/٤، والخزانة ٦٩/١.

(٢٣٠) انظر البيت في شرح ابن عقيل على الألفية ٢٣/١، وشرح الأشموني على الألفية ٣٥/١، وهمع الهوامع ٤٠٧/٤، والخزانة ٧٠/١.

(٢٣١) انظر كتابة القوافي: ٣٦، وانظر أيضًا الارتشاف لأبي حيان ٦٧١/٢، وهمع الهوامع ٤٠٧/٤.

(٢٣٢) انظر البيت في القوافي للأخفش: ٣٥، وسر صناعة الإعراب لابن جني ٥٠٢/٢، وشرح التسهيل لابن مالك ١١/١، وشرح الرضي على الكافية ٤٨/١، وشرح ابن عقيل على الألفية ٢٤/١، وهمع الهوامع ٤٠٧/٤، والخزانة ٧٨/١.

(٢٣٣) انظر البيت في شرح الأشموني على الألفية ٣٥/١، وهمع الهوامع ٤٠٧/٤، والدّرر اللوامع للشنقيطي ١٧٩/٥.

(٢٣٤) انظر البيت في أوضح المسالك لابن هشام ١٨/١، وشرح الأشموني على الألفية ٣٦/١، وهمع الهوامع ٤٠٨/٤، والدّرر اللوامع ١٨١/٥.

(٢٣٥) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ٣٣/١.

(٢٣٦) أوضح المسالك ١٩/١.

(٢٣٧) أخذ بهذا القول الأشموني. انظرشرحه على الألفية ٣٦/١-٣٧، والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد. انظر منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ٢٥/١.

(٢٣٨) أوضح المسالك ١٩/١.

(٢٣٩) الكتاب ٢٠٦/٤.

(٢٤٠) يوسف بن معزوز القيسي من أهل الجزيرة الخضراء، أخذ العربية عن أبي إسحاق بن ملكون، وأبي زيد السهيلي. ألَّفَ شرح الإيضاح للفارسي، والرّد على الزمخشري في مفصّله، وغير ذلك،مات بمُرْسِية في حدود سنة ٦٢٥هـ انظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ٣٦٢/٢.

(٢٤١) انظر رأيه في الارتشاف لأبي حيان ٦٧١/٢.

(٢٤٢) انظر الكتاب ٢٢٩/٢، والجمل للزجاجي: ٢، والارتشاف لأبي حيان ٢١٧٩/٤، وشرح ابن عقيل على الألفية ٢٦/١، والمقاصد الشافية للشاطبي ٤٥/١.

(٢٤٣) النمل: ٢٥.

(٢٤٤) انظر السّبعة في القراءات: ٤٨٠.

(٢٤٥) قرأ بها أبو عبد الرحمن السّلمي والحسن وحميد الأعرج. انظر معاني القرآن للفراء ٢٩٠/٢.

(٢٤٦) انظر البيت في: معاني القرآن للأخفش ٤٢٩/٢، والكامل في اللغة والأدب للمبرد ١٢١/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١١٥/٤، وإعراب القرآن للنحاس ٢٠٦/٣، وأمالي ابن الشجري ٤٠٩/٢، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ٢٢١/٢، وشرح التسهيل لابن مالك ٣٨٩/٣.

(٢٤٧) النساء: ٧٣.

(٢٤٨) معاني القرآن ٤٢٩/٢.

(٢٤٩) كتاب الشّعر ٦٦/١-٦٧.

(٢٥٠) الخصائص ١٩٦/٢.

(٢٥١) البحر المحيط ٦٩/٧.

(٢٥٢) معاني القرآن ٢٩٠/٢.

(٢٥٣) إعراب القرآن ٢٠٦/٣.

(٢٥٤) إعراب القراءات السّبع وعللها ١٤٨/٢.

(٢٥٥) الأمالي ٤٠٩/٢.

(٢٥٦) البيان في غريب إعراب القرآن ٢٢١/٢.

(٢٥٧) شرح التسهيل ٣٨٩/٣.

(٢٥٨) شرحه على الكافية ٤٢٩/١.

(٢٥٩) انظر الكتاب ٣٢٥/٣، والمقتضب ٨٣/١، والأصول لابن السّراج ٣٧/١، والجمل للزجاجي: ٢، والتبصرة والتذكرة للصيمري ٧٤/١، والمفصل للزمخشري: ٦، وشرح الرضي على الكافية ٤٤/١ وغيرها.

(٢٦٠) شرح المفصل ٢٥/١.

(٢٦١) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٢٥/١، وشرح التسهيل لابن مالك ٢٠٢/١، وشرح الرضي على الكافية ٤٤/١،

ورصف المباني للمالقي: ١٦٢، والمغني لابن هشام ٤٩/١.

(٢٦٢) البيت من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ٢٠١/١، ورصف المباني للمالقي: ١٦٢، وشرح ابن عقيل على الألفية ١٤٩/١، والخزانة للبغدادي ٣٢/١.

(٢٦٣) الخنى: الفُحش، اليُجدَّع: المجدع: الذي قُطعتْ أذناه.

وهو من شواهد الإنصاف لابن الأنباري ١٥١/١، وشرح التسهيل لابن مالك ٢٠١/١، وشرح الرضي على الكافية ٤٤/١، ١٥/٣، ورصف المباني للمالقي: ١٦٣ ، والمغني لابن هشام ٤٩/١، والخزانة للبغدادي ٣١/١.

(٢٦٤) تقصَّع اليربوع: دخل في قاصعائه، واليربوع له جُحران، أحدهما: القاصعاء وهو الذي يدخل فيه، والآخر: النّافقاء وهو الجحر الذي يكتمه ويظهر غيره. الخزانة ٤٠/١.

والبيت من شواهد الإنصاف ١٥٢/١، وشرح الرضي على الكافية ١٥/٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٢٥/١، ورصف المباني: ١٦٢، والخزانة ٣٥/١.

(٢٦٥) انظر الأصول لابن السَّراج ٣٧/١، والإيضاح للفارسي: ٧١، والمفصل للزمخشري: ٦ ، والكافية لابن الحاجب: ٦٠، وشرح التسهيل لابن مالك ٩/١، وشرح ابن عقيل على الألفية ٢٥/١ وغيرها.

(٢٦٦) شرح قطر الندى وبل الصدى: ٤.

(٢٦٧) الأصول: ٣٧/١.

(٢٦٨) الإيضاح: ٧١/١-٧٢.

(٢٦٩) الأصول ٤٠/١.

(٢٧٠) انظر كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام: ٩٧.

(٢٧١) قال أبو عبيد معقّبًا على هذا المثل: كان الكسائي يدخل فيه أَنْ (أي: أَنْ تسمع)، والعامّة لا تذكر أَنْ.

انظر كتاب الأمثال: ٩٧، وانظر شرح الأشموني على الألفية ٤٢/١.

(٢٧٢) انظر الكتاب ٢٦٣/١، والمقتضب ٧٤/٢، ٧٧/٢، والجُمل: ٢١١-٢١٢، والمفصل: ٣٢٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/٩، وشرح ابن عقيل ٣٥٥/٢، وغيرها...

(٢٧٣) شرح المفصل ٩/٩.

(٢٧٤) انظر النّحو والنّحاة بين الأزهر والجامعة للشيخ محمد أحمد عرفة: ٩٤.

(٢٧٥) النساء: ١٧٦.

(٢٧٦) التوبة: ٦.

(٢٧٧) الانشقاق: ١.

(٢٧٨) انظر المقتضب ٧٤/٢، ومعاني القرآن للزّجاج ١٣٦/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٤٩٢/١-٢٠٣/٢، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب: ٦٦/١-٢٠٧/١-٣٥٦/١، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠/٩.

(٢٧٩) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١٠/٩، والدر المصون للسمين الحلبي ١٠٧/٤، والنحو والنحاة بين الأزهر والجامعة:٩٥.

(٢٨٠) البيت من شواهد الكتاب ١١٣/٣، والإنصاف ٦١٧/٢، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠/٩، والدّر المصون ١٠٧/٤، والواغل: الداخل على الجماعة الشاربين من غير أَنْ يُدعى، ومعنى يَنُبْهم: ينزل بهم.

(٢٨١) البيت من شواهد الكتاب ١١٣/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٤٩٢/١، والإنصاف ٦١٨/٢، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠/٩، وشرح ابن عقيل ٣٣٧/٢.

(٢٨٢) هذا القول نسبه ابن الأنباري للكوفيين. انظر الإنصاف ٦٢٠/٢، وأجازه الأخفش وأجاز أيضًا ما ذهب إليه الجمهور من إضمار فعل بعد أداة الشرط يكون رافعًا للاسم ووصفه بأنه أقيس الوجهين.

انظر معاني القرآن ٣٢٧/٢.

(٢٨٣) الكتاب ٩٨/١.

(٢٨٤) الحجر: ٧.

(٢٨٥) الأمالي ٤٢٥/١.

(٢٨٦) المفصل: ٣١٦.

(٢٨٧) البيت من شواهد الكامل في اللغة والأدب للمبرد ٢٢١/١، وكتاب الشعر لأبي علي ٥٧/١، والخصائص لابن جني ٤٥/٢، والمفصل للزمخشري: ٣١٦، وأمالي ابن الشجري ٤٢٦/١، وشرح المفصل لابن يعيش ١٤٥/٨، وشرح التسهيل لابن مالك ١١٤/٤، وغيرها..

وبني ضَوْطَرى: منادى وهو ذمّ أي: الرّجل الضخم اللئيم الذي لا غناء عنده.

الكميّ: الشجاع، والمقَنّع: الذي على رأسه البيضة والمِغفر.

(٢٨٨) البيت بدون نسبة، وهو من شواهد رصف المباني للمالقي: ٤٧١، والجنى الداني للمرادي: ٦١٤، وشرح ابن عقيل على الألفية: ٣٦٢/٢.

(٢٨٩) شرحه على الألفية ٣٦٣/٢.

(٢٩٠) رصف المباني: ٤٧١.

(٢٩١) الجنى الدّاني: ٦١٤.

(٢٩٢) نُسب البيت للصِّمة القشيري، ولقيس بن الملوح، ولابن الدُّمينة.

انظر الخزانة للبغدادي ٦٠/٣-٦٢، وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ١١٤/٤، ورصف المباني: ٤٧٢، والجنى الدّاني: ٦١٣، والمغني ٧٤/١.

(٢٩٣) شرح التسهيل ١١٤/٤.

(٢٩٤) انظر الجنى الدّاني: ٦١٣ ، والمغني لابن هشام ٧٤/١.

(٢٩٥) يستثنى من ذلك الفصل بالقسم فقد ورد الفصل به بين إذن والمضارع المنصوب بها، ومنه قول حسان بن ثابت الأنصاري:

إذن والله نرميَهم بحربٍ تشيبُ الطفل من قبل المشيبِ

ينظر أوضح المسالك لابن هشام ١٦٨/٤.

(٢٩٦) الكتاب ١١٠/٣.

(٢٩٧) الأصول: ٥٥/١.

(٢٩٨) الكتاب: ١١١/٣.

(٢٩٩) البقرة: ١٤٢.

(٣٠٠) الضحى: ٥.

(٣٠١) الكتاب ٩٨/١.

(٣٠٢) شرح المفصل ١٤٨/٨.

(٣٠٣) البيت لأخي يزيد بن عبد الله البجلي ، وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ١٠٨/٤، والجنى الدّاني للمرادي: ٢٦٠، والمغني ١٧١/١، وعجز البيت فيه مختلف عن سابقَيه. ، ومعنى أُوطِئتَ عشوة: أُوقعت في باطل.

(٣٠٤) ذهب إلى حرفية (ليس) أبو علي الفارسي وابن شقير، ونُسب لابن السراج.

انظر المغني لابن هشام ٢٩٣/١، وهمع الهوامع ٢٨/١، ورجعتُ إلى (الأصول) لابن السراج فوجدت فيه ما يخالف هذا الرأي المنسوب إليه (فليس) عنده فعلٌ. قال: ((فأمَّا ليس فالدليل على أنها فعل وإن كانت لا تتصرف تصرف الأفعال قولك: لستُ ، كما تقول: ضربتُ ، ولستما ، كضربتما...)) الأصول ٨٢/١.

وعسى حرف عند أبي العباس ثعلب ونُسب لابن السَّراج.
انظر المغني ١٥١/١، وهمع الهوامع ٢٨/١.
ورجعت إلى الأصول لابن السراج ولم أجد فيه تصريحًا بحرفية (عسى) بل وجدتُ فيه ما يشير إلى فعليتها؛ لاتصالها بتاء الفاعل وغيرها من الضمائر. الأصول ٢٠٧/٢.

(٣٠٥) انظر الإنصاف لابن الأنباري ١٠٤/١.

(٣٠٦) المصدر السابق ١٠٧/١ بتصرف.

(٣٠٧) انظر همع الهوامع ١٥/١.

(٣٠٨) يوسف: ٣٢.

(٣٠٩) البيت بدون نسبة ورد في شرح التسهيل لابن مالك ١٤/١، والمغني لابن هشام ٣٣٩/٢، والمقاصد الشافية للشاطبي ٥٦/١.

(٣١٠) انظر البيت في سر الصناعة لابن جني ٤٤٧/٢، وشرح التسهيل لابن مالك ١٤/١، والمغني لابن هشام ٣٣٩/٢، وشرح الأشموني على الألفية ٤٦/١، والمقاصد الشافية للشاطبي ٥٦/١.

(٣١١) انظر البيت في سر الصناعة ٤٤٧/٢، وشرح الأشموني على الألفية ٤٦/١، والمقاصد الشافية ٥٧/١.

(٣١٢) انظر توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ٤٤/١.

(٣١٣) انظر همع الهوامع ٢٧/١.

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم.

٢) ارتشاف الضَّرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق د. رجب عثمان محمد، الناشر. مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٣) الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين السّيوطيّ، تحقيق: عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٤) الأصول في النحو، لابن السَّراج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٥) إعراب القراءات السَّبع وعللها، لابن خالويه، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٦) إعراب القرآن، لأبي جعفر النّحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت. ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٧) أمالي ابن الشَّجري، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٨) الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة. ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٩) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

١٠) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت. بدون تاريخ.

١١) الإيضاح لأبي علي الفارسي، تحقيق ودراسة د. كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت. ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٢) البحر المحيط، لأبي حيان، دار الفكر، بيروت. ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنّحاة، للسيوطيّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت. ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
١٤) البيان في روائع القرآن، للدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة. ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
١٥) البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق د. طه عبدالحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
١٦) التَّأنيث في اللغة العربية ، للدكتور/ إبراهيم بركات، دار الوفاء للطباعة والنشر- المنصورة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٧) التّبصرة والتذكرة، للصيمري، تحقيق د. فتحي أحمد مصطفى عليّ الدين، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة. ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
١٨) التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البقاء العكبري، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
١٩) التعريفات، للجرجاني، مكتبة الفيصلية بمكة المكرمة، بدون تاريخ.
٢٠) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمرادي، تحقيق د. عبد الرحمن علي سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة. ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٢١) الجمل في النحو، للزجاجي، تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٢٢) الجنى الدّاني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، والأستاذ/ محمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت. ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٢٣) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م.
٢٤) حاشية الصّبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الفكر، بيروت. بدون تاريخ.
٢٥) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢٦) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النّجار، دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
٢٧) الخلاصة النّحوية، للدكتور: تمام حسَّان. عالم الكتب، القاهرة. ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٢٨) الدّرر اللوامع على همع الهوامع، للشنقيطي، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت. ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٢٩) الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسَّمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق. ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٣٠) رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق. ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٣١) السّبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة. ط٢، ١٤٠٠هـ.
٣٢) سرّ صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق. ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٣٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٣٤) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، مطبوع مع حاشية الصّبان،دار الفكر، بيروت.
٣٥) شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، و د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، القاهرة. ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣٦) شرح التصريح على التوضيح، لخالد الأزهري، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
٣٧) شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور، تحقيق د. صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٣٨) شرح الرّضي على الكافية لابن الحاجب، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
٣٩) شرح شافية ابن الحاجب، للرّضي، تحقيق الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٤٠) شرح قطر النّدى وبل الصّدى، لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بدون معلومات نشر.
٤١) شرح الكافية الشافية، لابن مالك، تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى، مكة المكرمة. ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٤٢) شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
٤٣) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عالم الكتب، بيروت. ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٤٤) الصِّحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة. ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٤٥) صحيح مسلم بشرح النووي، القاهرة، ط١، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.
٤٦) القوافي، للأخفش الأوسط، تحقيق د. عزة حسن، دمشق ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
٤٧) الكافية في النّحو، لابن الحاجب، تحقيق د. طارق نجم عبد الله، مكتبة دار الوفاء، جدة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
٤٨) الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة. ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٤٩) الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.
٥٠) كتاب الشِّعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، لأبي علي الفارسي، تحقيق د. محمود محمد الطناحي. مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٥١) الكلِّيات ((معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة))، لأبي البقاء الكفويّ، تحقيق د. عدنان درويش، ومحمد المصريّ، الناشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٥٢) لسان العرب لابن منظور، دار صادر ، بيروت، بدون تاريخ.
٥٣) اللغة العربية: معناها ومبناها، للدكتور تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٩م.
٥٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، ود. عبد الحليم النجار، ود. عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٦هـ.
٥٥) مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية بدون تاريخ.
٥٦) معاني القرآن، للأخفش، تحقيق د. فائز فارس، الكويت. ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٥٧) معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت. ط٢، ١٩٨٠م.
٥٨) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت. ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٥٩) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني بمصر بدون تاريخ.
٦٠) المفصل للزمخشري، دار الجيل، بيروت، ط٢ بدون تاريخ.

٦١) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي، تحقيق مجموعة من أساتذة جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة. ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٦٢) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، طبعة اتحاد الكتّاب العرب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٦٣) المقتضب، لأبي العباس المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.
٦٤) المقرّب لابن عصفور، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، رئاسة الأوقاف العراقية. بغداد، ط١، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
٦٥) منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، لأبي حيان، تحقيق: سدني قليزر، نيوهافن، أمريكا، ١٩٤٧م.
٦٦) النّحو والنّحاة بين الأزهر والجامعة، لمحمد أحمد عرفة، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٣٧م.
٦٧) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري،تصحيح الشيخ علي محمد الضبّاع، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة. بدون تاريخ.
٦٨) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

جامعة الطائف

التناص

دراسة في ديوان (سقط سهواً) لإبراهيم الوافي

د . أحمد علي ناصر الشريف

أستاذ مساعد - كلية الآداب - قسم اللغة العربية - جامعة الطائف

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (اللغة العربية وآدابها)
المجلد الأول - العدد الثالث - جمادى الآخرة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الملخص

هذا البحث يكشف عن حيرة الشاعر إبراهيم أحمد الوافي في ديوانه " سقط سهوًا "بين الثوابت والأصول في التاريخ العربي، وما يتضاد منها من خنوع لحق بالشخصية والحدث في تاريخنا الحديث ، كما أنه يستنهض عوامل الانتصار من خلال البنيات الفاعلة في التراث العربي؛ ليعبر بها عما يتمناه من انتصارات على المستويين الفردي والجماعي.

ولقد حاول الباحث استقراء بعض نصوص الديوان في ضوء مفهوم"التناص" بوصفه مقاربة نقدية تحاول من خلال طروحاتها توسيع الأفق الدلالي للنص الجديد من حيث اشتباكه وارتباطه ببنيات تراثية يتجاذب معها لبلورة رؤية شعرية تتفاعل تناصياً مع كل المعطيات والخبرات التناصية الأخرى في الواقع الذي يصدر فيه هذا النص الشعري الجديد؛ لتقديم رؤيا جديدة للعالم.

والله ولي التوفيق ، وهو خير ناصر ومعين،،،

مدخل:

إن الخطاب الشعري خطاب يفتح آفاق توليد الدلالة بوصفها نتاجاً فعلياً للقراءة. فحول التناص يتخلق فضاء نصي منتج للدلالة، تتداخل عناصره مع النص الأصل، وبهذا المنظور يتضح أن النص لا يمكن أن يعتبر رهينة شفرة واحدة، بل تتقاطع فيها عدة شفرات، وكل منها ينفي الآخر، أو يعاضده وفي النهاية يتحول إلى بنية متجانسة تحقق مستهدف النص. ويمكننا أن نتصور على أساس مصطلح (دى سوسير) في الاستبدال خاصية جوهرية في توظيف اللغة الشعرية التي هي نفسها من ناحية أخرى مجال لمعنى مركزي. .. فإنتاج النص الشعري يتم خلال حركة مركبة من إثبات ونفي نصوص أخرى[١].

وهكذا يحرز التناص دوراً في صعيد إنتاج الدلالة الشعرية[٢]، إضافة إلى أن كل نص هو عبارة عن مجموعة من العناصر المتداخلة في الأساس، فضلاً عن الواقع الذي كان بالنسبة له مثيراً مبدئياً، وأن العناصر كلها، الموروث منها والحديث، تخضع لقوانين التماثل والتفاعل والتضاد، بمعنى أن جدلية التفاعل بين القصيدة والميراث الشعري الذي يمتد منذ أقدم نص شعري حتى أحدث نص، هي الجدلية الأساسية في العمل الشعري، وهي التي تمنحه خصوصيته وهويته المتمايزة. وإن تغلغل النص الأدبي مع بقية المجالات المعرفية الأخرى ما يلبث بسبب الطبيعة اللغوية له - وهو يمر عبر المرشح التناصي - أن يتحول إلى عنصر فاعل ومشارك في النص الشعري [٣].

على أن التداخل والتقاطع بين النصوص يثير هو الآخر إشكالية إذ لابد أن تنتظمه علاقة ما تشكل هذا النسق الجديد لمكونات الخطاب، وهذه العلاقة التناصية تتولد من تماس المتناص والمتناص معه عبر علاقات تحقق فضاءً دلالياً يهيئ دمج النص في خطاب جديد، وبالتالي تتلاقى أجواء الخطاب الحاضر في مجال تناصي بخطابات لها سلطة قوية، يعيد الخطاب الحاضر توزيعها في مجاله بمفاهيم دلالية تتولد وتتمركز في علاقة انسجامية، تتلاقى في بنية تنتظم فيها أنساق المتناص والمتناص معه؛ لتشكل أبعاداً تأويلية خاصة، يتحقق فيها إنتاج خطاب خاص.[٤]

ويعد التناص مصطلحاً سيميائياً أول من استعمله (باختين) مفيداً من جهود الشكلانيين الروس، ثم تبنته وعمقته من بعده(جوليا كريستيفا)، ثم ذاع وانتشر بعد ذلك على يد (بارت) و (لوران جيني) و (ريفاتير) و (جيرار جينيت) و (مارك أنجينو) ... وغيرهم ممن اهتم بإنتاج النص ودور المتلقي في قراءته وتأويله.[٥]

كما أن مفهومه" ليس استاتيكياً، إنما يتنوع بتنوع المداخل، فالبعض يتعامل معه في إطار (الشعرية التكوينية) وعند البعض الآخر ضمن (جماليات التلقي) كما يتجه المفهوم للاقتران

بمفهوم (الحقل) بوصفه معارضة سجالية لمفهوم (البنية) التي تعترض على أفكار الإدماج والاقتران والجدولة. غير أن هذه الاختلافات لا تحرمه من الوظيفة النقدية المتماسكة "[٦].

ولقد تعددت صور التناص مابين المباشرة فيما يطلق عليه (التناص الظاهر) و (التناص بالتماثل أوبالتآلف) أو (التناص بالاختلاف) [٧] وهما الأقوى عند الوافي وقد ركز البحث عليهما باعتبارهما خاصية هذا الشاعر، وإن كان تناص التخالف هو الأكثر فاعلية لديه فقد دأب عند توظيفه له على إثارة التأويل لتخمين المعاني الثواني في الشخصية أو النص القديم وهو ما أطلق عليه"سقط سهواً".

وفي تناص التخالف"يعمد الشاعر المتأخر إلى توظيف أحد المكونات الفنية لنموذجه الفني توظيفاً إبداعياً بواسطة الزيادة في إخراج المعنى أو النقل أو القلب ... وما شاكل ذلك"[٨] وفي مظان البلاغة العربية أبواب حافلة بشروط الإبداع"إذ اعتبروا اختلاف النص اللاحق عن النص السابق شرطاً أساسياً من شروط الإبداع "[٩].

وفي نظرية النقد المعاصر"ليس لمفهوم الاختلاف هذا أي علاقة بمسألة التفرد أو التميز بهوية خاصة؛ لأن الاختلاف هنا ليس اختلاف الذات عن الآخر، أو تميز النص عن غيره من النصوص الأخرى. وإنما هو اختلاف النص مع نفسه ولا يتم هذا الاختلاف إلا في عملية إعادة القراءة وحدها "[١٠].

وفي ضوء ذلك يمكن القول بأن الاختلاف أسلوب يعيد به المبدع تفكيك تاريخه، وتاريخ عمله الأدبي على طريقة الاستدعاء العكسي عن طريق التكرار المختلف؛ محاولاً إعادة بناء الهوية الثابتة؛ لكي تكون قادرة على حمل رؤى المستقبل، والتفاعل مع طروحاته الفكرية المتساوقة.

وقد رصد الباحث بعض صور التناص في ديوان إبراهيم الوافي (سقط سهواً)، وحاول استقراءها، وتحليل مكوناتها الفكرية والمعرفية والفنية في ضوء البنيتين التناصيتين المشار إليهما، واللتين اقتضتهما طبيعته، واتخذتا أبعادهما من بعض نصوص هذا الديوان، وسوف يرد ذلك كله في ثنايا الصفحات التالية

أولاً: تناص التآلف:

وهو إحدى صور التناص التي يكون توظيف التراث الشعري فيها داخل بنية القصيدة الحديثة منسجماً ومتوافقاً والواقع المعاصر الذي يعبر عنه المبدع، بحيث تتولد دلالة ضمنية يتم من خلالها إعادة إنتاج المعنى طبقاً للحاجات الحاضرة، عندئذ يحدث تآلف تناصي بين القصيدة الحديثة بوصفها نموذجاً رمزياً فاعلاً، وبين التراث بوصفه نموذجاً تراكمياً متزامناً. وهذه الصورة من التناص تظهر بأشكال مختلفة، وكل نص فيها يكتسب وجوده في كونه

منسجماً مع ما يلائمه ضمن منظومته الكبرى، كما أن فهمه ومحاولة تأويله"يتم بالمقارنة التقدمية والرجعية، التي تتجدد مع كل إعادة قراءة بين القصيدة وبرنامجها التناصي النوعي. فالقصيدة لا تكون صعبة إلا عندما تعزل عن نوعها، ولا تكون مبتذلة إلا عندما يتم تيسيرها، ولا يكون لها معنى إلا عندما تقرأ بصفتها كناية عن النوع كله كالقطعة الصغيرة القديمة التي لم تكن بمفردها إلا شقفة ،ولكنها تكون رسالة عندما تنسجم مع قطعتها الملائمة. ولا تكمن دلالتها في أعماق خفية، بل في كونها تنويعاً على لازمة. "[١١]

وقد تجلى تناص التآلف في ديوان إبراهيم الوافي (سقط سهواً) من خلال مجموعة من الأنساق أبرزها ما يلي:

الضياع العربي والصراع القبلي:

- ١ -

وهو جرح الشاعر العميق، بل هو في لغته جراح تخثرت فوق الجراح، وليل دائم يفتر ظلامه عن ظلام آخر بحيث لا يسلم ظلامه إلى صباح، ولا يفتر الوهم عن نبوءة الفجر التي تحملها الرياح من الغياب إلى الغياب. الضياع عبر التاريخ وفي المكان هو قضية هذا النص، ومعاناة هذا الشاعر الذي يمثل كل شاعر ضائع بداية بامرئ القيس وحتى إبراهيم أحمد الوافي [١٢]القائل في أول نص نقاربه وعنوانه"ما لم يقله امرؤ القيس" :

أنا أيها الموبوء في وجعي
تراودني القصائد
سافرات وجهها العبثي [١٣]

ويظل الوجع ينزُّ بالوجع حيث لا يعبر الدم النازف من هذا القيح إلا عن رؤيا الضياع لأن دمُّون/ القدس المنكوبة بالاحتلال الإسرائيلي ليست إلا وجهاً آخر لقبيلة كندة في شعر امرئ القيس. وإذا كانت (دمُّون) بؤرة الجرح الذي قيض الوجع للشاعر، فهي عار للقبيلة كلها، وهي أم الحكايات المستحيلة التي خلقت حالة من عدم الانعتاق وفقدان السلام:

دمُّون يا زمني
ويا عار القبيلة
الدرب طالت والشجون
مخالب.. والقرح
في كبدي الهزيلة
خذني إليك
قصيدة أخرى [١٤]

ولأن هذا الضياع تاريخي، حدث في القديم وامتد حتى التاريخ الحديث، فإنه يمثل العار الدائم الذي لا يخلف إلا العذاب، لأن العربي الذي يعلن فروسيته في الأخذ بالثأر سيظل متمرداً حتى يتحرر هذا الوطن الحديث يقول الوافي:

متمرد عيناي تجهض

حملها المشبوه

فوق وسادتي السكرى

وترتجل العذاب (١٥)

إذن قضية الضياع هي أبرز معاني الحياة التي يتناسل بعضها من بعض في القصيدة العربية القديمة والمعاصرة، وهي وإن كانت قد جسدت في شعر امرئ القيس وبلغة عصره، فقد استرفد الوافي روح النص القديم وبعض جسده؛ للتعبير به عن همه المعاصر بهذا الصدد.

- ٢ -

وفي صورة أخرى للسياق ذاته يذكر صاحب الأغاني: أن امرأ القيس كان "يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب من طيئ وكلب وبكر بن وائل؛ فإذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم؛ وخرج إلى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه. ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء الغدير، ثم ينتقل عنه إلى غيره"(١٦). ونقل عنه عندما جاءه نبأ مقتل أبيه قوله: "ضيَّعني صغيراً وحمَّلني دمه كبيراً"(١٧).

فامرؤ القيس شاعر، تعددت حول حياته الروايات، ولكنها اتفقت على:

- تمرده على قواعد مجتمعه.
- تشرده في طلب اللهو.
- فساد علاقته بأبيه وخروجه عليه.
- فراره من المطاردة.
- سعيه إلى الثأر من قتلة أبيه و إلى استرداد ملكه المنهار.

ومع ذلك فإن حياته لم تكن تتمحور حول المباذل في الصيد واللهو و النساء إلاَّ رد فعل للإحباط الذي كان يعانيه الأمير المنبوذ؛ وبهذا يكون اللهو معادلاً موضوعياً لفقد حياته التي كان يجب عليه أن يحياها، ولهذا فهي تجمل غربته المزدوجة في علاقته بأبيه وبملكه، وقد حرص على التغني بالانتصار في معظم مغامراته العاطفية مع (أم الحويرث) و (أم الرباب) و(عنيزة) و(فاطمة) وغيرهن من العذارى، وهذا التغني يعد انتصاراً منه على الضعف والموت.

ولعل ما يتمتع به هذا الشاعر وشعره من غنى وتنوع قد بهر الشاعر إبراهيم الوافي؛ فأعاد قراءته في ديوانه (سقط سهواً)، موظفاً مرة أخرى ما كان يرمز إليه الشاعر القديم.

فتمرد امرئ القيس على التقاليد القبلية أصبح مكوناً لبنية أسلوبية في النص المعاصر من خلال ضمير المتكلم المفرد:

متمردٌ عيناي تجهضُ

حملها المشبوه (١٨)

وسرعان ما ينفك الضمير الواحد عن ضميرين بطريقة الالتفات حيث يحل الشاعر القديم في بداية زمن الحدث، في حين يحمل الشاعر المعاصر كل الوجع من جراء ما هو حادث وواقع بالفعل:

دعني أفاتحك النهار البكر

.. أحمل في دمي وجعي ..

وتحمل أنت أوسمة العتاب (١٩)

فالشاعر الذي تخثرت دماؤه ليس كالشاعر الذي أجَّل القصاص إلى الغد؛ لأن مشغلته كانت في البحث عن العذارى وقد خلعن ملابسهن البيض في غفلة عن عيون أهل الحي؛ توهماً لانتصار رخيص، أو معاقرة للخمر مع الندامى المترفين؛ بحثاً عن لحظة صفاء في السكر:

من للعذارى المسدلات

ثيابهن البيض

إن وُئِدَتْ كلاب الحي

أو تاه النُّبَاحُ ..

مع النباحْ

من للندامى المترفين ..

السادرين .. الراقصين

بمسرح الأفلاك

إن يبست عناقيد الكروم

وأدمن الوتر النُّواحْ ..؟! (٢٠)

وفي حوار ساخن يلقى الشاعر المعاصر على الشاعر القديم باللائمة لخنوعه دون أن يحركه مقتل أبيه، وتقاعسه في استرجاع ملكه الذي ضاع في كندة:

من أنت حين

تضيع قافلتي

ويبكي صاحبي
الدرب الطويلة ؟!
.....
.....
ثكلتك كندة
أيها الموءود في صدري
وأيقظك الحِمامْ ...![٢١]

وفي سياق العلاقات التناصية يوظف الليل الذي مازال سادراً، تتوالى ستائره فتشتد عتمة الظلام الدائم ،موازياً لحال الشاعرين اللذين لا يزالان عاجزين عن استرداد الحق الضائع على مستوى القصيدة، وعلى مستوى التجربة الواقعية، وإن كان أحدهما يحمل هذا الوزر؛ لأنه استكان إلى معاقرة اللذة في الشرب الذي أوهن عزيمته:

ما زال هذا الليل
يرخي ستارة أخرى
وما زال السحاب
مشرَّداً بالأفق
تنهره الرياح
وأنا وأنت وذلك
الراعي نغنِّي للربيع
ويستغيث العشب في
يدنا العطيبة [٢٢]

وهكذا فقصيدة الوافي "ما لم يقله امرؤ القيس" تكتسب لحمتها وسداها من عالم هذا الشاعر الجاهلي، وترتكز على معلقته في إمدادها النص المعاصر بكثير من الإشارات التناصية القادرة على صنع مفارقات دالة. وإذا كان ظلام الوافي بلا صباح، فإن ليل امرئ القيس ممتد مخيف ومرعب:

وليل كموج البحر أرخى سدوله صعليَّ بأنواع الهموم ليبتلي [٢٣]

وإذا كانت بعض الشعوب قد ثارت بلدانها وفكت عراها مع الاستعمار، فتحررت من كل الأوابد، فإن فرس امرئ القيس لا يزال مقيداً لهذه الأوابد:

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل [٢٤]

وإذا كان يوم (دارة جلجل) قد استغرق الشاعر أثناءه في جو المرح و الفتنة فعقر للعذارى ناقته وأطعمهن من شوائها:

ألا رب يـوم لك منهن صـالح ولا سـيمـا يوم بدارة جلجل

ويـوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجبـاً من كورها المتحمل

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهُدَّاب الدِّمقْـس المفتَّل (٢٥)

فإن إبراهيم الوائي قد نزع إلى نزق آخر، يدعوه للثأر من أعدائه والانتقام منهم:

أنا في رمالك فتنةٌ

أخرى وقلبٌ شاعرٌ

أبداً وقنديلُ انتقامْ (٢٦)

وهكذا يكمل الشاعر إبراهيم الوائي القصيدة التي بدأها امرؤ القيس، ولا يمنع التجانس في الوقائع أن يكون الشاعران قد عاشا زمناً واحداً ممتداً في التاريخ من خلال معاناتهما لحدث واحد: الضياع العربي والصراع بين القبائل، ولكن القصيدة الأخيرة بعد أن تكون مكتملة تصير نصاً آخر له فعالية الحضور والتفاعل مع ما سقط سهواً من النص القديم يقول الوائي:

وما زال الطريق مشرداً

بين القبيلة والقبيلة (٢٧)

إن تفاعل الوائي مع معلقة امرئ القيس ومداخلاته التناصية وحواراته معها ليكشف عن قدرة النص الجديد على توسيع دائرة دلالاته وشفرته الخاصة"فالمبدع يأخذ من السياق الشعري القائم بين يديه، لا ليكون عالة على هذا السياق، وإنما لينصهر فيه ويتوالد منه أسلوب خاص يضيف إلى معطيات الشعر مثلما أخذ منها"(٢٨)

حلم الذات بين التحقق والسقوط:

لقد أفرد الشاعر إبراهيم الوائي قصيدته"النوم في عيون الصقر"لتجسيد فضاء هذه الرؤيا التاريخية، حيث بدأت القصيدة بمجموعة من أفعال الأمر (تَأَزَّرْ - خُطَّ – فَرِّقْ) في مقابل صيغة واحدة مركزية (كان) لتحديد ملامح الماضي المجيد، ثم يعود – على التوازي – ليوظف مجموعة أخرى في مفارقة زمنية (تُغْرِيهُمُ – يَمْتطُّ –تغْشَاهُمُ – فتَمْتدُّ) وهي جميعاً تمثل الحاضر، وبين المجددات الزمنية والفضاء الأسمى يبرز الحدث المأسوي في شبه فعل درامي غريب.

والحدث هو فراق عبد الرحمن وأبنائه من مطاردة بني العباس بعد أن استولوا على ملك بني أمية. وقد تخفَّى حتى وصل إلى شط الفرات سابحاً ونجا وقُتِل أخوه، وانسرب بين غابات النخيل متجهاً نحو شمال إفريقيا حتى غاب عن عيون أصحاب الرايات السود وعبر بين أتباعه

إلى الشاطئ الآخر، وتبعه أهله وذووه إلى بلاد الأندلس حيث أقام ملك بني أمية مرة أخرى.

ولعل الشاعر إبراهيم الوافي قد قرأ تفاصيل هذه القصة، وتقمص حالة (عبد الرحمن الداخل) في فراره وطموحه، ثم اتجه إلى الآخر مستدعياً بوعي حالة التخفي كأسلوب للمقاومة الإيجابية؛ لينسج - على نسق حالة العنقاء - مدينته الفاضلة من خلال رحلة تشبه رحلات الأبطال الحالمة على بساط الريح. يقول الوافي:

تَأزَّرْ بظلك ..
خُطَّ على مركب الريح
نصفَ الزمان
وفَرِّقْ مكانك
بين الدجى والظِّلالْ
نهارك أشبه بالنائمين
على ردهة السيف
ليلك كان انتحال المحالْ !
وفي وجهك الهاجري الفوارسُ
تغريهمُ لجة البحر ..
يمتطُّ بينهمُ غولها
وتغشاهمُ شهوةٌ من قتالْ ! !
فتمتدُّ بين تجاويف كفك
أمكنةٌ صاغها النَّخلُ
بين الفراتِ .. وبين الجبالْ !!
وبيني وبينك
أوسمة غادرتها العصافير..
خارطة
من دماء الخيالْ !!! (٢٩)

في المقطع السابق تجسيد لبعد من شخصية الداخل وهو حلمه الدائم ورغبته في تحقيق المستحيل دون كلل أو يأس، حيث يتخطى المكان ويجتاز الزمن بحثاً عن الملك وخاصة بعد ضياع الخلافة من الأمويين في غمضة عين، ذلك الضياع الذي شكل واقعاً مأسوياً مؤلماً، ولهذا حاول تدارك هذا الأمر وتحويل الفجيعة والهزيمة إلى انتصار بالتوجه إلى بلاد الأندلس وعبور البحر

لإعادة بناء الدولة الأموية الزائلة على أرض أخرى. يقول الوائلي مستمداً من هذه الشخصية عوامل القوة والعزيمة والإصرار:

لندخلْ بصوتك ..
أسبر في ساعديك اللذين
استحثا جنوني
دبيب العزيمة بين العروق !
وفوق الشفاه
نحنِّط أنفاسنا الهاربات
من الحزن
نحزمها بخيوط الفجيعة ..
نتركها كُوَّةً من عقوقْ !
وندخلُ قلبك
ندخلُ بين جفونك
ندخلُ عبرك
نزرعُ واحاتنا للبروق ! !
ونمرقُ في نخلها العربي الملامح
شمساً تنقَّلَ
في وجهها الساحلي السموقْ ! ![٣٠]

فالشاعر الوائلي يستخلص، وهو يعيد قراءة هذه الشخصية، بعض الملامح النفسية لبطله الذي يتواجد معه للخروج من فجيعة الهزيمة إلى بروق الانتصار (أسبر في ساعديك دبيب العزيمة بين العروق وبين الشفاه)، مطالباً إياه تجاوز ما حدث (فنتركها كوة من عقوق)، راغباً في العبور معه البحر كي يفتحا معاً أرض هذا الوطن الجديد. نحن نعبر فيك ومعك عقلاً وقلباً وثقافة، وأنت تحول هذه الأرض إلى نهضة لامعة، عربية الملامح والقسمات، وهذه هي الحضارة التي نريدها.

وقد بنى المقطع المعبر عن هذه الفكرة على التوحد والتجانس الحالم وصقر قريش الفاتح (لندخل بصوتك – وندخل قلبك – ندخل بين جفونك – ندخل عبرك) وقد كان لتوظيف الضمائر المتعاقبة والتي تحيل إلى الشخصية المستدعاة أثر واضح في إثرائها، وجعلها معلماً تاريخياً، وإشارة دالة على ما تحقق .كما كان لتوظيف المفارقة بين الزمانين، الزمن الذي كانت

الشمس فيه نائمة حيث سقوط الخلافة الأموية، وزمن التشبث بالنجاة الذي كان ضرباً من الانتحار أثره في إذكاء المزيد من الفاعلية في النص.

ومن الضفة الأخرى للبحر المتوسط كان وجود (عبد الرحمن الداخل) ولم يكن التاريخ العربي في بلاد الأندلس قد بدأ في مواجهة زمنه في هذه الخلافة العربية الإسلامية على هذه الأرض:

تَأزَّرْ بظلي ..
أناديك من شاطئ
كانت الشمس
نائمة فوق أنفك فيه
ينازعها الضوء
طعم الحياة !!
ومن صفحة أقرأتني
انتحارك قبل اصطحابي
وقبل انفصامي
وقبل التواريخ
قبل الرواة [٣١]

وبصيغة الالتفات ذاتها يجسد (عبد الرحمن الداخل) معنى الإتحاد بالآخر الذي يلح عليه ويحتفل به من خلال توظيف صيغة فعل الأمر: (تَأزَّرْ) أي ائتزر وطناً حتى وإن كان وهمياً؛ ليحل التجمل محل العزاء، وبتوظيفه الحنين يجعل الحزن فاعلاً من خلال تذكر الجاه والأهل:

تَأزَّرْ بظلي
تضمخ بنفسي
لندخلَ في ثقب هذا الحنين
نَحُوكُ ثياب التجمل
ننسبُ للحزن أهلاً وجاه [٣٢].

وكما تقول القصيدة، إن الفجيعة فجيعتان، تتجلى الأولى منهما في ضياع الخلافة الأموية وسقوطها في يد بني العباس وسيادة المذهب الشيعي، وأما الأخرى فهي سقوط الخلافة العربية المسلمة في بلاد الأندلس، ولعل من أسباب هذا الانكسار التاريخي الغفلة والاستكانة والخنوع.

الانكسار التاريخي والأفول:

وفي "رسالة عائمة من صبي أندلسي إلى طارق بن زياد" [٣٣] تجسيد لحالة الجمال التي كانت عليها تركيبة تلك الحضارة فيما أطلق عليه التركيبة السحرية العجيبة الناتجة عن تفاعل سحر الشرق العربي مع عناصر البهجة الغربية متجلياً ذلك في فنون الغناء والموسيقى والشعر والفلسفة، فضلاً عن جمال الطبيعة الفاتنة مع فسحة الصحراء العربية وفضاءاتها العجيبة. يقول الوافي:

البحر لَوْنُ البحر..
صبَّ الشمس
في جفن الحقول الخضر
فانثالت أصائلها
غراماً واعتلالْ
النَّايُ محبورٌ ..
تُلَقِّحه حكايا الشرق
تُنْفَخُ فيه روحُ الشعر قافية
فينساق الخيالْ [٣٤].

ولكن هذه الصورة السحرية الجميلة قد أفلت بأفول الدولة وانكسارها، حيث لم يعد للطفل إلا أن يجعل الصورة المشرقة قرين الذاكرة التي يشترك هو والآخر فيها، وهي إحدى صور أجداده الأمجاد، هكذا حكى له التاريخ الذي وعاه أبواه، وهو غير الواقع المرير الذي آلت إليه بلاد الأندلس، وكما كان البحر معبراً رمزياً للحضارة الإسلامية ببعدها الإنساني الجميل، عاد البحر نفسه منتكساً على عقبيه يشارك الفارين من المسلمين هزيمتهم ونكوصهم بعد حوالي (٨٠٠) عام. يقول الوافي على لسان هذا الطفل:

أين المفرْ .. البحر شَقَّ البحر
تمخره سفائننا
تجاويف انكسارْ !
لو شرَّح التاريخ - يا ابن البحر – ذاكرتي ..
سينكرني النهارْ !!
إني وريث الأمس
جرَّعني أبي التاريخ

ممجوجاً وقد لجلجت
عند البحر:
يا أماه يا بنت المحار..
هل ترجعين اليوم
هل في البحر جيران
وهل في البحر دار ؟!
.. ..
... .
من أين خلت البحر يا ابن البحر أندلساً
وكيف حبست هذا الملح
في عينيك نوراً للغياب [٣٥]

فالبحر قد ورد في القصيدة أكثر من خمس عشر مرة، يكتسب فيها هذا الرمز أبعاداً جديدة على خلفية الانكسار التاريخي في رثاء جميل وحزين يستنكر فيه عودة الحياة إلى ما اندثر وغاب. كما أن انفتاح النص على هذا الكم الهائل من الدلالات الوامضة "يتيح له أن يحوز كماً من الوعي المتعدد والمتنوع"[٣٦] وقد نجح النص بتعالقاته التناصية في إيقاظ الذاكرة التي تحاول استرجاع الأحداث والدفع بها؛ لتشي بهذا الحاضر السوداوي المظلم.

ثانياً: تناص التخالف:

هذه هي الصورة الأخرى التي يوظفها الشاعر إبراهيم الوافي متمثلة في إعادة قراءة التراث الشعري، بتفكيك سير الشعراء وأشعارهم التي قيلت في أبرز المناسبات وأجل الأحداث. إذ بالتفكيك يسهل الاستلهام العكسي لمحتوى الوقائع التاريخية ويصبح الذي سقط سهواً - من وجهة نظر الشاعر - بارزاً في الصدارة وموظفاً بوصفه متناصات واعية في الخطاب الشعري المعاصر.ولعل انفتاح الخطاب على هذا النوع من التناص "قد يكون تعبيراً عن قلق إبداعي في ظل سيطرة الخطاب التراثي أو الحديث، وهو ما يحاول الخطاب الحاضر الإفلات منه والخروج من سيطرته؛ لتأكيد شرعية نضجه واكتماله وجدارته باستقلالية تخرجه من السيطرة الأبوية في مجملها، سواء أكانت أبوية إبداعية أم غير إبداعية"[٣٧].

وقد تجلت هذه الصورة من التناص وانتظم عقدها في مجموعة أخرى من الأنساق أبرزها الآتي:

الخيانة وتتابع الهزائم:

لقد شكلت الهزائم العربية والإسلامية بؤرة سوداء في جراح متخثرة، يتعالى عليها الشعراء بنبرة عنترية تجعل قصيدة الفخر جوفاء قياساً بقصيدة رثاء المدن والممالك الزائلة. يقول أبو فراس الحمداني في قصيدة الوافي "ما انتحله الرواة من شعر أبي فراس الحمداني": [٣٨]

وإنّا أنــاس لا توســط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر [٣٩]

وأبو فراس ابن عم سيف الدولة، كان أميراً وقع في الأسر مرتين في مغامرة الكحل سنة (٩٥٩م) وقد حمله الروم بعد ذلك إلى خرشنة وهي حصن قريب من مالطية، أما الأسر الثاني فقد كان في عام (٩٦٢م) في موقعه مع الروم، وقد كانت مدة أسره في المرتين سبع سنوات ولم يلتفت إليه ابن عمه سيف الدولة رغم كثرة القصائد الشاكية. ولقد كان أبو فراس فارساً وشاعراً يغار منه سيف الدولة ويخشى مكانته.

وأبو فراس يجعل حياة الناس بين خيارين، إما أن يتصدروا الأقوام عزة وانتصاراً، وإما الموت ولا خير في أن تهون عليهم نفوسهم فيدفعون الردى بمذلة [٤٠]. ولكن الوافي يرى أن القبر هو الخيار المسكوت عنه؛ لأن عالم هذا القبر بالنسبة للتاريخ مأسوي، إذ به تتشكل علاقات المواقف والأشياء تشكلاً درامياً لم تأخذ القضايا فيه حقها من الجد والاهتمام، وليس سوى ما يلازم القبر من الدود والليل والردى:

هو القبرُ ضاعتْ فيه كلُّ قضيةٍ
وعنَّس فيه النور ما فضَّه الفجرُ
تمرُّ به الأنواءُ والليلُ والردى
ويفترُّ في أفيائه الدودُ والزهرُ
هو القبرُ (فاستلق) على سفح ربوةٍ
سيأتيك بالتاريخ من راعَهُ الدهرُ [٤١]

إن الوافي وهو يتناص مع أبي فراس يختار(القبر/الهزيمة والموت)، ويؤكد على حضوره في صياغة قوية (هو القبر ضاعت فيه كل قضية، هو القبر فاستلق على سفح ربوة)مغيبا دال(الصدر)/النصر والحياة الكريمة؛ لأن الواقع المعاصر يشي بذلك، وهذا التناص الذي عمد إليه الوافي قد وظف - فيما يبدو - في دلالة نقيضة للمعادلة التي أكدها أبو فراس المتمثلة في الاختيار بين الصدر أو القبر وعدم العيش في منطقة وسطى إما النصر أو الموت أي الشهادة، ولكن الموت/القبر الذي عناه الوافي هنا مختلف تماماً جراء هذه الهزائم التي يعاني منها الواقع

العربي والإسلامي. فمن أين يأتي النصر والخيانة كانت هي الأساس التي أنبتت الهزائم المتتالية. نلحظ ذلك في قول الوافي في نص له بعنوان: " تهجيت في سوق عكاظ":

ما ورَّث الوجع الخرافي
العصور خيانة
يوماً .. ولا خدشت
رياح البحر
إجلال التراب (٤٢)
أو قوله:
السيف خان السيف (٤٣).

إذ بسبب هذه الخيانة فككت الدول وتفرقت الممالك، وضاع الملك وسقطت الخلافة، ولا يملك الشاعر المعاصر الذي يشاهد مآسي الاحتلال لبعض هذه الدول إلا أن ينوح على الماضي. وفي الماضي والحاضر يقول الوافي وهو يشاهد مأساة الاحتلال للعراق في نص له بعنوان "(أنشودة) ا ل ع ر ا ق(والسياب) و ا ل م ط ر":

لو كركر الأطفال
لو غنت عصافير
(ا ل ع ر ا ق) ولو بتَرْتُ
لساني الموبوء
لو حنَّطْتُ أوجاعي
ولوْ....
هل تَهَبُ الجراحْ
غير الجراحِ تخثرتْ
فوق الجراحْ!! (٤٤)

ولو أعدنا قراءة قصيدة الوافي "ما انتحله الرواة من شعر أبي فراس الحمداني "لتبين لنا أن الشاعر الأمير فارس مغوار، قد اختار مكانته في مقدمة الجيوش، بل مقدمة الأدوار التي تصنع له المجد:

حارب قومه في هوى من أحب (٤٥). ووفى وإن غدر به (٤٦). تتنكر له محبوبته وهي عليمة به (٤٧). في حين أنه ينكر عليها تعاليها(٤٨). وهذه الخاصية الشخصية للأمير تجعل العز قريباً من العشق (٤٩). فحكم الزمان قد فعل به ما فعل وله العذر في ذلك(٥٠).

ومن المناسب أن يكون هذا المشهد الغزلي الواضح مذهلاً للحديث عن فروسيته:

وإني لجرار لكل كتيبـــة معودة ألا يخـــل بها النصـــر

وإني لنزال بكل مخوفة كثيرإلى نزالها النظر الشزر[٥١]

وهكذا يظل أبو فراس يعدد مناقبه وصفات فروسيته؛ إظهاراً لقوته حتى وإن وقع في الأسر، فالأسر أشرف إليه من الفرار، ويختتم قصيدته بمقطع عن الموت الشريف والحياة العزيزة.

ويتضح أن محور هذه القصيدة هو الفخر الذي استأثر به الفرسان إبان ابتلائهم بالحروب والمعارك بين القبائل والقبائل، والممالك والدول إلخ ...

هذا هو الهامش الذي كتبه أبو فراس شعراً في موقفه في الصدارة بين قومه، ولكن الرواة الشعراء أو الشعراء التابعين لهذا الشاعر الفارس لم يأبهوا إلا بجانب الفروسية البراق كما سجله ديوان الشعر العربي، وأغفلوا الجانب الآخر (القبر) أي الهزائم المتتالية في تاريخنا الممتد، وهذا الجانب المظلم مسكوت عنه ربما في القراءة النقدية لشعر أبي فراس، تستنطقه قصيدة الوافي فتتخذ به صورة مختلفة عن قصيدة أبي فراس اختلافاً يوافق الحاجات الآنية الملحة لقصيدة الوافي؛ لأن الشاعر الأول لم يعرف الهزيمة؛ لأنه اعتبرها قرين الموت، أما إبراهيم الوافي الشاعر السعودي المعاصر فقد كرس نفسه لإعادة نسج هذه الرؤية المأسوية. يقول:

من أين يأتي الصدر

هاك الصدر

هل تستدرج الأحلام

تخطبه وهل تحيا ..

تموت ؟! [٥٢]

والأدهى عنده أن كل الذين يتبنون هذه الرؤية المأسوية لا يعلنون عنها إلا بصوت خافت أو نشيج عام، وكأن التخفي وراء همس الصور والرموز هو العاصم المنجي من بطش الآخر واعتسافه:

كل الرمال السمر

هاجعة إذا نحن

احترقنا العزف

في الناي الصموتْ

أسيافناَ ثكلى

كأن عويلَها ندبٌ

نسائيٌ تَضُجُّ به

البيوتْ [٥٣]

والآلية نفسها هي ما كتب بها الوافي قصيدته "رسالة لم تكتب من سيف الدولة الحمداني إلى أبي الطيب المتنبي "[٥٤] حيث يسترجع سيف الدولة ما نسي المتنبي أن يكتب فيه، إذ تتراكم هزائم الإنسان الشخصية في شعوره ولا شعوره أمام تحقيق مجد زائف قد لا يتجاوز العنترية، أو البلاء في الحرب حينئذٍ يحس البطل الموهوم أنه خسر نفسه حتى وإن كسب العالم. يقول الوافي على لسان سيف الدولة:

ما عاد هذا السيف يعرفني ولا عاد
النقيع سعاله خَمْرٌ
ولا عادت فلول الروم
سادرة ولا حتى السبايا
يرتشفن العشق
من صوتي ويضربن الخمارْ..
حتى النهار يكاد ينخر بالنهارْ !!
ومسائي الموعود بالنجوى تعثر في
خيوط الشمس مرتبكاً بأجفان الغروب
مبشراً بالريح تعصف بالديارْ ..[٥٥]

يفصح سيف الدولة عن المدفون في وعيه وفي لا وعيه باعتباره سلسلة من تمنيات المتنبي من مثل:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم [٥٦]

يخلعها على سيف الدولة، ولهذا فإن سيف الدولة يعترف في نص الوافي بأن مدائح المتنبي له ليست إلا طموحاً شخصياً يتمناه هذا الشاعر لنفسه، ومن ثم نجده يرد عباءاته المزيفة عليه:

عدْ لون هذا المجد
نازعْ ما تشاء من السطور
وخذ عباءاتِ (...)
وردَّ سيفَ
الا
ن
ت
صار !! [٥٧]

ونلمس في هذا كله حرص الوائلي على أن يكون لتقنية التناص التي شكل بها نصه دورها الدلالي الفاعل داخل السياق، وقدرتها على توليد الإشارات والرموز الموظفة وفقاً لغاية محددة، ولهذا نجد القارئ يبدي تفاعلاً مع الشفرات التناصية الدالة على استحضار الصورة الأخرى للشخصية المستدعاة بكل ملامحها الخفية، وهذا ما جعل الطبيعة البنائية لهذا النص تتسم بالمكاشفة والشفافية.

الذات العربية بين الاستلاب والوعي:

إن ثمة ضرورة لتغيير المفهوم الفكري للشخصية العربية، كما أنه لابد من إعادة النظر في بنية العقل العربي لتجريفه من الخرافات، أو إقصائه عنها إعمالاً للوعي، تتجلى هذه الدعوة في نص الوائلي "نقوش مجهولة فوق حصن عمورية" إذ تتضمن تغيير استراتيجية الهجوم على عمورية بعد أن كذب كلام المنجمين ونضجت عناقيد الكروم ولم يتحقق الفتح:

ها نحن حل الصيف
لا ارتحلت جحافلنا
ولا جادت حقول الكرم بالنصر
ال
ع
ط
ا
ء ..!!
يا سيد السيف الذي أغمدته
بالغمد بتاراً
بأعناق الطريق !
هل للنداء
(هوية أخرى)[٥٨]

وتتجلى في النص دعوة الشاعر الصريحة في مجابهة الواقع الخرائي بالحرب، وإعمال السيوف الصادقة في مواجهة السيوف الخائنة، واستنهاض الهمم؛ لفتح الحصن المغلق قبل فوات الأوان، وهذه الرؤية تبدو إيجابية في مواجهة الجانب الاستلابي في الشخصية العربية التي تركن إلى السلام الزائف والقبول باستعمار الآخر، كما أن الدعوة هنا دعوة للمقاومة التي ترفض ما شاع على الساحة العربية من اتفاقيات زائفة. إذاً الذي سقط سهواً من هذه القصيدة هو تلك الدعوة التي تبناها الوائلي أسلوباً للتحرير.

عبلة الأمل والمنقذ:

إن الاستنفار الذي يقاربه الشاعر مع المهمشين في الاغتراب والسادرين في الظلمة والحرمان، والمبعدين لسواد بشرتهم رغم أحلامهم الجميلة يجسده الوافي في قصيدته "ما لم يحفظه الرواة من شعر عنترة العبسي"[٥٩] في شخصية"عبلة ". وهذه الشخصية على مستوى الحدث هي"نوار القفار" و" النوء التي هرعت له الرمال السمر" و" النوء الذي استضوى رجالات القبيلة"وهي"السراج الذي يضئ الليل ". هذه الشخصية متعددة الجوانب، ومتباينة، فعبلة ليست مجرد شخصية سلبية تتلقى الحب من ابن العم المبعد والمحاصر دون أن يكون لها مشاركة، أو أن تبدي رأيها في النزوع نحوه تقديراً له، وإنما هي المنقذ من ظلم القبيلة، ولهذا اتجه الشاعر إلى نقضها في كل حالة مشابهة قديمة كانت أو حديثة:

يا أنت يا عبل القبيلة
يا طعنة العم التي
تنمو على قلبي
كنوّار القفارْ ...!
كل الذين وهبتهم كفي
عبيداً للديارْ !!
كل المساءات
التي نامت بأحضاني
ستأتي بالنهارْ ..
يا أنت يا عبل .. الفتيلة
يا ذلك النوء الذي
هُرعَت له
كلُّ الرمال السمر
واستضوى رجالات
القبيلة ..!
أين السراج
يضئ هذا الليل؟ [٦٠]

ولهذا أضحت عبلة دالاً حياً متحركاً موحياً داخل نسيج هذا النص، فحين استدعاها الوافي لم يجعلها مقصورة على بعدها المألوف في النص القديم، ولكنه جعل منها دالاً عكسيا وشخصية

نقيضة للشخصية الموروثة فذهب بها إلى أبعد مما اختزلته عنها الذاكرة القديمة (الأسطورة والفلكلور الشعبي)، فلقد أصبحت منقذاً من العبودية والاضطهاد في مقابل تقاعس القبيلة وتخاذلها، وأملاً مشرقاً لهذا الواقع المؤلم في مقابل هذا التقاعس والركون الذي نعيشه .كما غدت عبلة في ضوء هذا التوظيف التناصي إشارة وامضة يتشكل واقعها الجديد من خلال طاقتها الدلالية داخل هذا السياق التناصي الجديد.

وبهذه التقنية أيضاً يتحول النص الجديد المقروء إلى نص قارئ يقرؤنا، ويعيد صياغتنا، ويحاول تغيير تفكيرنا، ويقف معنا على عتبات هذا الواقع المرير.

وعلى هذا يمكن القول بأنه"ليس من المتصور أن يكون استدعاء أي خطاب لمجرد الإعلان عن اتساع فكري، أو التباهي بقدرة معرفية، أو لمجرد إنتاج معنى تم إنتاجه، بل إن(التأسيس) هو أول العوائد التي يفيد منه خطاب الحاضر في امتصاص ما سبق وإذابته في نسيجه الصياغي أو الدلالي بكل محموله الشعري أو النثري، التاريخي أو الفلسفي، الأسطوري أو الرمزي. وانفتاح النص الحاضر لا يكون لاستقبال الوافد والترحيب به فحسب؛ وإنما يكون الاستحضار لإخضاعه سياقياً لإمكانات الخطاب الحاضر"[٦١]، كما أن التأثر الشعري"لا يعني جعل المتأثر أقل أصالة، بل يساهم أحياناً بجعله أكثر تميزاً، وإن لم يكن بالضرورة أرفع مستوىً"[٦٢].

وبعد هذه القراءة لأبرز نصوص الديوان تجدر الإشارة إلى أن التناص فيها"محكوم بالتطور التاريخي لموقف المتناصين ائتلافاً واختلافاً حسب التباعد الزماني والمكاني بينهما من جهة، أو التباين والتشاكل في الموقف والوعي التاريخي والثقافي من جهة أخرى، وهذا ما يبرز عادة وبشكل واضح فيما يعرف بإعادة كتابة النص، وبالتعالق النصي، والتداخل النصي، أي ما يجعل النص في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص"[٦٣]. وهنا تكمن جماليات التناص حين يعمد إلى إنتاج قراءة أخرى إبداعية للنصوص، تمتلك القدرة على التأثير والنفاذ والانتشار، وتسهم في خلود النصوص، وخلود الإبداع على مر الزمن.

الخاتمة:

وبعد هذه الدراسة التناصية لأبرز نصوص إبراهيم الوافي في ديوانه (سقط سهواً) يرى الباحث أهمية التناص مفهوماً ونظرية ورؤية نقدية؛ لما له من تأثير إيجابي في تفاعل النصوص وتعالقاتها المختلفة، وبما له من قدرة على اجتراح البنية الداخلية لها، وتحريك السواكن والدوال، وفتح آفاق الحوار مع القارئ والمتلقي على السواء، لإبراز أفق النص الجديد وجمالياته، بل وإعادة كتابة النص وشحنه بأبعاد ومضامين ورؤى جديدة؛ لأنه كلما ارتقى التناص ارتقى الإبداع والعكس صحيح.

كما يمكن للبحث أن يقرر مجموعة من النتائج:

- كثافة العلاقات التناصية مع التراث في الديوان المدروس، فلا تكاد تخلو قصيدة من وجود شكل ما من أشكاله، وهذا ما يجعل مهمة القارئ في رصد وتتبع مظاهر التناص وطرائق تشكله شائكة، غير أن ذلك لم يمنع من استنطاق النصوص ومحاورتها، ومحاولة امتلاك المفاتيح والأدوات النقدية التي يمكن من خلالها تحديد حركة التناص ومساراته وبنياته الفاعلة.
- تبين بعد القراءة أن رؤيا الشاعر في تفاعلها مع النص القديم تجنح إلى نمط من العلاقة يتسم بالتجانس والتآلف نلمس ذلك في أكثر قصائد الديوان. وهذا يعكس انسجاماً بين الشاعر الحديث وتجربة الشاعر القديم ومعاناته، وفي المقابل فإن هناك نصوصًا أخرى – وإن كانت قليلة – نلمس فيها خروجاً على النمط السائد إذ تبدو فيها علاقة النص الجديد بالنص القديم قائمة على بنية الاختلاف عنه، وهو ما يعكس وعياً معرفياً يحاول الشاعر الحديث من خلاله أن يتخلص من الاستلاب الدائم لرؤيا الشاعر القديم.
- يمكن القول: إن تقنية التناص، ببنيتي التآلف والتخالف، قد أضفى بها إبراهيم الوافي على قصائد ديوانه "سقط سهواً" عمقاً و كثافة، لا يمكن له أن يحققها مالم يكن مسلحاً بقدر متفرد من البراعة والثقافة والخبرة الواسعة المزدوجة: خبرة بالتراث، وخبرة بالحاضر القائم الذي يعيش بين جنباته، وهو كذلك يبلغ بالبراعة حداً يجعله جديراً بدراسة أخرى تتوفر على مجمل إنتاجه والقضايا الفنية المرتبطة به.
- حاول البحث إثبات أن تطوير القصيدة المعاصرة يجب أن ينبع من داخل التراث ذاته، فضلاً عن أن هذا التراث هو أنجع وسيلة للتعبير عن همومنا وواقعنا المعاصر.

الهوامش والتعليقات:

(١) ينظر: د. صلاح فضل: "طرز التوشيح بين الانحراف والتناص – قراءة جديدة لتراثنا النقدي"، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٤١هـ - ١٩٩٠م، المجلد الآخر، ص٩٣٩. وينظر كذلك: جوليا كريستيفا: "علم النص" ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، طبعة أولى، ١٩٩١م، ص٧٨.

(٢) ينظر في التناص ودوره في إنتاج المعنى: د. حميد لحمداني: "القراءة وتوليد الدلالة – تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي" المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان، طبعة أولى، ٢٠٠٣ م، ص ٢١ – ٤٦ .

(٣) ينظر: صبري حافظ: "الشعر والتحدي – إشكالية المنهج"، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، عدد (٣٨)، آذار، ١٩٨٦م، ص٧٧ .

(٤) ينظر: د. أسماء أبو بكر أحمد: "آليات التناص النوعي في شعر الحداثة" مكتبة دار الزمان للنشروالتوزيع، المدينة المنورة، طبعة أولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م، ص ٧.

(٥) لمزيد من الإضاءات و التفصيل للمقاربات النقدية لمفهوم التناص ينظر:

- كاظم جهاد: "أدونيس منتحلاً – دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة يسبقها: ما هو التناص؟" مكتبة مدبولي، القاهرة، طبعة ثانية، ١٩٩٣م، ص ١١- ٧٨.
- محمد خير البقاعي: "آفاق التناصية – المفهوم والمنظور" مجموعة مقالات مترجمة لنقاد غربيين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨ م
- محمد عزام: "النص الغائب – تجليات التناص في الشعر العربي (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١ م، ص ٢٦- ٥٣ .
- ليديا وعد الله: "التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة"، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، طبعة أولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥ م، ص ١٣ – ٤٣ .

(٦) د. مصطفى السعدني: "في التناص الشعري"، منشأة المعارف بالاسكندرية، (د. ت)، ص٩٢-٩٣ .

(٧) للاطلاع على المزيد من أنواع التناص ينظر:

- د. محمد مفتاح: "تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب - بيروت لبنان، طبعة رابعة، ٢٠٠٥ م، ص١٢٢- ١٣٢ .
- أحمد مجاهد: "أشكال التناص الشعري – دراسة في توظيف الشخصيات التراثية"، الهيئة المصريةالعامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٣٥٩ وما بعدها، وص ٣٨٧ وما بعدها .
- د. سلمان كاصد: "عالم النص- دراسة بنيوية في الأساليب السردية"، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن،(د. ت)، ص٢٤٦ - ٢٥٢.

(٨) د. عبد الله بقش: "التناص في الخطاب النقدي والبلاغي"، طبع ونشر أفريقيا الشرق، ٢٠٠٧م، ص٤٢-٤٣ .

(٩) نفسه: ص٤٣ .

(١٠) صبري حافظ: "الشعر والتحدي"، ص٧٩ .

(١١) مايكل ريفاتير: "دلائليات الشعر" ترجمة ودراسة محمد معتصم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة، المغرب، طبعة أولى، ١٩٩٧ م، ص ٢٥٦.

(١٢) شاعر سعودي معاصر يعد من أبرز شعراء الجيل الجديد، يعي الشعر ويوظفه بصوته المتميز، من مواليد (المدينة المنورة) عام (١٩٦٩) م، كاتب صحفي وناقد، مسؤول (بيت الشعر) في النادي الأدبي بالرياض، أصدر عدة دواوين شعرية منها:

- رماد الحب: ١٩٨٩م .
- رائحة الزمن الآتي: ١٩٩٧م.
- سقط سهواً: ٢٠٠٠ م.
- وحدها تخطو على الماء: ٢٠٠٤م.
- أعذب الشعر امرأة: ٢٠٠٧م.
- وحيداً من جهة خامسة: ٢٠٠٨م .

(١٣)إبراهيم الوافي: " سقط سهواً " ديوان شعر، جدة، المملكة العربية السعودية، طبعة أولى، ٢٠٠٠م، ص٧ .

(١٤)نفسه: ص١٢ .

(١٥) نفسه: ص٧ .

(١٦)الأصفهاني (أبوالفرج): " الأغاني "، تحقيق د. إحسان عباس وزميليه، طبعة دار صادر، بيروت،(د. ت)، ٦٦/٩.

(١٧)نفسه: الصفحة نفسها .

(١٨)سقط سهواً: ص٧ .

(١٩)نفسه: ص٧-٨ .

(٢٠)نفسه: ص٩ .

(٢١)نفسه: ص١٠-١١ .

(٢٢)نفسه: ص٨ .

(٢٣)امرؤ القيس: " ديوانه "، المركز الثقافي اللبناني، بيروت، طبعة أولى (د. ت)، ص٤٨ .

(٢٤)نفسه: ص ٥١ .

(٢٥)نفسه: ص٣٢ – ٣٣ .

(٢٦)" سقط سهواً ": ص١١-١٢ .

(٢٧)نفسه :ص١٣ .

(٢٨)د. عبد الله محمد الغذامي: " تشريح النص – مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة "، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، طبعة أولى، ١٩٨٧ م، ص ٦٨ .

(٢٩)نفسه: ص٨٠-٨١.

(٣٠)نفسه: ص٨١-٨٢ .

(٣١)نفسه: ص٨٣ .

(٣٢)نفسه: ص٨٤ .

(٣٣)نفسه: ص٨٥.

(٣٤)نفسه: ص٨٧ .

(٣٥)نفسه: ص٨٧-٩٠.

(٣٦)د. محمد عبد المطلب: " تقابلات الحداثة في شعر السبعينيات " الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة كتابات نقدية، مصر، طبعة أولى، ١٩٩٥ م، ص ٥٤-٥٥.

(٣٧)د. محمدعبد المطلب: " مناورات الشعرية "، دار الشروق، مصر، طبعة ثانية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م، ص ٥١.

(٣٨)سقط سهواً: ص٢٥.

(٣٩)نفسه :ص ٢٥، وكذلك ينظر: أبو فراس الحمداني: " ديوانه "، المركز الثقافي اللبناني، بيروت، طبعة أولى، (د. ت)، ص١٢. وصيغة البيت في الديوان هي: ونحن أناس لا توسط عندنا. .. ..

(٤٠) أبو فراس: " ديوانه ": ص ١٢ .
(٤١)سقط سهواً: ص٢٦ .
(٤٢)نفسه: ص١٧ .
(٤٣)نفسه: ص٣٣ .
(٤٤)نفسه: ص٩٩-١٠٠ .
(٤٥)أبو فراس: " ديوانه "، ص٩ .
(٤٦)نفسه: ص١٠ .
(٤٧)نفسه :الصفحة نفسها .
(٤٨)نفسه: الصفحة نفسها .
(٤٩)نفسه: الصفحة نفسها .
(٥٠)نفسه: الصفحة نفسها .
(٥١)نفسه: ص١١ .
(٥٢)"سقط سهواً ": ص٢٧ .
(٥٣)نفسه: ص٢٦-٢٧ .
(٥٤)نفسه: ص٣٩.
(٥٥)نفسه: ص ٤٥-٤٦.
(٥٦)ناصيف اليازجي: " العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب "، تقديم د. ياسين الأيوبي، دار مكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٠ م، ٩٦/٢ .
(٥٧) سقط سهواً: ص ٤٦.
(٥٨)" سقط سهواً ": ص ٣٤ -٣٥.
(٥٩)نفسه: ص١٥١.
(٦٠)نفسه: ص١٥٥- ١٥٦.
(٦١)د. محمد عبد المطلب: " تقابلات الحداثة في شعر السبعينيات "، ص ٥٤ .
(٦٢)هارولد بلوم: " قلق التأثر – نظرية في الشعر " ترجمة د. عابد إسماعيل، دار الكنوز الأدبية، بيروت لبنان، طبعة أولى، ١٩٩٨ م، ص ١٢.
(٦٣) د. محمد أديوان: " مشكلة التناص في النقد الأدبي المعاصر " مجلة الأقلام العراقية، عدد (٤، ٥، ٦)، (نيسان، مارس، حزيران)، ١٩٩٥م، ص ٤٦.

جامعة الطائف

بناء الشخصية في مجموعة عبد العزيز مشري (أحوال الديار)

د . كوثر محمد أحمد القاضي

أستاذ مساعد - كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (اللغة العربية وآدابها)
المجلد الأول - العدد الثالث - جمادى الآخرة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الملخص

تعد الشخصية القروية الجنوبية شخصية ذات طابع خاص مستقل، قدمها بعض الكتّاب وكأنه يكتب سيرة حياته، بينما اهتم بعض القاصين بالتفصيلات الكثيرة والجانبية التي تحفل بها البيئة الجنوبية فقدم الشخصية برؤية شعرية جديدة ؛و عبدالعزيز مشري هو ابن هذه البيئة القروية، من الذين هاجروا مبكراً إلى المدينة؛ و قد كان رأيه في المدينة مطابقاً لرأي شخصياته؛ حيث المدينة الفضاء الموحش، قليل الوفاء و المتسم بالغربة و الجحود.

و قد قسمتُ البحث إلى: مدخل يتضمن العتبات النصية: عتبة الغلاف و عتبة العنوان، ثم انتقلتُ إلى الموضوع الرئيس: بناء الشخصية الجنوبية في مجموعة " أحوال الديار "، وقسمتُ دراسة قصص المجموعة فيه إلى قسمين: قصص حملت أسماء الشخصية الرئيسة فيها، والقسم الثاني: قصص أخرى تلعب الشخصية إلى جانب العناصر الأخرى دوراً بارزاً فيها.

استعان عبدالعزيز مشري بعناصر البيئة الجنوبية لتكون هذه العناصر هي الدليل في القصة؛ فتؤثر هذه البيئة في الشخصية لتصنع شخصية متميزة تستمد منها حديثها وسلوكها ومعظم مقوماتها. ويأخذ الوصف الشعري المتدفق الإحساس لهذه البيئة المحببة إلى نفس القاص حيزاً كبيراً في معظم قصص المجموعة.

و يعتمد مشري على الوصف المشهدي الطويل، و الملاحظة التي تقوم على الاستقراء لهذه البيئة المميّزة و أعرافها و عاداتها، التي لولاها ما كانت هذه الشخصية.

كما يعمد إلى التركيز الشديد على إيراد التفاصيل الصغيرة و الدقيقة للحياة اليومية في القرية، و ذكر بعض الأمثال، و الكلمات الكثيرة من اللغة المحكية، في محاولة منه لتمييز هذه البيئة عن غيرها من البيئات القروية الأخرى.

و معظم قصص المجموعة تقوم على مساءلة الواقع، الواقع كماض جميل، و لكنه مستحضر في واقع الكتابة كحاضر.

و تبدو قصص المجموعة كحكاية كبيرة تشبه الحكايات الشعبية في سردها، حكايات الواقع الاجتماعي و الواقع الأخلاقي، و في بحثها المستمر عن العبرة و الموعظة، و لكن الكاتب يفككها إلى مشاهد متوازية، في كل مشهد حدث جديد، و يكوّن من كل مشهد قصة قصيرة جديدة ومنفصلة.

مدخل:

تبدو أهمية دراسة الشخصية القصصية في مجموعة " أحوال الديار "[١] لعبدالعزيز مشري في محاولة وضع بعض السمات الخاصة للشخصية؛ عن طريق البحث في بعض المميزات التي امتازت بها البيئة الجنوبية، فتكون الشخصية بذلك حصيلة بقعة مكانية بكل ما فيها من عادات و تقاليد، تحدد ما يُمكن أن يُسمى بـ " الشخصية الجنوبية ".

عرفنا كثيراً من الروايات و المجموعات القصصية التي اتخذت الريف المصري مسرحاً لأحداثها [٢]، كما عرفنا الكثير من الروايات التي استوحت التاريخ [٣]، و قد تشبه الشخصية هنا، الشخصية الريفية في أماكن مختلفة من العالم، و لكنني آمل أن أضع أمام القارئ بعض المميزات التي لابد أن تفترق بها هذه الشخصية القروية عن الشخصيات القروية الأخرى.

و قد حاول بعض النقاد الوقوف على بعض هذه السمات في دراستهم لروايات عبدالعزيز مشري مثل الدكتور حسن النعمي الذي قدم دراسة فنية لروايات مشري [٤]؛ إلا أنه اعتمد على كتاب " مكاشفات السيف و الوردة " الذي يعد سيرة ذاتية و إبداعية للكاتب، في قراءته للروايات، و توصل بناء على رؤية مشري لإبداعه إلى قراءة مميزة لرواياته، و قد رأى أن مشري في أغلب رواياته لم يُحسن رسم الشخصيات؛ فكانت تؤدي أدواراً مفروضة عليها مسبقاً، و حواراً كُتب لها و عليها أن لا تخرج عنه.[٥]

و في قصص هذه المجموعةكما سيرد ـ يلعب الزمان القديم بالإضافة إلى الزمن القصصي، و البيئة القروية دور البطولة في بناء الشخصية الجنوبية، التي لا تتفرد إلا بهما.

و يعتمد مشري على الوصف المشهدي الطويل، و الملاحظة التي تقوم على الاستقراء لهذه البيئة المميّزة و أعرافها و عاداتها، التي لولاها ما كانت هذه الشخصية.

كما يعمد إلى التركيز الشديد على إيراد التفاصيل الصغيرة و الدقيقة للحياة اليومية في القرية، و ذكر بعض الأمثال، و الكلمات الكثيرة من اللغة المحكية، في محاولة منه لتمييز هذه البيئة عن غيرها من البيئات القروية الأخرى.

و يعد الوصف قوام معظم قصص المجموعة، حيث يجذب النصوص في اتجاهين:

اتجاه يخضع لدفع الزمن؛ فيزمّن المقاطع الوصفية، و اتجاه يحوّل المكان إلى زمن، فيمكّن الزمن، أي يحوّل الزمن إلى مكان.

العتبات النصية:

تسعفنا قراءة العتبات في استجلاء النصوص و فك شفراتها؛ فقد" اهتمت السيميائية الحديثة بدراسة الإطار الذي يحيط بالنص، كالعنوان و الإهداء و الرسومات التوضيحية، وافتتاحيات الفصول و غير ذلك من النصوص التي أُطلق عليها النصوص الموازية "[٦].

ومن أهم العتبات المؤثرة في القراءة، التي تأخذ حيّزاً كبيراً في الفضاء النصي، عتبة الغلاف، وتشكيل العنوان:

١. عتبة الغلاف:

أما عن غلاف مجموعة " أحوال الديار "، فهو عبارة عن صورة من صور الطبيعة الصامتة، بل المهجورة أو المنبوذة؛ لمجموعة من أشجار النخيل مرصوفة بعناية فائقة، و كأن الزمن جعلها بهذه المنظومة لتشكّل خطاً فاصلاً بين الحياة و الموت؛ بين القرية و المدينة؛ أو بين الزَبد و ما ينفع الناس!

و أمام هذه المجموعة من الأشجار خطوط محفورة في التراب و كأنها لحود، و تتكوم أحجار مختلفة الأحجام: كبيرة و متوسطة و صغيرة أمام اللحود، و كأنهم أناس تحجروا بفعل الإهمال، أو الهجر أو أسباب أخرى.

و يُلحظ أن الأحجار متوسطة الحجم هي التي تتقدم هذا الخط المتعرج من الحجارة، بينما تقف الأحجار الكبيرة و الصغيرة جداً برسوخ في المؤخرة؛ إشارة إلى أن الشباب غالباً هم من يسارعون إلى التغيير، بينما يتأخر الكبار لما هو معروف عنهم من التمسك بكل قديم، و الصغار لا يستطيعون إلا أن يكونوا رهن إشارة الكبار؛ و قد يكون المجهول وراء صفوف النخيل هي المدينة التي يُحذر من شرها الآباء.

٢. عتبة العنوان:

أما العنوان الذي يمّيز نصاً أدبياً عن آخر، و يجعل له كياناً مستقلاً، يبحث عنه القارئ دائماً، و لا يكاد يفارقه؛ فقد نسجه القاص من صورة الغلاف، أو نُسجت صورة الغلاف منه؛ ليكونا كُلّاً واحداً لا يتجزأ.

يتكون العنوان من كلمتين:

" أحوال " و " الديار "

و الكلمتان لا تستقل إحداهما عن الأخرى؛ فالأولى نكرة و تدل على الحال الذي عليه سكان الديار من فرح و حزن... الخ.

و الثانية معرفة؛ فلا تعّرف الأحوال إلا بإضافة الديار إليها.

و إذا تأملنا كلمة " الديار " سنجد أن لها حمولات تراثية قديمة؛ حيث " الديار " تحيل إلى الوقوف على الأطلال و الرسوم الدوارس.

و نسبة " الأحوال " إلى " الديار " تفيد الحصر و القيد و التحديد عبر عنصر الإضافة.

فمعنى الحال في المعجم من الحلول : " حلّ بالمكان يَحُلُّ حُلولاً و مَحَلّاً و حَلّاً و حَلَلاً... و ذلك نزول القوم بمَحَلَّة و هو نقيض الارتحال ".[٧]

أما " الديار " فهي " المحل يجمع البناء و العرصة... و الدُّور: جمع دار و هي المنازل المسكونة و المحالُّ، و أراد بها ههنا القبائل، و الدّور هنا: قبائل اجتمعت كل قبيلة في مَحَلَّة فسميت المَحَلّة دَاراً "[٨].

و المعنى المعجمي الثاني ـ للديار ـ يؤكد ما ذهبتُ إليه سالفاً من ارتباط الديار بالقبائل المتنقلة التي تترك ديارها أثراً بعد عين، و يؤكد هذا المعنى ثالثاً البيت الشهير لعنترة بن شداد الذي يجمع كلمتي العنوان:

عَفَتِ الدّيار و باقي الأَطْلالِ ريحُ الصَّبا و تَقَلُّبُ الأَحْوَالِ [٩]

و تحيل وحدتا العنوان على التحسر على الزمن القديم الجميل غالباً، و هذا هو الخيط الرفيع الذي يجمع كل قصص المجموعة.

و هناك عتبة مهمة لا يمكن إغفالها في بحث يحاول الاقتراب من معالم الشخصيات و ما يؤثر فيها، و كيف يمكن أن تتأثر بمعالم المكان و مرور الأزمان، ألا و هي كلمات للكاتب و الروائي الفرنسي أندريه مالرو (١٩٠١ ـ ١٩٧٦): " ينبغي أن نحاول توعية البشر على العظمة الكامنة فيهم و التي يجهلونها ".

و أندريه مالرو، كما هو معروف، لم يكن أديباً و روائياً فحسب، بل كان رجلاً ثورياً مناهضاً للاستعمار، محباً للإنسانية و الإنسان.[١٠]

و هو بذلك يلفت وعي القارئ إلى الاهتمام بهذه الشخصية، التي ربما لقت أحياناً إجحافاً من بقية المدن في المملكة نفسها؛ حيث يُنظر إلى الشخصية القروية في مجتمعنا و غيره من المجتمعات نظرة دونية تصمها بالغباء و قلة الوعي.

و معظم قصص المجموعة تقوم على مساءلة الواقع، الواقع كماض، و كجزء من الذاكرة، الذي أصبح ماضياً، و لكنه مستحضر في الواقع، واقع الكتابة، و الكتابة كحاضر.

هي حكاية كبيرة تشبه الحكايات الشعبية في سردها، حكايات الواقع الاجتماعي و الواقع الأخلاقي، و في بحثها المستمر عن العبرة و الموعظة، و لكنه يفككها إلى مشاهد متوازية، في كل مشهد حدث جديد، و يكوّن من كل مشهد قصة قصيرة منفصلة.

ترى الدكتورة نبيلة إبراهيم أن حكايات الواقع الاجتماعي و الأخلاقي تكرّس الخوف من التغيّر المفاجئ في الأحوال الاجتماعية، مما يؤثر على الناحية النفسية للشخصيات، و هذا هو محور معظم قصص المجموعة.[١١]

بناء الشخصية الجنوبية في مجموعة " أحوال الديار " :

يقول الدكتور سعيد يقطين: " إن الشخصية المستقاة من واقع اجتماعي من خلال أفعالها وأقوالها و أنماط تفكيرها، و تعيش مع شخصيات أخرى تتفاعل معها، و تتعالق بها، تعبّر عن عالم اجتماعي متكامل... و الكاتب يبنيها بناء على تفاعله مع واقعه التجريبي، يرمي من وراء ذلك إلى تقديم رؤية للعالم الذي يعيش فيه من خلال خلق هذا العالم "[١٢]

والشخصية القروية الجنوبية شخصية ذات طابع خاص مستقل، قدمها بعض الكتّاب وكأنه يكتب سيرة حياته، بينما اهتم بعض القاصين بالتفصيلات الكثيرة والجانبية التي تحفل بها البيئة الجنوبية فقدم الشخصية برؤية شعرية جديدة؛ ربما تكون البيئة الجنوبية من أكثر بيئات المملكة جمالاً من حيث المناخ والطبيعة والحياة القروية الهادئة، وهي بيئة غنية بالمادة القصصية؛ من حيث شيوع الأوهام والخرافات والأساطير، وتمسُّك سكانها بالتقاليد والأعراف المتوارثة.

و عبدالعزيز مشري هو ابن هذه البيئة القروية، من الذين هاجروا مبكراً إلى المدينة؛ و قد كان رأيه في المدينة مطابقاً لرأي شخصياته؛ حيث المدينة الفضاء الموحش، قليل الوفاء و المتسم بالغربة و الجحود.

استعان عبدالعزيز مشري بعناصر البيئة الجنوبية لتكون هذه العناصر هي الدليل في القصة؛ فتؤثر هذه البيئة في الشخصية لتصنع شخصية متميزة تستمد منها حديثها وسلوكها ومعظم مقوماتها. ويأخذ الوصف الشعري المتدفق الإحساس لهذه البيئة المحببة إلى نفس القاص حيزاً كبيراً في معظم قصص المجموعة.

و هناك عدة قصص حملت أسماء شخصيات؛ و هذا يشير إلى اهتمام الكاتب بهذه الشخصيات التي جعل العناصر الأخرى في القصة و خاصة عنصر المكان خدماً أو عوامل مساعدة لرسم الشخصيات.

و هذه القصص على التوالي هي:

مهرة، الشامخ، مهران، ابن القاسي، أبو الحصين، المستورة، حمقة.

تبدأ قصة " مهرة "[١٣] و هي القصة السابعة في المجموعة، بضحكة تتكرر معها لازمة لعدة مرات:

" ها.. ها.. أتضحكون مني يا أرذل الشامتين؟

أنا " مُهرة " ألا تعرفونني... "[١٤].

و الشخصية كما يبدو لأرملة عانت شظف العيش و مرارته في القرية، و السارد يستعرض جانباً من شخصية المرأة القروية القوية التي تتحدى الرجال في طريقة الحصول على الرزق، بله التحمل لمشاق الحياة القروية، و ما يمكن أن يصدر عن الناس مع هذا كله من جحود و نكران.

و يبدو أن السارد في هذه القصة - كما في بقية قصص المجموعة - همه الأول هو استعراض الحياة القروية القديمة، يذكر جانباً منها في كل قصة، و كأنه كتب رواية تاريخية طويلة، كثيرة الشخصيات، و لكن بلا أحداث تذكر، سوى نتف من هنا و أخرى من هناك، و تفصيلات و دقائق كثيرة ينثر منها قليلاً في هذه القصة و قليلاً في تلك؛ ليكوّن من مجموعها " أحوال الديار " في فترة زمنية مضت.

و يبدو أن الشماتة التي تتهم بها مَن حولها لها أسباب كثيرة، ينثرها السرد بين تضاعيف الحكي الذي يجيئ مرة بضمير الغائب و رؤية السارد العليم، و مرة بالاسترجاع الذاكري بضمير المتكلم.

و " مهرة " تقوم بما تقوم به المرأة هناك و أكثر لافتقادها للمعين:

" تجمع التين بشوكه، و على حمارتها القصيرة، تزاحم الشوارب، فتبيع و تبتاع ما تحتاج، و ما نقضت في يوم غزلها... "[١٥]

"... لم أبع من أرضي فتراَ، و لا مددتُ يدي لمتصدق، و لا فترتُ عن الزراعة موسماً.

أنا: تلك التي ليست يداها من شوك التين و قطف ثمار الشجر نائية، و ما عرف الحناء في كفي مقام.

بنيت إلى قرب أرضي على قدري و ولدي داراً، و بيّضتها كدوركم، و أقفلتها بمفتاح صغير كما تفعلون... " [١٦].

و يكبر " الجاهل " [١٧] و يتعلم التدخين و سهر الليل، و الغياب عن الدرس، و ترك قلب أمه في بيت الإسمنت و الحديد، تنتظر الوقت الطويل الذي لا يجيء، و تدعو رب العباد بدعاء ينتقم من زمان أفسد الناس خلف الإسمنت و الحديد و المال، و أبعدهم عن لذة ثمرة الأرض، و حسن طعم جني المحصول.

و تردد بعد كل حين:

ها.. ها..

أتضحكون مني يا أرذل الشامتين؟

أنا " مهرة " ألا تعرفونني ؟!

يُلحظ أن زمن هذه القصة قصير جداً؛ إنه اللحظة القصيرة التي تستغرق تذكُّر مهرة لحياتها الماضية في هذه الجمل القليلة، و من خلال المكان المجهول الذي تقف فيه، و الذي هو

مكان ما في الجنوب، و الباقي يخمنه القارئ من المرجعية المعرفية التي تراكمت لديه من قصص هي في الحقيقة - كما أسلفت - قصة واحدة تتفرّق على قصص عديدة.

و في القصة التاسعة من المجموعة، و هي قصة " الشامخ " [١٨] تقابلنا شخصية تبدو إشكالية؛ يتناقل عنها الناس كثيراً من الشائعات، فبعض أهل القرية يراها شخصية شرهة، محبة للطعام، و يسمون صاحبها بـ " ذي الأنف الواطئ " و قد حدث ذلك من ضربة من سوطه أوطأته.

و هو في القرى المجاورة يُعرف بـ " طويل الذراع " كناية عن كرمه و " فزعته" عند الحاجة.

و السارد يورد بعض التفاصيل اليومية العادية جداً في حياة أبي عروان و زوجته، ثم يقفز فجأة و بلا مقدمات إلى تصدر أبو عروان لحل مشكلة ثأر قديمة لم يجر الحديث عنها من قبل، و غرض السارد من كل ذلك إشراك القارئ معه في تحوُّل النظرة إلى أبي عروان من النقيض إلى النقيض، و تسميته - بعد أن حل النزاع - بـ " شامخ الأنف".

و السارد لم يتدرّج في هذا التحوُّل - بل إنه ربما كان قد فعل النقيض حين ضرب أبو عروان بعض أبناء القرية الصغار؛ لتسلقهم شجرة الحماط التي تغري النفس بثمرها الأسود الحلو - فالشخصية في الحقيقة لم تتغيّر إلا في نظر الناس الذين أكثروا الأقاويل حولها؛ لأنها كانت بهذا الكرم و الشهامة منذ بداية القصة؛ فكأن السارد كان عيناً ثانية تدافع عن أبي عروان من واقع معيشته مع زوجته و أبنائه:

"... أما و إن بدنه لا يكشف هذه التهمة، و عياله لا يتميّزون عن عيال الآخرين في البناء؛ فربما دلّ ذلك على بهتان... و " أبو عروان " يحب الضيف، و يحوشه في غير مناسبة إلى داره؛ فتشتكي " أم عروان " بالصوت السليط، و تصيح في وجهه:

" يا مخلوق.. أفقرتنا مع ضيوفك، و ما عندك؛ لا يكفي عيالك ".

بصوت خفيض يرد في كل مرة:

" لنا رب كريم " [١٩]

؛و لذا فلا معنى لاختلاف التسمية آخر القصة.

فالشخصية القروية التي تتمتع بخصال الكرم و إغاثة الملهوف، و الصلح بين الأسر المتعاركة على الثأر و غيره لا تتغير.

و يتضح ذلك أيضاً و إن كان بشكل أقل في القصة العاشرة من المجموعة"مهران" [٢٠] حين يتحسّر السارد على الزمن الماضي على لسان مهران الأعمى، و يتذكر أحوال الناس و الديار من خلال استرجاع بعض العادات القروية في الأكل و الشرب، و التي تتضح فيها الشخصية بصورة كبيرة، خاصة شخصيات كبار السن، الذين كانوا يعدون مرجعاً للصغار، لكنهم تراجعوا إلى الصفوف الخلفية للبشر، الذين يتقدمهم الصغار و عديمو الخبرة.

و يرى بعض الباحثين أن شخصية الشيخ من الشخصيات الجاذبة في القصة: " تستمد شخصية الشيخ جاذبيتها من السلطة الدينية أو الأخلاقية التي تتوفر عليها و ذلك في الغالب بفضل سنها المتقدم و سلوكها المشهود له بالاستقامة "[٢١].

و في القصة تتضح الغربة التي يعاني منها كبار السن - غالباً - يحددها ضمير الغائب، الذي يتماهى في ضمير المخاطب في الزمن الحاضر، و في المكان:

" (و لماذا طاح بك الزمان ن و رمتك الوحدة في ركن الدار؟ تتناهبك الهموم، و تتقاذفك الخواطر من باب إلى باب؟ و الله، ما أنت ضعيف، و لا بذي مقام قاصر، و لا يسبقك إلى الزرع و أشغاله من الجماعة مسابق).

بهذا الخاطر بصدر " مهران الأعمى " تذكّر كل ذكر لأحوال الدنيا كان قد مرّ عليه. " [٢٢].

هي لحظة إنسانية مكثفة الحزن و اللوعة، يتضح فيها مايشبه القانون الذي يصدره البقية على هذا " الشايب ".

و مع ذلك فهو ينتزع الاهتمام به انتزاعاً ممن حوله مع علمه المسبق بعدم جدوى ذلك:

" ألقى الكفيف على حضرة العيال وقت الضحى طلباً، فخاف الحفيد، و رأت زوجة الابن.. الواجب، و قالت الزوجة المشغولة بشغل و إدارة البيت: طيب يا مهران، يوصلك الولد من الطريق الخلفية، خذ عصاتك، و على مهلك... و جاء " مهران " يغرس عصاه و يقلعها عبر الطريق على مهل إلى الجار ".[٢٣]

و يأبى السارد إلا أن يبرز الجوانب الجذابة في شخصية مهران و جاره المسن عن طريق الذكريات الحافظة لقوة الشباب الماضي الذي يستعرضانه أمام الحفيد، كما يستعرضان معرفتهما بالخافي من الأمثال التي تغيب - غالباً - عن شباب اليوم، في محاولة لاستعادة المكانة التي لا يدركها الصغار في هؤلاء:

" يا ولدي.. حماك الله، أنا شايب، و سلاحي كما مخاطة الطفل السفيه ".

هكذا رد " مسعود " على حفيد " مهران " حينما جعل يمازحه، و يطرح عليه الزواج من تلك التي " خدها ذراع "، و كان يعني ملاطفاً، الحمارة، و لم يكن الحفيد ليدرك مغزى العم "مسعود"، لكنه قال دون علم و في خجل: " لا.. تزوجها أنت "

تدخل " مهران " بمزحة أغلظ... فقال للحفيد " شوف يا غلتي.. روح لجدتك.. قل لها تسوي لنا قهوة، و قل لها، جدي يقول.. " في قفا المندوب خشبة "[٢٤]. " [٢٥]

هنا يتماهى الزمان الماضي بزمن الحكي الحاضر و المكان الواحد في محاولة استعادة الذات للشخصية المتقدمة في السن.

أما القصة الخامسة عشرة في المجموعة و هي تحمل اسم شخصيتها الشابة المكافحة: " ابن القاسي " [٢٦]، فهي أشبه برواية قصيرة؛ تُروى فيها تفاصيل حياة علي بن القاسي منذ مولده، مروراً بمراحل كثيرة بعضها مهم، و بعضها الآخر ثانوي لا يخدم الحدث الصغير إلا فيما نهج عليه من وصف عادات و تفاصيل هذه الحياة التي يجب ألا تُغادر إلى غربة المدينة و بيوت الحديد و الإسمنت.

فإذا ذكر تعلّم ابن القاسي للقرآن في صغره، استطرد إلى وصف تعلّم الصبيان للقرآن في القرى، و الفقيه الذي يدرسهم:

" كان " علي بن القاسي " قد تعلم القراءة و الكتابة منذ زمن بعيد، على يد الفقهاء الذين كانوا يعلمون الصبيان القرآن، و يؤمون بالناس الصلاة في مساجد القرى، فينالون من الأهالي نصيباً من حصاد الثمار.

و يذكر علي أن " الفقيه " حرمه مرة من حضور الدرس، و نفذ به عقاب العصا، لأنه لم يجئ كالباقين بما يقابل أتعابه في التدريس... و عندما بلغ في تعلمه للقرآن سورة " العنكبوت " رأى والده أن يذبح شاة لفرحة كان ينتظرها و يعدّ لها، و قال الناس:

" سورة العنكبوت فيها شاة لا تموت "... "[٢٧].

و إذا كبر و أصبح معلماً و بحث عن الزوجة، نجد السارد يعدد صفات الفتاة القروية الصالحة للزواج:

" بعينيه الواثبتين طافت بنات كثيرات: فبنت فلان طيبة اللسان حسنة الوجه، نشيطة في المسراح و الممراح[٢٨]، و بنت فلان شديدة في الفلاحة، تيّبة الطاعة بكر الحياة[٢٩]، و بنت فلان في كعبها النكوص.. لا تحوص و لا تموص و لا تلبي اللقمة الرّيّفة.[٣٠] " [٣١]

فاختار الأولى و تزوجها، و يبدأ عمل المرأة القروية منذ صبيحة عرسها:

"كما يتزوج فتيان القوم.. تزوج " علي "، و في الغداة سرحت عروسته مع النساء المكحلات المحليات بالفضة و " المفارد "[٣٢].. إلى بئر السقاية ينتزعن الماء، و معهن حملت قربتها، و عجنت مع الأيادي الكثيرة " فال " الضيوف وقت الضحى " [٣٣]

و القصة مليئة بتفاصيل حياة ابن القاسي كما أسلفت، و ينهيها السارد بجملة لا معنى لها إلا إهمال شأن المرأة مع ما تمر به من شقاء و تعب في حياتها ـ بعد أن توفيت الزوجة خضراء وهي تلد تحت المطر:

" كانت " خضراء بنت مساعد " وحيدة في الدار، و المطر في الخارج لا ينقطع... و كان آخر ما استدركه سمعها صراخ المولود الذي " يخرج من الميت ".

الآن حين ترى عيون القوم هذا الشاحب الطويل المبتسم يقولون: إنه " مطر بن علي القاسي " و ينسون أنه ابن " خضراء بنت مساعد " الشهيدة تحت مطر الشتاء و عصر الولادة. " [٣٤]

و تعد القصة السابعة عشرة في المجموعة: " أبو الحصين " [٣٥] هي القصة الوحيدة التي خالف بطلها الخصال المحمودة للرجل القروي؛ فأخلف الوعد، الذي يلتزم القروي بالوفاء به.

و قد صوّر السارد الحالة الوجودية القلقة للشخصية الرئيسة، التي جعلت منها شخصية غير سوية بالمفهوم القروي؛ و قد يبدو للقارئ، للوهلة الأولى؛ عند قراءته لبداية القصة أن السارد يمتدح الشخصية، أو أنه يريد أن يقدم لها صورة الشخصية القروية السوية:

" ملأت شهرته كل أذن في القرية ،و قالوا إن " عيّاف " رجل بصير، فهو يقول القصائد في المحافل، و يفري الجلود من بعد دبغها، وشاهدوه مراراً يسلك بقدّومه في خشب " الغَرَب "، فيصنع الصحون و المحّال... "[٣٦]

و العكس صحيح للمتأمل فيما وراء هذه السطور القليلة؛ فالسارد يبطن وصف " عيّاف " بالمكر، و هذا ما يُفهم مباشرة من وراء وصفه بالرجل البصير، الذي يتقن أموراً عدة في آن.

و لا يبعد و الحالة هذه أن يكون " أبو الحصين "[٣٧] هو عيّاف نفسه؛ الذي يشترك مع الثعلب في المكر و الذكاء البالغ الذي عبّر عنه السارد بالبصيرة، و يحتمل أن يشتركا في العنوان كذلك فأبو الحصين هو عيّاف و الثعلب الذي أكل دجاجاته.

و الحدث الرئيس في القصة هو أن عيافاً افتقد إحدى دجاجاته، و أعلن أنه سيعشي القوم ذبيحةً من غنم إذا قتلوا أبا الحصين:

"... يا جماعة الخير.. الدجاجة ذهبت في فم " أبو الحصين "، و " أبو الحصين " عدو لكل دجاجاتنا، و إذا كان قد اقتنص دجاجتي اليوم؛ فإنه يعرف الآن طريق صيد دجاجات كل أهل القرية.

... و قلت: لا هنْت يا عيّاف، جماعتك ما يضحك منهم الماكر.. و الله لو قتلوه و رموه قدامك بلا روح.. لأعشيهم على ذبيحة من الغنم، و لو اشتريتها بقيمة عشرين دجاجة. " [٣٨]

لكنه يعود في وعده بعد أن تمّت المهمة!

"... هاه.. سلمت عنايتك يا ابن فلان، لكن: أبو الحصين هذا.. ليس هو الذي أكل دجاجاتي، هذا من وديان القرى المجاورة، و ما هو من وديان قريتنا، و حسبك أنك فتكت بروح حيوان ليس له في الأمر ذنباً و لا تأنيباً. " [٣٩].

لكن القوم لا تنطلي عليهم الخدعة، فيستعينون بشيخ عُرف بحل المتشابهات بين الناس؛ فحكم لهم - بعد اعتراضات كثيرة من عيّاف - بعشاء مكوّن من العيش و السمن.

" رأى عيّاف أنه قد بلغ السبيل المسدود، و أن بعض الشر أهون من بعضه.. فالعيش والسمن ليس كتكلفة الذبيحة، و مجيئ الشيخ في أمر كهذا ليس بالأمر الهين... " قبلت حكمك يا شيخنا.. الله يحييكم جميع " " [٤٠].

و يشارك الليل القروي، و أبو الحصين كذلك القوم في عشائهم:

" كان الليل القروي يهبط هادئاً نقياً، تخترقه نباحات متقطعة للكلاب، و كانت بنادق القوم ترتكز على كعوبها إلى جوارهم قرب جلستهم الملمومة حول صحن العشاء، و قد راحت أفواههم تصطفق بلقم العيش اللينة مع السمن، و كانت تفوح منه لذاذة محبّبة.

أما أبو الحصين" فكان ينتفخ على مهل طرف الساحة، ففي الغد سيغدو مرتعاً لزرافات النمل و الذباب " [٤١].

هنا يجد القارئ جمالية قد لا تكون جديدة، لكنها لم تظهر بهذا الاتساع إن صح التعبير إلا في هذه القصة " فالكلمة القصصية لا تخصب في الانفراد، بل في الاجتماع، تشع في الآخر، ولا تحيا بصوت واحد، بل بالتعدد، و أدناه مرسلها ـ الكاتب ـ و متكلم ثان قد يكون مدى اجتماعياً راهناً، أو زمنياً، أو مدى من الماضي الموروث " [٤٢].

فالشمس تشارك السارد في القص و التأثير على المتلقي:

"حين بلغت الشمس مبلغ الضحى احتوت الآذان نقر رصاصة ملأت بصداها الوديان، فتوقف الباقون عن البحث، و التموا قرب مبعث الطلقة... كانت الشمس التي تكاد أن تلج كبد السماء بعد الضحى، تكشف كل خبايا الدنيا في العيون، و كان بيت عيّاف يحمى بنصاعة الضوء..." [٤٣]

و القصة التاسعة عشرة لامرأة عجوز تُدعى رحمة، و ليس هناك سبب يجعل القاص يسمي القصة " المستورة " [٤٤] إلا أنها صفة للمرأة القروية التي تحفظ شرفها و سمعتها!

تتضح في رحمة معظم صفات المرأة القروية الكادحة في الأرض، و المحبة للبيئة القروية، منذ احتمالها لابنها " الرجل المريض "، ثم بعد موته، تحملها لأبنائه و زوجته، و القيام بكل ما من شأنه سعادتهم:

" حملت " رحمة " ابنها الرجل المريض، سحبت عن شواربه همّ الأطفال و الزوجة، وصاحبته من دار إلى دار، و من مستشفى إلى آخر، و قالت: (أحمله على كُبر الأرض، و بُعد الأسفار.. يطيب، يطيب، و لو بعد حين بعيد).

و كان المرض " الخبيث " يتفسخ بلؤم في الجسد الطريح، و لما حان الحين الذي لا يؤجل؛ ودعته بقُبلة أخيرة في اللفافة البيضاء، و لم تجر خلفه في الجنازة، و لم تقعد باكية فوق القبر، ولكنها كتمت ثم انهمرت غصباً بين يدي زوجته و الأطفال.

فتحت ذراعيها و نادت بيقين: (هلموا يا فراخ عمري، أخصكم من لقمتي، و أرد عنكم البرد بكسوتي)... " [٤٥]

و يكبر الأولاد، و يحدث ما كان في الحسبان، فيرغبون في الهجرة إلى المدينة لاستكمال دراستهم:

" (ماذا كُتب عليك في هذا الصباح المقتم يا رحمة؟).

كتب أن يعلن الأولاد نيتهم " نهاراً جهاراً "؛ بأنهم لا بد سيسافرون ! و إلى أين ؟!

إلى المدينة التي يضيع فيها الراعي و الرعية، إلى تلك الأماكن التي يقولون أنها كالوحش، يأكل الآتي و الذاهب.... " [٤٦].

و لكنها لا تتغير:

" فهي تأكل في ذيل النهار وجبة خفيفة واحدة، وتبقى تشرب القهوة المبهرة بالجنزبيل حتى لتكاد أن تحتقن... " [٤٧]

و لكن رحمة تقتنع في النهاية أن الحياة تتغير، و لا بد أن يبحث الأولاد عن حياة أخرى جديدة.

" شربت " رحمة " آخر قطرة من الفنجان " الصيني " و حركته بوضع دائري بين السبابة و الوسطى، ثم أدارت وجهها المحضون في ثنايا " شيلة " سوداء خفيفة، و ابتسمت ابتسامة كانت زوجة الابن تتمناها منذ زمن بعيد، و راحت تعدّل من قعدتها، و تنظر بعينين فرحتين إلى الفضاء الواسع البعيد من خلال فتحة الباب المستطيل. " [٤٨].

و القصة الأخيرة التي تحمل اسم شخصيتها الرئيسة، هي القصة العشرون في المجموعة "حمقة"[٤٩].

و هي قصة مستقاة من التراث العربي القديم، يتلخص حدثها الوحيد في سفر زوج حمقة للبحث عمن هو أكثر حمقاً من زوجته حمقة، و أعدّ هذه القصة تمهيداً مباشراً لما سيليها من " نوادر أبي سالم مع الحيوان ".

أما بقية قصص المجموعة و هي:

الرقبة، الوانيت، تأتيك تجري، بالمشعاب، الخرج، الغطاريف، ثوب العيد، قطع الجنابي، الاستسقاء، حد الأسفلت، المركوب، منشوري، الهديل.

ففي كل قصة حدث وحيد، لا يكون هو المعوّل عليه في السرد، ثم يمضي السارد في رسم الشخصية الرئيسة التي تعتمد على الزمن القديم و المكان القروي الحميم.

يدور الحدث في القصة الأولى على ثأر بين قبيلتين لا يذكر السارد اسميهما، و تذهب في الثأر رقبة رجل مظلوم لا ناقة له و لا جمل في القضية.

و تمتلئ قصة " الوانيت "[٥٠] بشخصيات نمطية كثيرة تزدحم لتقرر اعتقاد السارد بأن القروي لا يغادر قريته إلا إلى القبر، حين يحصد الوانيت أرواح أصحابه في رحلتهم إلى العُمرة.

و تفرّدت قصة " تأتيك تجري " [٥١]من بين قصص المجموعة كلها، باهتمام السارد بوضع صفات كثيرة لكل شخصية، فكأنه انتقل هنا من الوصف الخارجي المجرد إلى الوصف الداخلي الذي يلّوّن الشخصيات بألوان مفرحة للحياة:

"و مع اختلاط لون الأيام اكتست الأصابع العشرة بقساوة الحجر، و ساحت خطوط الكف، و ترصّعت مقام البصمات بالجروح، فبدّلت كسوتها من الجلد مرات، و جاءت " كويات " الشمس على الصدر المشنون[٥٢] فبدا كجلدة الطّبل؛ لا نبت و لا لين..." [٥٣].

هذا الوصف الدقيق جداً لكف سعد لا يجد القارئ شبيهاً له غالباً في معظم قصص المجموعة؛ و كأن السارد بمغالاته تلك أراد للشخصية بناءً دقيقاً صارماً؛ فهو قد أحاط شخصيته بشروط خاصة جداً:

" أما و إن بنّاء الحجر و المطرقة و السيخ " سعد " يقضي أغلب نهارات السنة بين الصخور المقطعة؛ يهذّبها و يرصفها بعضاً فوق بعض، لتغدو مداميك[٥٤]جدران مستوية؛ قد أخلى عن نفسه مهمات الزرع و الحصد للمبلية بخمسة عيال؛ تكبرهم البنت و تصغرهم أختها، فإنه لا يسأل عن الخضراء و لا عن الصفراء، إلا وقت كيلها بعد الحصاد و حشوها في الأكياس "[٥٥].

و مع ذلك التأثيث لمجابهة الصعاب؛ فإنه لا يستطيع أن يسترد " حمارته " الضائعة!

فقد انكشف ضعف شخصية سعد تحت تأثير الضجر، و اليأس من الفعل و نتيجته.

" خرج الأب في غُسالة الشمس النائمة منذ وقت قصير، و دوّر عن الحمارة الضائعة... " فأين شردت تلك الجنيّة "؟

(اسمع قولي يا أبا فلان.. اذهب إلى الفقيه، و انشده عن حمارتنا الضائعة؛ عله يهديك بعلمه و معرفته).

و حينما بسط على حرقة أمر حمارته على الفقيه، قال: عمامتك، و خمسين من الريالات، سأقرأ عليها المعوذات، وتأتيك حمارتك تجري مع الفجر).

و حين جاء مع الفجر و لم تأت الحمارة، قال سعد و هو يندف صدره اليابس:

" حسبي الله، ذهبت الحمارة، و ذهبت الريالات، و سأذهب أسترد و لو بعد خصام عمامتي... " [٥٦].

فالقصة هي حكاية الفقر و الجهل الممتدة من بداية القصة، التي بدأت من وسط الحدث إلى النهاية المفتوحة على أكثر من احتمال للقراءة.

أما قصة " المشعاب " [٥٧] التي لا يدل اسمها على محتواها، سوى في دفاع بطل القصة عن أغنامه باليد و المشعاب [٥٨]، أما ما سوى ذلك فالسارد أراد أن يكرّس فكرة عدم قدرة بعض القرويين على التأقلم و التكيُّف مع التغيير الذي لا بد منه كلما تطاولت الأزمنة، و تطورت سُبُل المعيشة.

و تمكّن الإشارة إلى الزمان الخارجي، و الإرجاعات إلى الزمن الداخلي للشخصية، و مقارنة ذلك بالترتيب الطبيعي على مستوى القصة القارئ من تمثُّل الزمن العام المؤثر في الأحداث.[٥٩]

فعندما يكبر الأولاد و تهرم الشياه، و يستمر عايض الصخري في عناده، و يرى أن " حلاله " أغلى من عياله، يرى الحقيقة المُرة فجأة أمام عينيه:

" (اليوم يا عايض الصخري؛ تدور عليك و على " حلالك " الأيام، فتبقيك بحب قلبك شعراً أبيض، و عظماً واهناً، و عدداً قليلاً تبقى من الشياه، و عصى لا فعل لها، و أبناءً فرّقتهم السُبُل، و زوجة لا تقل عن وهنك وهناً، و جماعة نفر أغلبهم عن طبعك الصعب، و سحاباً لا يمطر، و أرضاً تعطي ثمر جهدها أناساً يتطاولون في البناء و السيارات و الزخرفة...." [٦٠].

فالسارد جعل شخصيته حالة اجتماعية و نفسية محاصرة بكثير من التحولات الخارجية في المدينة، فهي بتمسكها بأغنامها كرمز من رموز الحياة القروية الهادئة، تعبّر عن حالة من الفزع؛ و الخوف من الاقتلاع من الجذور ثم التهميش في بيئة قاسية هي الجحيم أو هي المنفى، فهو مع كل هذا الإدراك يعود إلى أرضه و بيته في النهاية:

" و كانت السحابات في السماء المتغبّرة تتجمع على هيئة القطن المفحّم و تتراكم، ثم اهتزّ القلب لقارع مع أول صعقة برق، ما لبث " عايض الصخري " أن ساق غنيماته نحو البيت خوفاً من الغرق، حينها صاح باللسان الحاد مستحثاً الغنم ممتلئاً بالحبور. "[٦١].

و الشخصية الرئيسة في قصة " الخُرج " [٦٢] طفل في الثامنة، و شخصية الطفل غالباً ترى ما لا يراه الكبار، و القارئ يجد نفسه يستعير تلك العينين الصغيرتين الحساستين، و القلب البريء، ليكونا دليله في الولوج إلى الحدث، و تأمّل الشخصية:

" لرائحة الخُرج[٦٣] الذي يمتلئ بمقاضي السوق، و تحمله الحمارة مع ثقل الشايب مرة كل أسبوع، طعمٌ في الأنف منفردٌ لا يمكن لرائحة غيرها أن تكون مكانها. لعل في رائحة دكان القرية الصغير الوحيد ما يذكّر بها، لكنها ليست كمثلها. فقد كانت تبقى في الخُرج، و في الأنف، و في الصدر.. " [٦٤]

فالطفل يتقن فن تراسل الحواس فطرياً - إذا صح التعبير - فهو يريد أن يصل إلى ذلك المشموم لذيذ الطعم بأكبر قدر من رهافة الحس، و الشعور، و يظل مندهشاً أمام بعض الأمور الصغيرة جداً التي قد يغفل عنها الكبار.

و طفل القرية مقيّد كذلك بتقاليدها في اللباس و طريقة المشي و الانصياع للكبير يخاطبه السارد و كأنه أمامه، فيلقي عليه ببعض التعليمات:

" لك يا صبي الثامنة أو ما يزيد قليلاً أن تجهّز ثوبك و الحذاء، و تُنَشب المشبك في حلقك، ليجمع بين انفراج فتحتي الرقبة... و لتأخذ مكانك مردفاً على ظهر الحمارة خلف الشايب. " (٦٥).

و يصل الطفل إلى السوق في المدينة القريبة، و يرى الكبار من رجال و نساء مخلوقات كثيرة و غريبة، و لكنه يستمر في البحث عن الألوان و الروائح و الأصوات، فتصافح اتساع عينيه المندهشتين كثير منها:

"... دخل الشايب دكاناً و سلّم على صاحبه، و مدّ صاحب الدكان اصبعين من يده، و التقط قطعتين ملوّنتين من الحلوى، فناولهما للصبي، و نطحت رائحة نادرة محببة أنف الصبي، كان الدكان لا يشبه دكان القرية الصغير، إلا في أشياء لا تقف عيناه عندها... تلك الأشياء المصفوفة كالعرائس، و تلك التي كحب الرمان الكبير، و الراكدة في الركن كالسهام المضيئة؛ فكلها جديدة على معرفته، و لا يدري لماذا يشتريها الناس... يا إله الأطفال و الأسواق.. لماذا هذه الروائح المختلطة النادرة؛ لا تكون إلا في الخُرج أو السوق ؟!"(٦٦).

و يعرف الصبي من أين يأتي الخوخ و الرمان، و من عند هذا الواقف أمام معاليق العذوق الحمراء، يشتري الشايب البلح، و أمام ذلك القاعد و يديه مدهونتين بالسواد أباريق ممتلئة بالقطران، و الليمون الحامض و الحلو و الريحان و الشار(٦٧) بين يدي نساء كبيرات في السن وصغيرات، و كذلك ورق السدر الجاف (٦٨).

لقد رأى الحيوانات كذلك من جمال و أبقار و حمير كثيرة، و أغنام و ماعز، حتى الدجاج والبيض و البرسيم، التي كانت حول النساء القاعدات في السوق.

لكن الصبي كان يبحث عن شيئ غير موجود، لا يعرف كنهه؛ فهو يبحث بأنف اكتنز كثيراً من الروائح التي لا يعرف مصدرها و يبحث عن أجسام ربما، نبات ربما، حيوان أو جماد ربما، كل ما يمكن أن يصدر رائحة تمت أو لا تمت بصلة لمخزون رائحة حميمة أو منفرة!

و يعود الطفل إلى البيت يحمل معه فواكه و حلوى و لا يأكل منها شيئاً:

"... قعد بعد عودته من السوق في البيت بين أخوته الصغار، و بنتيّ و ولد الجار، و أخرج تفاحة و موزتين، و ثلاث قطع من الحلوى المغلفة، و ما يملأ القبضة الكبيرة من النبق (٦٩)، وأعطته تلك التي تبيع الريحان و الحناء، ليمونة صفراء كبيرة بطعم السكر.

و راح يوزعها بين الجميع... و بقي إلى الليل لم يأكل... " (٧٠).

فالطفل قد شبع بعينيه و أذنيه و أنفه، إلا أنه بقي أياماً يشكو وجع البطن.

و هنا يقحم السارد حدثاً فجائعياً في نهاية القصة لا علاقة له بكل ما سبق، يبرر به سبب مرض الطفل:

"... حين يتذكر ساعة إذ أوشك الشايب أن يشد الخرج على ظهر الحمارة، ليعودا إلى البيت، فرأى الناس يتجمعون حول ساحة المسجد الذي شرب من مائه، و قد جاء رجال، قال عنهم الشايب إنهم عساكر، و كان معهم رجل مكتوف اليدين، أقعدوه على عجيزته، و تقدم منه رجل ضخم كالليل. "[٧١].

و يستنتج القارئ أن قصاصاً حدث بجانب المسجد، جعل الطفل الصغير يشكو وجع البطن وقت الظهيرة، و أحلاماً في هجوعه في الليل لسنين طويلة.

وربما كانت هذه هي القصة الوحيدة التي تفرّد الطفل القروي الصغير ببطولتها؛ و هناك قصة أخرى هي قصة: " ثوب العيد " [٧٢] الذي ينتظره الطفل الصغير، ليلبسه في ذلك اليوم الجميل، و لكن شخصية الطفل القروي لا تتضح في هذه القصة؛ فالسارد الذي بدأ القصة بفرحة الصغير بالقماش الجديد، و حلمه بثوب العيد، ينتقل إلى شخصية الخيّاط، و وصف عمله الدقيق، و ماكينة الخياطة، و زوجة الخيّاط، و ينهي القصة بما بدأها به من انتظار الطفل لثوب العيد، و كأن السارد ترك الطفل في الخلفية البعيدة، ينتظره إلى أن ينتهي من وصف الخيّاط و عمله، ثم يعود ليمسك بيده الصغيره، و يدخله فجأة في قلب السرد، و يقوده إلى بيته، و أحلام هذا اليوم الجميل ترافقه.

أما قصة " الغطاريف " [٧٣] فيصف فيها السارد تقاليد العرس القروي وصفاً طويلاً مفصّلاً، فلم يترك شاردة أو واردة لم يذكرها، بداية من الاستعدادات الكثيرة و الطويلة لهذا اليوم، وخلال ذلك الوصف للعرس، هناك وصف مشهدي آخر للبيت القروي، و الشاب و المرأة القرويان:

يصف عودة حمود المروي من السفر و توزيعه الهدايا على أفراد أسرته، و الهدايا متناسبة مع المعيشة القروية كأنه لم يحضرها من المدينة؛ فهدية الأب عمامة بيضاء مغلفة بالبلاستيك الشفاف و عقالاً عريضاً بدلدول معدني كالقرش الجديد، و هدية الأم شرشف، و علبة كالكف من الفينيك لقتل العثة، و هدية أخته منديل أخضر، و أحضر لأخويه الصغيرين، طاقيتين ملونتين ومطرزتين بالقصب.

أما قطعة القماش القطيفة السوداء و الشرشف الأبيض الكبير، و المنديل، و زجاجة عطر باريسية، و هنداستين شيلة بلون الفحم، و دهان كريمي مستدير... كل ذلك سيأخذها معه إلى بيت العروس.

يصف عمل أبو حمود في البناء، و يصف خشونة راحتيه نتيجة عمله القاسي، و كان دقيقاً في عمله، لا يحب أن تخرج الأشياء عن صفها.

يصف البيت وصفاً دقيقاً مسهباً:

" في البيت الذي يسكنه آل المروي، و الذي توجد به حجرتان، إحداهما كبيرة للجلوس واستقبال الضيف، و تناول الطعام على سفرة من خوص السعف [٧٤]؛ يتم نفضها و تعليقها في وتد على الجدار المواجه للداخل.

و على لصق المجلس حجرة داخلية تصغر قليلاً بها " مشب " النار، و أواني المطبخ، و أكياس الحَب هناك في الركن المقابل، و اقتطعت مساحة مربعة كصندوق الشاي بألواح رقيقة، لها باب يقفل يتدلى كاللسان، و بدون نافذة.. للعروس القادمة، فُرشت بحصيرة جديدة، لا تزال تحافظ على ثنيتها كالورقة المبرومة، و عليها بساط مخطط بالأزرق و الأحمر من القطن، جاء به حمود من السفر، و ينام الأب و الأم في الحجرة التي في ركنها منام العروس... " [٧٥]

يصف تجهيزات آل مروي للزفاف، و يبدو في هذا الوصف الدقيق، تكاتف أفراد القرية، ومساعدتهم بالمال و غيره ليتم العرس على أفضل حال:

" وكان الأب قد هبط إلى الأسواق، منذ الفجر، ليشتري ثوراً " مِلْحِماً " يُذبح ليلة الزفاف... و انقضى يومان أنفقهما آل مروي في التجهيز، بل إنه حتى في صبيحة يوم الزفاف.. لم يجدوا وقتاً هنيئاً لتناول وجبتي الفال و الغداء، فقد عنيت الصبية بتنظيف الأواني الكثيرة التي جمعوها من أهل القرية، و التي حملت بخطوط معوجة، أسماءهم على أقفيتها، تجمعت كلها في ركن الساحة النظيفة... و أعدّ تحتها كانون كبير، و آخر يصغر عنه بقليل، وفوقهما قدران كبيران نحاسيان، بحلقات جانبية ثقيلة.

و صفت " مصابيح الأتاريك " كالعرائس أمام أحد الأقرباء، تولى تنظيفها و تعبئتها بالجاز، و إبدال فتائلها المعطوبة. و كانت تحمل أوشامها في أسافلها، فهذا لفلان، و ذاك لفلان... " [٧٦]

و يصف ذبح الثور، و طبخ الطعام للضيوف، و زينة العروس القروية و لباسها، و يصف والد العروس، و الزفّة القروية، و الرقصات الشعبية، و استقبال العروس في بيتها الجديد، و الانشغال الكبير و الضجيج في بيت العريس... الخ.

ثلاثة أيام بلياليها أنهكت أهل العرس و كل سكان القرية، بل إن السارد يتلصص خلف كل ما يخص المرأة و الرجل القرويان قبل الزفاف و بعده، حتى في مناداة أحدهما للآخر؛ فالمرأة لا تنادي زوجها إلا بـ " يا مخلوق ".

و قد ذهب نقاد كثيرون لم يتناولوا أعمال عبدالعزيز مشري بالنقد و التحليل؛ فحكموا على الكتّاب السعوديين الذين تناولوا البيئة و الشخصيات القروية، بأنهم كانوا يعممون في الحكم بوصف واحد و كأنهم يقتبسون ذلك من قصص ريفية أخرى؛ فلا تتضح البيئة القروية السعودية في قصصهم [٧٧].

و هذه القصة من القصص السعودية القصيرة التي تصف البيئة القروية وصفاً دقيقاً لا يمكن أن يلتبس ببيئة أخرى.

خاتمة

في الصفحات السابقة يتساوق الزمان و المكان، بالإضافة لزمن الحكي و حاضر الحدث وماضيه في تأسيس قراءة للشخصية القصصية الجنوبية، تعتمد على الوصف المشهدي القائم على استرجاع الحياة القروية الماضية كذلك، و السارد يؤثث هذه القصص بأرضية تراثية قديمة، يؤكدها بكلمات جنوبية، و أوصافَ لا يتوصل إلى مغزاها إلا ابن هذه البيئة نفسها، وأمثال خاصة لأوضاع و أساليب معيشة لا يمكن أن تتم إلا في هذه البيئة.

و قد حاول القاص أن تكون شخصيات قصصه بكل المراحل العمرية و الجنسية كذلك:

فهناك الشخصية المتقدمة بالسن " الشايب " و هناك الشاب و الطفل كذلك، و المرأة و الرجل.

و بما أن الوقفات الوصفية، هي وقفات زمنية كذلك، فهي تشترك أيضاً مع العناصر الأخرى التي ذكرت في هذا التأسيس لشخصية متفردة.

يبدو للقارئ أن الخطاب في المجموعة كلها كان خطاباً منحازاً للزمان الماضي، و البيئة الجنوبية في ذلك الزمان؛ و يُصادر بناء على ذلك معظم التغيرات و التطورات الحتمية التي أتى بها الزمان الحاضر و بيئة المدينة.

و هنا تتجسُد كذلك أهمية صورة الغلاف، العتبة النصية الأولى، فكأن السرد مع تصويره المثالي لهذه البيئة يريد أن يغلق الطريق أمام الهجرة إلى المدينة، التي صوّرها غالباً تصويراً معادياً، خاصة على لسان كبار السن، بصفوف الحجارة التي تمثّل في النهاية حاجزاً أراد أن يبدو طبيعياً بين البيئتين؛ و ما ذلك إلا لأن السرد افترض منذ البداية، أن التطور و التقدم سيقوم على القطيعة بينه و بين قيم القرية و تقاليدها؛ و لذلك نجد أن كبار السن، خاصة، يرفضون أي تقدّم يأتي من المدينة بلا مناقشة، و كأن الافتراض حقيقة مسلم بها.

في النهاية لا يمكن أن ينكر القارئ أن الكاتب كان يتقصّد تصوير البيئة الجنوبية، والشخصية الجنوبية، في جميع قصص المجموعة، بل أن ذلك هو الموضوع أو الاتجاه الأثير لديه في معظم رواياته التالية لهذه المجموعة.

و الله من وراء القصد

المصدر

مشري، عبدالعزيز " المجموعة القصصية الكاملة " (السعودية: مطابع الإيمان (د. ت)).

المراجع

١. إبراهيم، نبيلة " قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية " (مصر: مكتبة غريب (د. ت).
٢. ابن شداد، عنترة " ديوان عنترة " (بيروت: دار بيروت للطباعة و النشر، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م).
٣. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم " لسان العرب " (بيروت: دار صادر، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م).
٤. بحراوي، حسن" بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية " (الدار البيضاء و بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠ م).
٥. سليمان، نبيل " فتنة السرد و النقد " (سوريا: دار الحوار ، ٢٠٠٦).
٦. السيد، طلعت صبح " العناصر البيئية في الفن القصصي في المملكة العربية السعودية " (السعودية: نادي القصيم الأدبي ببؤيدة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م).
٧. العدواني، معجب " تشكيل المكان و ظلال العتبات " (السعودية: نادي جدة الثقافي الأدبي، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م).
٨. لحمداني، حميد " بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي" (الدار البيضاء و بيروت: المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٣ م)
٩. النعمي، حسن " رجع البصر (قراءات في الرواية السعودية) " (السعودية: النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٤٢٥ / ٢٠٠٤ م).
١٠. يقطين، سعيد " انفتاح النص الروائي ـ النص و السياق " (الدار البيضاء و بيروت: المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠١ م).

الهوامش:

(١) مشري، عبدالعزيز " المجموعة القصصية الكاملة " (السعودية: مطابع الإيمان (د. ت)).

(٢) على سبيل المثال لا الحصر: " يوميات نائب في الأرياف " لتوفيق الحكيم، و مج " أشياء للذكرى " لمحمد عبدالحليم عبدالله ، و غيرها، بالإضافة إلى الروايات التي اتخذت الحارة الشعبية، البيئة المميزة لشخصياتها كروايات نجيب محفوظ: " قصر الشوق "، " السكرية "، " بين القصرين "، " خان الخليلي " و غيرها.

(٣) على سبيل المثال لا الحصر روايات: " رادوبيس "، " كفاح طيبة "، " عبث الأقدار "، " مصر القديمة "

(٤) انظر: النعمي، حسن " رجع البصر (قراءات في الرواية السعودية) " (السعودية: النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٤٢٥ /٢٠٠٤) ص ٦٥ ـ ١٣٠.

(٥) المرجع السابق، ص ٧٨ و ص ٨٢ و غيرهما.

(٦) العدواني، معجب " تشكيل المكان و ظلال العتبات " (السعودية: نادي جدة الثقافي الأدبي، ١٤٢٣ /٢٠٠٢ م) ص ٧، و في الكتاب دراسات عديدة حول العتبات النصية في النصوص القصصية.

(٧) انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم " لسان العرب " ج ١١، (بيروت: دار صادر، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ص ١٦٣.

(٨) انظر: ابن منظور " لسان العرب " ج ٤، ص ٢٩٨.

(٩) انظر: " ديوان عنترة " (بيروت: دار بيروت للطباعة و النشر، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ص ١٩١.

(١٠) انظر: " ويكيبديا الموسوعة الحرة " wwwar.wikipedia.org/.

(١١) انظر: إبراهيم، نبيلة " قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية " (مصر: مكتبة غريب (د. ت) ص١٧٢: ص ١٨٤.

(١٢) يقطين، سعيد " انفتاح النص الروائي. النص و السياق " (الدار البيضاء و بيروت: المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠١) ص ١٤٠ ـ ١.

(١٣) المجموعة الكاملة، ص ٣٦٥.

(١٤) القصة السابقة، ص ٣٦٦.

(١٥) القصة السابقة، ص ٣٦٨.

(١٦) القصة السابقة، ص ٣٦٨ ـ ٩.

(١٧) في القرية يدعون الصبي الصغير جاهلاً.

(١٨) المجموعة الكاملة، ص ٣٧٥.

(١٩) القصة السابقة، ص ٣٧٦ ـ ٧.

(٢٠) المجموعة الكاملة، ص ٣٨٣.

(٢١) بحراوي، حسن " بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية " (الدار البيضاء و بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠ م) ص ٢٧٠.

(٢٢) القصة، ص ٣٨٤.

(٢٣) القصة، ص ٣٨٥.

(٢٤) في قفا المندوب خشبة: أي المرسول على أثره خشبة، كناية عن مؤدي الخبر لكن بطريقة المزاح، يقولون: في قفا المندوب خشبة إن لم يرجع بالخبر الأكيد.

(٢٥) القصة، ص ٣٨٨ ـ ٩.

(٢٦) المجموعة الكاملة، ص ٤١٧.
(٢٧) القصة، ص ٤١٨.
(٢٨) نشيطة في المسراح: أي وقت الزراعة و الحصاد، و الممراح: وقت الراحة بعد الحصاد.
(٢٩) تيّبة: أي نبيهة و لبيبة.
(٣٠) في كعبها النكوص: أي عرَج أو تشوه خَلقي، أو ضعف، و المعنى: بنت معيبة في شرفها، و لا تحوص: أي لا تمشي بعيبها بين الناس، و لا تموص: أي لا تعمل للثيران ما تلعقه مما يتبقى من خبز، و بقايا أكل مغموسة في ماء، و تسمى بالمواص؛ و هو طعام البقر و الثيران. ولا تلبي اللقمة الرّيّفة: أي لا تصنع الطعام الشهي الطري، و كانت النساء يخبزن فوق بلاط مربع يسمى بالمّلة خبزاً طرياً كبير الحجم يسمى بالخبزة. وكل = =ماورد عن بنت فلان هذه معائب تؤخذ على تربيتها كناية عن جهلها و عدم تحملها المسؤولية.
(٣١) القصة، ص ٤١٩.
(٣٢) المفارد: حجر من خرز و أحجار كريمة ألوانها: عسلي و بني و أسود، ينظم في سلك بلاستيك، و تتزين به النساء، له قفل صغير منقوش دائري من الفضة، يحكم به حول المعصم، و تعمل منه ثلاثة صفوف كإسورة واحدة. (جميع المعاني لمثقفة جنوبية (غامدية) أمدتني بها خلال عملي في هذا البحث).
(٣٣) القصة، ص ٤٢٠ ـ ١
(٣٤) القصة، ص ٤٢٧.
(٣٥) المجموعة الكاملة، ص ٤٣٥.
(٣٦) القصة، ص ٤٣٦
(٣٧) كنية الثعلب عند العرب " أبو الحصين " أو " أبو الحصن ".
(٣٨) القصة، ص ٤٣٧.
(٣٩) القصة، ص ٤٣٩.
(٤٠) القصة، ص ٤٤٢.
(٤١) القصة، ص ٤٤٣.
(٤٢) سليمان، نبيل " فتنة السرد و النقد " (سوريا: دار الحوار، ٢٠٠٦ م) ص ١٢٨.
(٤٣) القصة، ص ٤٣٨ ـ ٩.
(٤٤) المجموعة الكاملة، ص ٤٥٧.
(٤٥) القصة، ص ٤٥٨ ـ ٩.
(٤٦) القصة، ص ٤٥٩.
(٤٧) القصة، ص ٤٦٠.
(٤٨) نفسه.
(٤٩) المجموعة الكاملة، ص ٤٦١.
(٥٠) المجموعة الكاملة، ص ٣١٥.
(٥١) المجموعة الكاملة، ص ٣٢٣.
(٥٢) الصدر اليابس الجاف البيّنة عظامه كناية عن مرضه أو هزاله.
(٥٣) القصة، ص ٣٢٤.
(٥٤) المداميك: الحجارة الضخمة و مكانها في البناء.
(٥٥) نفسه.

(٥٦) القصة، ص ٣٢٩ ـ ٣٠.

(٥٧) المجموعة، ص ٣٣١.

(٥٨) المشعاب عصا غليظة غير طويلة، ينتهي رأسها بعقفة قائمة الزاوية أو حادة، و يكون طرفها الأسفل مفتوحاً.

(٥٩) انظر: لحمداني، حميد " بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي " (الدار البيضاء و بيروت: المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٣ م) ص ١٢٧.

(٦٠) القصة، ص ٣٣٦.

(٦١) القصة، ص ٣٣٧.

(٦٢) المجموعة، ص ٣٣٩.

(٦٣) الخُرج: عبارة عن جِراب طويل يشبه الشنطة، و يوضع به الزاد و غيره.

(٦٤) القصة، ص ٣٤٠.

(٦٥) القصة، ص ٣٤٠.

(٦٦) القصة، ص ٣٤٢.

(٦٧) هي شجيرة صغيرة طيبة الرائحة، و تستخدم كالريحان لإضافة النكهة على بعض الأطعمة الحارة.

(٦٨) السدر، شجرة متباينة الطول، قد يصل ارتفاعها إلى خمسة أمتار و أكثر، و أوراقها لها عروق بارزة، و لها فوائد كثيرة، و ذكرت في القرآن الكريم: (وسدر مخضود) الواقعة(٢٨).

(٦٩) النبق هو ثمر السدر، و هو حلو الطعم و عطر الرائحة.

(٧٠) القصة، ص ٣٤٤ ـ ٥.

(٧١) القصة، ص ٣٤٥.

(٧٢) المجموعة، ص ٣٧١.

(٧٣) المجموعة السابقة، ص ٣٤٧.

(٧٤) و استعمالاته عديدة في البيت القروي حسب موقعه من النخلة؛ فالذي في القلب: تُصنع منه السلال و الحصير و السفرة، و النوع الذي يليه أخضر اللون ، و يستخدم لصناعة الحصير و السلال الكبيرة، و من الجريد، تصنع الأسرّة و الأقفاص و الكراسي

(٧٥) القصة، ص ٣٥٠ ـ ١.

(٧٦) القصة، ص ٣٥١ ـ ٢.

(٧٧) من هؤلاء النقاد: السيد، طلعت صبح " العناصر البيئية في الفن القصصي في المملكة العربية السعودية " (السعودية: نادي القصيم الأدبي ببريدة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م).

٥

رسائل علمية

جامعة الطائف

أثر المعاني في التركيب والتوجيه النحوي
قراءة في كتب النحو

عرض :

د. حسين بن سفر المالكي

قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الطائف

قدمت هذه الرسالة لقسم الدراسات العليا العربية بجامعة أم القرى- تخصص نحو وصرف ونوقشت يوم الأربعاء / ١٩/ ٢/ ١٤٣١هـ

وكانت لجنة المناقشة مكونة من :

١ – أ.د. إبراهيم بن سليمان البعيمي من الجامعة الإسلامية (مناقشا خارجيا).

٢ – د. عبد الله بن ناصر القرني – أستاذ مشارك بجامعة أم القرى (مناقشا داخليا).

٣ –أ.د. سليمان بن إبراهيم العايد – الأستاذ بجامعة أم القرى (مشرفاً على الرسالة).

ومنح الطالب درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين. أما بعد

فإن الله تعالى قد شرّف العربية إذ أنزل بها كتابه، وجعلها مستودع وحيه، ونعتها بالبيان فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥).

فزادها شرفا إلى شرفها، وسموا إلى سموها؛ إذ أصبحت وعاء معاني الوحي، الذي منه استقى كل دارس لكتاب الله تعالى، وباحث في معانية، وبديع لغته.

ومن شرف العربية استمد النحو شرفه؛ إذ هو "منطق العربية ".[١] وقوانين تفكير العرب، التي استنبطها النحاة من ملاحظة كلامها، ودراسة أساليبها، في جدها وهزلها، وأفراحها وأتراحها، وظعنها وإقامتها، وفي كل شأن من شئون حياتها، في حقبة هي من أصفى حقبها، ومكان هو أبعد الأمكنة عن كل ما يشوبها ،أو يكدر صفوها، ويضعف مُنَّتَها في نفوس أهلها.

ومن حفظ الله لهذه اللغة أن قيض لها أئمة أعلاماً أفنوا أعمارهم في دراسة ظواهرها، والكشف عن أسرارها، وضبط قواعدها، ليلحق من ليس من أهلها بهم في الفصاحة.[٢] وليقف أهلها على حكمتها وخفي معانيها، فكان هذا الصرح العظيم، والبناء المحكم، والعلم المستطيل.

وقد تعرض النحو – كغيره من علومنا الإسلامية – لكثير من المطاعن، وأثيرت حوله كثير من الشبهات، لعل من أوضحها فساداً، وأكثرها عناداً، وأبعدها عن الصواب والحق، دعوى شكلية النحو، واقتصار أصحابه على ما يوجبه العامل من حركات الأواخر، وبعده عن المعنى!!

فسبحان الله العظيم، ما أبعد هذا القول عن الإنصاف، فهل نشأ النحو إلا في أحضان المعنى، وهل كان توجيه أبي الأسود لابنته – في قصة وضع النحو إن صحت – إلا انطلاقاً من المعاني؟ أوليس العامل تكأة " يتقوم به المعنى".[٣] كما يقول ابن الحاجب؟

وقد أكثر المعاصرون من اتهام النحاة بأنهم حصروا دراستهم في حركات أواخر الكلمات، معتمدين على بعض تعريفات المتأخرين، ثم ادعوا أن في الدراسات الحديثة من العناية بالمعاني ما ليس في النحو العربي، وعلت أصوات، وأهريق مداد، وسوِّدت صحف، وبقي النحو هو النحو؛ ليكون بقاؤه شاهداً على إحكام بنائه، ومتانة أساسه.

والذين يزعمون أن النحو لا يعنيه في هذا إلا أن تُضبط حركات الأواخر، لا يفهمون النحو؛ لأن النحو الذي يعرفه علماء هذه الأمة، هو النحو الذي يبحث منطق اللسان، ويحلل ضروب العلاقات بين كلماته، ويشرح سليقة الأمة المنعكسة في هذا البناء الإعرابي المعجب.[٤]

و"لأن النحو كله مبني على أن نقفوا أثر العرب فيه" كما يقول الشاطبي في مقاصده الشافية.[٥]

فهل يُعقل أن يختزل منطق العربية في حركات أواخر الكلم؟ وهل نحاتنا- وهم من أساطين علماء الأمة وجهابذتها – من السذاجة بحيث يقضون أعمارهم في دراسة ظاهرة الشكل، دون أن ينفذوا إلى أعماق اللغة وأسرارها ومعانيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!.

من هذا الهاجس انطلق البحث؛ لتلمس آثار المعاني في تركيب الكلام وتوجيهه، من خلال كتب النحاة ودراساتهم.

ولا شك أن موضوع (المعنى) ذو صلة بجوانب متعددة من جوانب الدرس النحوي، فهو ذو تعلق بالأسس التي قام عليها هذا العلم، والأسس التي يقوم عليها التحليل النحوي والإعراب، وكل ما يتعلق بالتركيب، من صحة أو فساد، وقبح أو استحسان، ومنع أو تجويز.

وقد جاء عنوان البحث "أثر المعاني في التركيب والتوجيه" ليشمل جانبي التنظير والتطبيق.

فالتركيب يعني قواعد بناء الجملة، كما في قول ابن مالك: وبعد فعل فاعل، وكاشتراطهم الخبر أو ما يسد مسده للمبتدأ، واشتراطهم الرابط بين المبتدأ والخبر إذا كان الخبر جملة، واشتراطهم الضمير العائد في صلة الموصول، إلى غير ذلك من هذه القواعد المتعلقة بأحكام تركيب الجمل.

أما التوجيه فالمقصود به بيان حالات الإعراب، وبيان الأوجه التي تتخرج عليها كل حالة، وما يتبع ذلك من تقدير وتأويل وتعليل.

وقد كانت أعاريب النحاة للقرآن الكريم، والحديث الشريف، وللشواهد شعرية ونثرية، ميداناً رحباً لهذا الجانب من الدراسة التطبيقية، الشاملة لمعاني المفردات، ومعاني الصيغ، والمعاني النحوية، ومعنى السياق بنوعيه.

خطة البحث: جاء البحث في أربعة فصول تسبقها مقدمة لبيان أهمية الموضوع، وتمهيد في المعنى، وخاتمة تجمل ما سبق تفصيله. ويمكن تلخيص ذلك كله في النقاط الآتية:

المقدمة: بين فيها الباحث أهمية المعاني في نظرية النحو العربي ووضَّح فيها عنوان الرسالة، وحدود المعاني التي يتغيَّا البحث دراستها.

التمهيد: عرض فيه الباحث لتعريف المعنى، وبيَّن نظر العلماء إلى أهميته كما عرض لعلاقة الألفاظ بالمعاني وكيفية دلالة الأولى على الثانية. وأيد الباحث القول بسبق المعاني للألفاظ.

الفصل الأول: في أثر معنى الكلمة المفردة في التركيب والتوجيه، وجاء في مبحثين يمثلان التنظير والتطبيق. وقد خلص البحث إلى أن معنى الكلمة المفردة كان مراعى معتبراً في نظر النحاة، سواء في تركيب الكلام أو في توجيهه.

ففي جانب التنظير، نقل الباحث الكثير من نصوص المتقدمين التي تؤكد أهمية معنى الكلمة المفردة في تركيب الكلام وتوجيهه كقول عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله تعالى –: " ولو فرضنا أن تنخلع من هذه الألفاظ، التي هي لغات، دلالتها، لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء، ولا تُصُور أن يجب فيها ترتيب ونظم. ولو حفظت صبياً شطر كتاب العين أو الجمهرة، من غير أن تفسر له شيئاً منه وأخذته بأن يضبط صور الألفاظ وهيآتها، ويؤديها كما يؤدي أصناف أصوات الطيور، لرأيته ولا يخطر له ببال أنَّ من شأنه أن يؤخر لفظاً ويقدم آخر، بل كان حاله حال من يرمي الحصى ويعد الجوز، اللهم إلا أن تسومه أنت أن يأتي بها على حروف المعجم ليحفظ نسق الكتاب". (٦)

وقوله: " لا يتصور أن تعرف للفظ موضعاً، من غير أن تعرف معناه، ولا تتوخى في الألفاظ- من حيث هي ألفاظ - ترتيباً ونظماً ". (٧)

هذا في جانب التركيب وتجريد القواعد، أما في جانب التوجيه فإن النحاة يكادون يطبقون على أهمية معرفة معاني الألفاظ قبل إعرابها، وبيان الوجه الراجح فيها، ينصُّون على ذلك نصاً، ويمارسونه في أعاريبهم وتحليلهم للنصوص تطبيقاً.

وكان لا بد من الوقوف مع الذين أهدروا معنى الكلمة المفردة، أوقللوا من أهميته في تركيب الكلام، ومناقشتهم والرد عليهم.

الفصل الثاني: تحدث عن المعاني النحوية، وقسمها إلى معان وظيفية، ومعان إضافية، وبيّن الفرق بينهما، وأكد أن إدراك تلك المعاني أصل أصيل في عمل النحاة منذ نشأته الأولى ؛ لأن تلك المعاني هي قوام الكلام الذي بنى عليه النحاة دراستهم، وأسسوا - على هدي منه – قواعدهم.

ولا شك أن العربي كان يتوخى تلك المعاني في كلامه، في شعره وخطبه، بل في جميع ما يتفوه به في بيانه عن نفسه، ولا شك – أيضاً – أن السامع أو المتلقي، الذي سلمت سليقته، وارتقى ذوقه، كان يدرك تلك المعاني، ويدرك توخي المتكلم لها، بما يناسب أغراضه، ومقاصده، ودواعي خطابه وبيانه.

وعلى هذا فإن تفاوت الكلام، بدءاً من مجرد الإبانة، وانتهاءً ببلوغه درجه الإعجاز، متوقفٌ على تفاوت المتكلمين في توخيهم معاني النحو فيما بين الكلم، التي يعبرون بها عن أغراضهم.

ولا شك – أيضاً - أن معاني النحو لا يقصد بها معاني الألفاظ، أو دلالاتها المعجمية، وإنما هي العلاقات التي تربط بين تلك الألفاظ لتكون المعنى العام للتركيب، على وَفق الأغراض التي يصاغ لها الكلام.

فعندما يروم الإنسان الإفصاح عن أفكاره، فإن تلك الأفكار هي في حقيقتها معان تنقدح في ذهنه أولاً، ثم ترتب تلك المعاني في النفس بواسطة علاقات ذهنية أيضاً، يعبر عنها بالألفاظ؛ لتخرج تلك الأفكار في جملة تحمل فائدة يحسن السكوت عليها " لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها حسب ترتب المعاني في النفس ".[٨] " والمعنى يجب مراعاة ترتيبه لا اللفظ ".[٩]

ومعاني النحو كثيرة، إلا أنها – مع كثرتها – يمكن إرجاعها إلى أربعة معانٍ كلية، لا تخرج عنها هي:

- الإسناد.
- التخصيص.
- الإضافة.
- التبعية.

ولكن يندرج تحت هذه المعاني (الكلية) معان (جزئية) كثيرة جداً، هي ما أطلق عليه عبدالقاهر (الفروق والوجوه) فقال: " وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها ".[١٠]

وليس مرادي (بالجزئية) الحط من شأنها، أو التهوين من أمرها، ولكنها تسمية اقتضتها طبيعتها ؛ إذ تندرج هذه المعاني الجزئية تحت المعاني (الكلية) الأربعة التي سبق ذكرها، وإلا فإن المزية والفضيلة- في اختلاف دلالات التراكيب -راجعة بشكل جليٍّ إلى تلك المعاني الجزئية، أو (الوجوه والفروق) كما سماها شيخ البلاغيين.

والمزية في تلك الفروق " ليست بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض ".[١١]

فالمعنى النحوي في قولنا (زيد منطلق) هو " العلاقة التي بين معنى (زيد) من حيث هو مراد الإخبار عنه من قبل المتكلم بالانطلاق، وإسناده إليه، وبين معنى (منطلق) من حيث هو اسم على حدث متعين... ومن حيث هو مراد الإخبار به عن (زيد) ومسند إليه، وتقرير لوقوعه منه ".[١٢]

لكن المعاني النحوية التي يمكن أن تنبثق من هذا المعنى (الرئيس)، أو تبنى عليه كثيرة، من خلال اختلاف المسند والمسند إليه، تقديما وتأخيراً، وتعريفاً وتنكيراً، واختلاف طبيعة المسند، بين الفعلية والاسمية، وما إلى ذلك.

وهو تنوع لا يأتي اعتباطاً كيفما اتفق " ولكنه تنوع على أصول وقوانين كلية، لا يخرج عنها أي وجه أو فرق تركيبي" . (١٣)

علماً أن تلك المعاني تتداخل؛ إذ إن في بعض ما يدل على التبعية نوعاً من الدلالة على التخصيص أيضاً، كما أن في الإضافة ما يدل على التخصيص كذلك.

وقد خلص الباحث إلى أن عمل النحاة كان يتكئ على المعاني النحوية في كثير من جوانب الدرس النحوي، كتعريف الكلام، والتبويب، والاستدلال على وجوه الإعراب، والكشف عن دلالات الأوضاع النحوية، ومنع بعض التراكيب النحوية أو تجويزها، وفي التعليل، ووضع القواعد الكلية والأصول العامة، وفي التأويل.

الفصل الثالث: في أثر معنى الصيغة في التركيب والتوجيه، ناقش أهمية الصيغة الصرفية في نظرية النحو العربي، وارتأى الباحث أن هناك فرقاً بين الصيغة والبنية، وأدار حديثه على أثر معنى الصيغة في جانبي التنظير والتطبيق.

فلا يشك عاقل في أن لكل بنية صرفية تأثيراً في المعاني النحوية في التركيب، بحيث يترتب على وجودها، داخل بنية تركيبية معينة، ظهور خواص نحوية معينة في الجملة.

ولذلك نهض النحو بالحديث عن الصيغ، من حيث بيان وظائفها، وتوضيح الفروق التي تميز بينها في تأدية تلك الوظائف.

وقد نبه النحاة إلى أن التغييرات الصرفية تنقسم إلى قسمين، تبعاً للغرض من التغيير.

قسم يحدث معاني جديدة تتطلب بنية تركيبية معينة ؛ لتوظيف معاني تلك البنى الصرفية لأداء المعنى النحوي المراد.

وقسم لفظي لا يعدو كونه تغييراً في البنية، ناتج عن تأثير الأصوات بعضها في بعض، لا يحدث معنى جديداً، وإنما يحقق نوعاً من الخفة أو تحسين اللفظ.

ولذلك فإن التغييرات الصرفية، التي تنقل الصيغة من معنى وظيفي إلى معنى وظيفي آخر، تحدث تغييرًا في الجملة، قد يكون ظاهراً في مكونات التركيب، وقد يكون غير ظاهر في التركيب، لكنه يبرز في توجيه بعض عناصر الجملة.

الفصل الرابع: في أثر معنى السياق في التركيب والتوجيه، عرَّف الباحث السياق بنوعيه الداخلي والخارجي مراعياً دور السياق في تركيب الكلام، وفي توجيهه، وفي فهم دلالاته.

فالسياق الداخلي عند الباحث هو: توالي مجموعة من العناصر اللغوية، واتساقها، في تركيب لغوي صحيح، توالياً تحكمه علاقة كل عنصر من عناصر التركيب اللغوي بما يسبقه وما يتلوه، وما تحدثه هذه العناصر في بعضها من تأثير في سبيل هذا الاتساق.

والسياق الخارجي هو: جملة العناصر غير اللغوية التي تسهم في تكوين الكلام، وتؤثر في تركيبه، وتعين على فهم دلالته وتوجيهه.

كما تحدث عن عناية القدماء بالنوعين معاً، واعتمادهم عليه في توصيف الظاهرة النحوية وتوجيهها، تنظيراً وتطبيقاً.

وقدم الكثير من تطبيقات السياق في عمل النحاة، سواء في تجريد القواعد، أو في تحليل النصوص وتوجيهها، رادّاً بذلك على من زعم من الدارسين عدم وعي النحاة بالسياق في دراساتهم، مستنداً في هذه الردود على نصوص النحاة أنفسهم،والتي هي المن الكثرة والثراء بحيث يخيل للدارس المنصف أن عمل النحاة كله بحث في السياق، ولا غرو فإن اللغة في حقيقتها شبكة من العلاقات السياقية.

الخاتمة: أوجزت ما تم إنجازه في فصول الدراسة ومباحثها.وعرضت بعض النتائج التي توصل إليها البحث ومنها:

١. ظهر جلياً أن تركيب الجمل- على وفق قواعد العربية الصحيحة - لا يمكن أن يتم دائماً في معزل عن مراعاة معاني المفردات، وأن النحاة يكادون يطبقون على أهمية معنى الكلمة في بيان توجيهها.

٢. كشف البحث عن الحضور الفاعل للمعاني النحوية في أذهان النحاة، حتى عدّوا تلك المعاني التي هي " رسوم العرب في مخاطباتها " أصلاً من أصول هذا العلم، كما قرر ابن فارس في أول كتابه (الصاحبي في فقه اللغة).

٣. أكد البحث عمق العلاقة بين المعاني النحوية ونظرية النظم؛ لأن المعاني مرتبطة بالعقل، والنظم في حقيقته إنما هو تنظيم للأفكار قبل الألفاظ.

٤. كشف البحث عن أهمية اعتبار الصرف جزءاً من النحو لا قسيماً له، كما كشف عن إدراك النحاة القدماء لهذه الحقيقة، وأن نظرهم هو النظر الصحيح؛ لما لمعاني الصيغ من تأثير في التركيب والتوجيه النحوي، ولما يضطلع به معنى الصيغة من دور في العمل، وفي دفع اللبس، وفي غير ذلك من قضايا الدرس النحوي.

٥. أظهر البحث مدى عناية النحويين بالسياق، تنظيراً وتطبيقاً، وارتأى الباحث أن السياق نوعان: داخلي نابع من طبيعة اللغة ذاتها، تحكمه علاقة كل عنصر من عناصر التركيب بما قبله وبما بعده، وما تحدثه هذه العناصر في بعضها من تأثير في سبيل اتساقها. وخارجي تمثله جملة العناصر غير اللغوية التي تسهم في تكوين الحدث اللغوي وتؤثر في توجيهه. و أن هذا التقسيم يغني عن كثرة التشقيق، ويغني عن إضافة سياقات أخرى، كالعاطفي، والاجتماعي.. ونحوهما.

٦. يرى الباحث أن نظر علماء الإسلام – ومنهم النحاة – للسياق كان من السبق والنضج بدرجة لا تقل عما توصلت إليه المدارس الغربية الحديثة في هذا الجانب، ولا سيما إذا أخذنا في الاعتبار السبق الزمني، والإمكانات البحثية المتاحة اليوم مقارنة بما كان عند القدماء.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش والتعليقات :

(١) الإمتاع والمؤانسة – لأبي حيان التوحيدي – ضبط وتصحيح: أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية – صيدا - ص ١١٥/١

(٢) الخصائص- لابن جني – تحقيق: محمد على النجار- دار الكتاب العربي - بيروت - ص ٣٤/١

(٣) الفوائد الضيائية، للجامي – تحقيق: د. أسامة طه الرفاعي. وزارة الشئون الدينية – بغداد؛ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م - ص ١٩٧/١

(٤) دلالات التراكيب – د. محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – القاهرة؛ ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨٧م. ص ٢٦٩

(٥) المقاصد الشافية – للشاطبي – نشرة مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى؛ ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م : ٦٢٢/٤

(٦) دلائل الإعجاز- لعبد القاهر الجرجاني- قراءة وتعليق : محمود شاكر- مكتبة الخانجي – القاهرة؛ ١٤١٠هـ ١٩٨٩م. ص ٥٠

(٧) السابق نفسه: ٥٣-٥٤

(٨) نفسه: ٤٩

(٩) أحكام القرآن، للكيا الهراسي – دار الكتب العلمية – بيروت؛ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ . ص ١١/١

(١٠) دلائل الإعجاز؛ السابق : ٨٧

(١١) نفسه ونفس الصفحة.

(١٢) نظرية النظم وقراءة الشعر العربي- د. محود توفيق سعد- بحث منشور على بعض المواقع الإلكترونية: ٧٢

(١٣) السابق نفسه: ٧٢